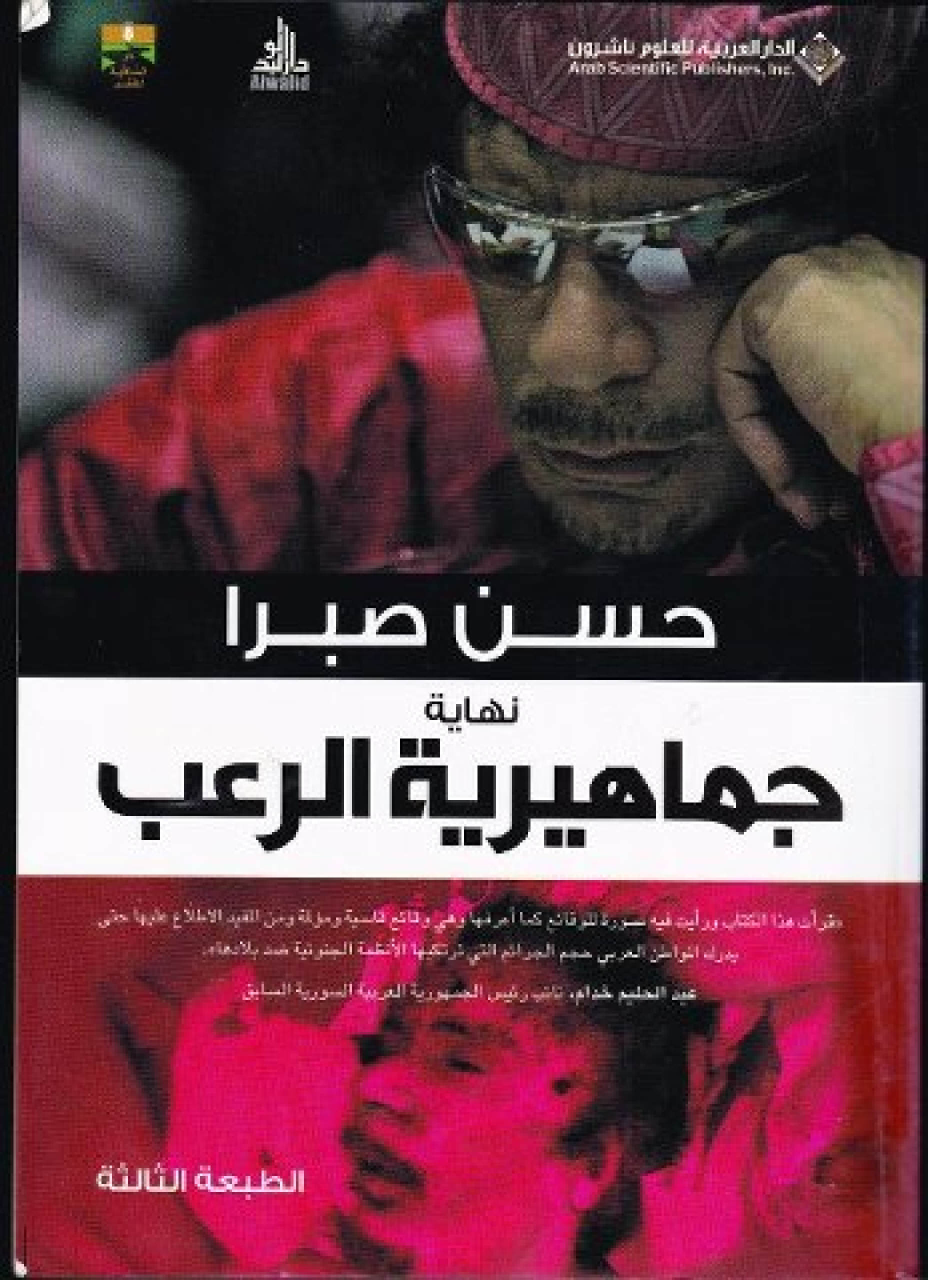

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
Alwaleed
حسن صبرا
نهاية
جماهيرية الرعب
قرأت هذا الكتاب ورأيت فيه صورة للوقائع كما أعرفها وهي وقائع قاسية ومؤلمة ومن المفيد الاطلاع عليها حتى يدرك المواطن العربي حجم الجرائم التي ترتكبها الأنظمة الجنونية ضد بلادها.
عبد الحليم خدام، نائب رئيس الجمهورية العربية السورية السابق
الطبعة الثالثة

نهاية
جماهيرية الرعب

تأليف
حسن صبرا



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: كانون الثاني 1433 هـ - 2012 م

الطبعة الثانية: شباط 1433 هـ - 2012 م

ردمك 978-614-01-0337-5



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: (1-961+) 785107 - 785108 - 786233

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: (1-961+) 786230 - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http: //www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (1-961+) 785107

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (1-961+) 786233

إهداء

إلى التاريخ الممتد عبر ثلاثة مواعيد:

الموعد الأول في 1969/9/1 عندما عدت إلى منزل الأهل ليخبرني شقيقي علي أن ثورة حصلت في ليبيا وأنها ناصرية، قام بها ضباط أحرار، فصرخت حينها: يا الله لقد اقتربت الحرب مع إسرائيل!!

الموعد الثاني في 1985/5/12 حين عقدت آخر لقاء مع معمر القذافي في خيمته في باب العزيزية. استمر ساعة ونصف الساعة، قلت فيه للعقيد ما لم يقله مالك في الخمر... ثم خرجت حياً، وكلما رويت للمقربين وقائع هذا اللقاء هتفوا... حمداً لله على السلامة...

وإلا كنت ستلحق بالإمام موسى الصدر ورفيقيه...

الموعد الثالث في 2011/2/17 حين تناقلت الأنباء أخبار ثورة الشعب الليبي ضد معمر القذافي نفسه وأولاده وكتائبه ومرتزقته.

اثنان وأربعون عاماً كنت في أولها في الواحد والعشرين من العمر، وفي الموعد الثاني كنت في السابعة والثلاثين، أما في الموعد الثالث فإني أشرف على الثالثة والستين ومعمر القذافي لم يخرج إلا بعد أن قتل عشرات الآلاف من شعب ليبيا، مهدداً بأنه تسلم ليبيا وفيها 3 ملايين وها هي ليبيا تضم 6 ملايين نسمة، والفضل له كما يزعم بهذا الرقم المضاعف... لكأنه يريد القول... كما تسلمتكم أستطيع أن أعيدكم... وقد حاول ولم يقصّر... لولا أن التاريخ لا يقف عند أحد... لذا أهديه هذا الكتاب.

المحْتويَات

مُقـدِّمـة

لا يحتاج هذا الكتاب إلى مقدمة، إلا ما كنا نقرأه أمام دور السينما التي تعرض أي فيلم يحتوي على مشاهد رعب أو وحشية. تحذير لذوي القلوب المريضة من الدخول حتى لا تكون مشاهدتهم لها سبباً في اضطرابات ليست لمصلحة صحتهم. وقد خطر ببالي لحظة أن أكتب المقدمة بعبارة واحدة هي صدق أو لا تصدق... وهذا ما دفع في خاطري عبارة أخرى كمقدمة تقول: هذا الكتاب يجمع في وقائعه ما هو مضحك وما هو مبكٍ، ما هو ساخر وما هو جدي وهكذا يمكن اعتبار هذا الكتاب جامع الشرائط.

لكن هذا الكتاب هو مجموعة وقائع، وهي كلمة مشتقة من كلمة وقع، واسمها واقع أي أنها حصلت، وفيها شهود مثلما فيها ضحايا، ومجرمون، وكلهم بشر، وهذا ما يجعلها تختلف عن أفلام السينما، ولو أن بطلها وهو معمر القذافي لا يمكن تصديق شخصيته إلا أنها من صنع الخيال... ولعل معمر القذافي هو أول من اعتمد كلمة خياله تعريباً لكلمة سينما، والخيالة مشتقة من الخيال... وقصص معمر القذافي أغرب من الخيال.

عذراً ليس للكتاب من مقدمة إلا هذه... وبعد قراءته ستجدون أن الكاتب كان على حق عندما اختصر المقدمة قناعة وصدقاً.

الفصل الأول

قصة ثورة 17 فبراير

- شهادة المفجر فتحي تربل
- الأديب المسماري
- 15 وليس 17
- المرأة الليبية في الثورة
- ثورة؟ أم دعوة للإصلاح؟ أم
- رواية د. محمد المفتي
- بني غازي تضم كل ليبيا
- ثورة طرابلس
- الثوار يمحون اسم العظيم عن لائحة النهر الصناعي

قصة ثورة 17 فبراير

لو أنك سألت أي ليبي مهموم بشؤون وشجون وطنه، متى بدأت الثورة ضد معمر القذافي، لما تردد في القول: أنها بدأت منذ 30 أو 40 سنة، هي عمر القهر الذي مارسه معمر علينا، وكنا يجب أن نثور لوقفه عند حده وقتها.

فكل ما جرى بعد ذلك في ليبيا هو مفتاح ثورة شعبية شاملة، على مستوى القهر والقمع لكل فئات ومناطق الشعب الليبي وطيلة 40 سنة.

ومع هذا السبب المباشر لأي أمر ويكاد يكون في كل يوم سبب مباشر، لاندلاع الثورة الشاملة. وأن تكون بني غازي هي السبب والساحة والميدان والشعلة... فهذا أمر بديهي لمن يعرف ليبيا ومعاناتها مع هذا الطاغية، ولمن يعرف كراهيته الشديدة لهذه المدينة، ولمن يعرف المحاولات التي اندلعت ضده منها، سواء بثورات شعبية أو بمحاولات اغتيال، أو بخروج عليه في أشكال عصيان هنا واقتحام لمؤسسات هناك.

كان القذافي يرد دائماً بمزيد من القهر والقمع، وليست عملية إسقاط طائرة بني غازي المدنية على خطورتها وفكرتها الجهنمية، وليست جرائم حقن الأطفال بالإيدز إلاّ جزأين من نماذج صارخة مرعبة.

كانت الحرب سجالاً بين معمر وبني غازي وأهلها، ولعل المفارقة التي تسجل لوطنية هذه المدينة وأهلها أن بداية ثورة الخلاص الوطني جاءت جزءاً من تداعيات جريمة القذافي ضد نزلاء سجن أبو سليم في طرابلس، وفيه قتل 1270 إنساناً من كل أنحاء ليبيا (راجع وقائع هذه الجريمة في مكان آخر من هذا الكتاب).

حاول القذافي شراء سكوت أولياء الذين سقطوا في هذه الجريمة وكانت بني غازي له بالمرصاد. فكثير من أبناء هذه المدينة الثائرة رفضوا الحصول على ديّة تعويضاً لأبنائهم المظلومين الذين قتلتهم عصابات عبد الله السنوسي عديل معمر، وأحدهم صرخ في وجه أعضاء اللجنة التي جاءت تعرض عليه المال تعويضاً: أنا ابني أهم من أي أميركي دفعتم لأهله 10 ملايين دولار تعويضاً عن قتله في جريمة إسقاط طائرة الـ«بان أميركان» فوق لوكوربي، صرخ الحاج الليبي: ابني لا تقدرون حتى دفع ثمن دمه... لن أرضى عن حياته كنوز الدنيا ولو كان 100 مليون دولار.

أكثر أهالي المعتقلين لم يصدقوا أن أولادهم قتلوا في هذا السجن، فتمت عام 2007 إقامة دعوى قضائية للبحث عن مصير المفقودين، من سجناء أبو سليم وأوكلت القضية للمحامي عبد القادر غوقة (هو أول متحدث إعلامي باسم المجلس الانتقالي الوطني الليبي الذي تأسس بعد انطلاق ثورة 17 فبراير 2011).

شهادة المفجر فتحي تربل

لكن الذي ساهم بتأسيس رابطة شهداء سجن أبو سليم والمتحدث الرسمي باسمها أمام المنظمات الحقوقية والإعلام الخارجي هو المحامي فتحي تربل.

وفتحي تربل من مواليد بني غازي 1972، انتسب إلى كلية القانون وتخرج محامياً بعد سنوات طويلة من الانقطاع، نتيجة لقضائه فترات متقطعة في سجون الطاغية، فقد اعتقل تربل خمس مرات خلال الفترة من 1991 حتى 1998.

ولنترك المحامي تربل يتحدث عن انفجار ثورة الشعب الليبي ومقدماتها المباشرة كما رواها في حديث مع جريدة «رؤية» الليبية التي صدرت بعد الثورة، في عددها تاريخ 3/ 6/ 2011.

«كنت أحد المؤسسين لرابطة شهداء سجن أبو سليم، والمتحدث الرسمي باسمها أمام المنظمات الحقوقية والإعلام الخارجي. بدأ الأهالي بالتواجد بشكل مكثف، ولكن كان ذلك داخل أروقة محكمة شمال بني غازي. إلى أنْ جاء يوم 8/ 6/ 2008 قرر الأهالي الاعتصام خارج المحكمة، وبدأ الاعتصام بشكل منظم وأحياناً في مسيرات. بدأتُ رحلة الكفاح ضدَّ النظام بعد إقامة دعوى قضائية ضد الدولة، للكشف عن مصير هؤلاء المفقودين والاعتصام كل يوم سبت. وبدأت معها رحلة المضايقات الأمنية لهذه الاعتصامات وأنا شخصياً تعرضت للمضايقات. حيث عمِلت حوالى خمسة أجهزة أمنية، على تطويق ومحاصرة أهالي الضحايا أثناء الاعتصام. حاولت هذه الأجهزة رصد الناس التي كانت تتعاطف وتقف مع أهالي الضحايا، حيث يتم استدعاؤها والتحقيق معها وحتى تهديدها بالقتل. هذا إلى جانب الانفراد ببعض الأسر وممارسة الضغوط عليهم. بتقديم الإغراءات - وإنْ لم يكن بشكل مباشر -، حيث قامت بعض الأجهزة الأمنية بالحديث مع شيوخ قبائلهم، ومحاولة إقناعهم بقبول الدِّية المعروضة. وفي المقابل سيتم حلَ أيِّ مشكلة لديهم، فالبعض تمّ إغراؤه بإرسال أبنائه للدراسة بالخارج أو توفير

سكن أو مرتّب أو فرص عمل. ولكن تمّ رفض هذه الدِّية من أغلبية أسر الضحايا. بعد بدء الحركات الاحتجاجية بدأ التضييق علينا، واستدعاء شقيقي الأكبر وبعض أقاربي وشيوخ القبيلة التي أنتمي لها، وتخييري بين السكوت عنْ هذه القضية وأخذ المال أو النفي خارج بني غازي. وبعد يوم 20/ 08/ 2009 وفي أول سبت بعد هذا التاريخ قلتُ إنّنا لن نبارك ولن نعترف بسيف الإسلام كمنسق عام للقيادات الشعبية، حتى تكون قضية أبو سليم أولى اهتماماته. بعد ذلك تم استدعائي في طرابلس من قبل سيف الإسلام، وكان النقاش يدور حول مواضيع عدة، استغليت الفرصة، وتحدثت عن الانتهاكات التي حصلت في السجون السياسية، وتكلمت عن تجربتي أنا في السجن وحالات القتل العمد التي كانت تحصل أمامي وقضايا إنسانية أخرى. شيئاً فشيئاً بدأت هذه الحركات الاحتجاجية تكسب تعاطف الرأي العام في الخارج، وأصبحت تنظم وقفات احتجاجية في أوروبا وأميركا. قام عبد الله السنوسي مدير الاستخبارات العسكرية بمحاولةٍ لضرب هذه الاحتجاجات وتشويش الصورة أمام الإعلام الخارجي، بتكوين رابطة (كي لا ننسى) وهم مجموعة من الذين قُتِل آباؤهم وإخوانهم في مواجهات مع مجموعات مسلحة في فترة منتصف التسعينات. وكل يوم سبت نعتصم فيه نجد أعضاء من هذه الرابطة أمامنا، ومعهم لافتات وصور من أرشيف الأمن الداخلي تصور وجوه وأجساد ذويهم المقتولين في المواجهات. ويرددون جمُلاً معيّنة ضد أهالي ضحايا سجن أبو سليم تصفهم بأهالي الزنادقة، أيضاً هم مزودون بالأعلام الخضراء وصور القذافي. وكانوا لا يتوانون عن استفزازنا للاشتباك معنا، حتى تأتي قوة مكافحة الشغب فيكون هناك مبرر لاعتقالنا. في يوم 17/ 04/ 2010 قام المدعو مفتاح عقيلة البدري بملاحقتنا من مكان إلى مكان حاملاً صورة والده، وبدأ يتلفظ بألفاظ فيها نوع من التحرش بالأهالي وكنّا نحاول المحافظة على سلمية احتجاجاتنا، فكنّا نعمل على تجاهله وتغيير مكاننا حتى لا نشتبك معه ونعطي مبرراً لاعتقالنا. فتقدم مسرعاً نحوي شاهراً سلاحاً أبيض (ساطور) وضربني مما أدى إلى نزيف برأسي وكان المخطط بأن يقوم بقتلي وتنتهي باعتبارها قضية جنائية، وعند توجهنا لمركز الشرطة لتقديم البلاغ، فوجئنا بأنه قد قُدِّم بلاغ ضدنا معدّ سلفاً قبل وقوع الحادثة.

بعد ثورتي تونس ومصر بدأ الخناق يزداد على نظام القذافي، قام بفتح قناة للحوار بين أفراد من أهالي الضحايا - باستثنائي شخصياً - وبين عبد الله السنوسي، حيثُ قام

بإعطاء بعض المزايا ليصرف أهالي الضحايا وعدم إعطاء مبرر لتواجدنا مع الشارع يوم 17 فبراير.

في يوم 15/ 02/ 2011 تم اعتقالي عند الساعة 3:30 بعد الظهر، جاءني للبيت حوالي 20 شخصاً من الأمن الداخلي وكان على رأسهم حسين الشرع. أخذوني لمقر الأمن الداخلي في بوهديمة ومن ثم لمديرية الأمن العام عند الساعة التاسعة ليلاً. عند نزولي كان المكان مطوقاً برجال الأمن المدججين بالسلاح. فطلب مني أحد الواقفين القدوم إليه - ولم أكن أعرفه - حيث عرف بنفسه وقال أنا عبد اللّه السنوسي، أول كلمة قالها لي إلى أين تريد توصيل هذا الموضوع؟ فأخبرته: «أريد توصيله للقضاء وأن أعرف من قتل أبناءنا؟». وهكذا استمر هذا الجدال معه لمدة ساعتين. واختزل خطابه بتهديد عنيف لي ولأهلي. بعد سماعي لهتاف الأهالي أمام المديرية طلبتُ منه الخروج لتهدئتهم ولكنه رفض ذلك على أساس أنّي لست بطلاً، تم إطلاق سراحي منْ قبل عبداللّه السنوسي بناءً على اتفاقية أو معاهدة وهي: «استمرار الهدوء مقابل إيجاد تسوية لنا». وفي اليوم التالي التحم الأهالي ممن كانوا معتصمين أمام مديرية الأمن مع الثوار وأصدروا هتافات «الشعب يريد إسقاط النظام». في هذا اليوم كان عليّ الذهاب لطرابلس لمقابلة القذافي، ولكن أحد الزملاء تلقى اتصالاً من السنوسي وأخبره أنّ لا اتفاق بيننا، وبينكم وبيننا الحرب، كان ذلك ما حررني من المعاهدة. لأني خشيت من خرقها ويلقى عليّ اللوم من الأهالي، فخرجت لساحة المحكمة وأعلنت «الاعتصام الاعتصام حتى يسقط النظام». ومنذ ذلك الوقت ونحن أمام المحكمة أي في ساحة التحرير تعبيراً عن تحرير بني غازي وانطلاق ثورة إسقاط الطاغية».

الأديب المسماري

وكي تكتمل رواية بداية الثورة، نتابع ما حدث في الشارع بعد اعتقال المحامي تربل وهذه نسمعها على لسان الأديب الليبي المعروف المسماري (صاحب مطبوعة عراجين وهي عرجون النخل، قرط النخل).

يوم 15/ 2/ 2011 اتصل المسماري بمحطة «الجزيرة»، يروي لها ما يحصل في الشارع البني غازي، وفي لحظة الحديث الهاتفي مع الذي كان يشرح أن السلطات وعدت بإطلاق تربل ونحن الآن نتحرك سلمياً بالسيوف والعصي، صرخ المسماري من الألم

قائلاً أنهم يضربوننا الآن.

شاهد الملايين هذه الواقعة مباشرة وكان لها أثر فاق التصور لقد كان المسماري هو المسمار الأول في نعش النظام، ويجب أن نعترف أن هناك آلاف المسامير كانت تدق في هذا النعش خلال عقود عديدة، لكن مسمار المسماري على محطة «الجزيرة» كان له وقع آخر فقد دخل هذا المسمار كل وسائل الإعلام ليساهم في كشف حقيقة الثورة الشعبية الشاملة في ليبيا ضد الطاغية.

كان المسماري يعالج من إصابته بأيدي الأمن الليبي، وكانت زوجه التي حدثها البعض عن مواجهته عبر «الجزيرة» تسأله عن أحواله وهو يطمئنها بأنه في حالة طيبة. والطريف في الأمر أن الأمن الليبي سأل مسؤول الثقافة في السلطة الليبية نوري الحميدي عن وضع وانتماء المسماري فكان رأيه أن هذا الرجل (المسماري) هو رجل كحولي، أي يشرب الكحول ولا يمكن أن يشارك في تحريك ضد النظام خاصة إذا كان ذا طابع إسلامي نسبة لتحرك أهالي الذين سقطوا في سجن أبو سليم من الإسلاميين.

15 وليس 17

خرجت التظاهرات في بني غازي ليلاً بعد تطورات الوضع نهاراً أمام المحكمة وفي الشوارع، هتف المتظاهرون:

نـــوضي نـــوضي يـــا بـــنـــي غـــازي   جـــاك الـــيـــوم الـــلي فـــيـــه تـــراجـــي

أي انهضي يا بني غازي وقد جاءك اليوم الذي تنتظرينه أو ترجينه.

كانت أجهزة الأمن قد جهزت نفسها لمواجهة الثورة يوم 17/ 2/ 2011 وهذا اليوم هو ذكرى التظاهرات التي اقتحم فيها أهالٍ من بني غازي القنصلية الإيطالية عام 2006 وأحرقوها احتجاجاً على مواقف صدرت في إيطاليا اعتبرت مهينة للإسلام وللرسول محمد عليه الصلاة والسلام. في 17/ 2/ 2006 خرجت تظاهرات من مساجد بني غازي متجهة نحو القنصلية الإيطالية فدخلوها وأحرقوا علم إيطاليا، تصدى لهم الأمن الليبي وأطلق عليهم النار فقتل عدداً منهم قيل إنه (10)، لم يتوقف المتظاهرون عند القنصلية بل أحرقوا عدداً من مؤسسات الدولة كمقرات اللجان الشعبية لكنهم تجنبوا الاقتراب من معسكر الفضيل الشهير خوفاً من شراسة عناصره، فاوضهم وزير الداخلية يومها

عبد الفتاح يونس (قتل على أيدي مجموعة مسلحة يوم الأربعاء في 28/ 7/ 2011) من خلال شيوخ القبائل فتم تسليم عدد من الشباب فاعتقلهم لفترة ثم أطلق سراحهم، ودفع تعويضات لأهالي القتلى والجرحى.

لكن الثورة انفجرت يوم 15/ 2، وبسبب اعتقال تربل وضرب المسماري. وتابعت الجماهير التحرك يوم 16/ 2 وكانت مفاجأة للأمن والنظام الذي كان جهز مرتزقته لمقاتلة الناس يوم 17.

المفاجأة الثانية التي واجهها نظام القذافي أن يوم 17/ 2 كان يوم خميس، وأجهزته ربطت بين تحرك الجماهير المصرية بعد صلوات الجمع التي تلت يوم 25/ 1/ 2011 ضد نظام حسني مبارك. وإمكانية تحرك الجماهير الليبية اعتباراً من الجمعة في 18/ 2/ 2011، وقد تواصلت التظاهرات في بني غازي وكل المنطقة الشرقية في ليبيا. (ووصلت إلى طرابلس بعد ذلك) أيام 15-16-17-18 حتى تحولت إلى ثورة شاملة طردت أجهزة النظام وقواته بقيادة ابن القذافي الساعدي الذي قيل أن عبد الله السنوسي قاد مجموعة عسكرية توجهت نحو معسكر الفضيل حيث كان الساعدي يقاتل ضد الناس ويطلق عليهم القذائف والرصاص وأنقذه وحمله إلى طرابلس.

المرأة الليبية في الثورة

وكما في ثورات سابقة في بني غازي شاركت المرأة الليبية في ثورة 15 فبراير/ شباط 2011 بنوعية وأعداد مميزة.

خرجت أستاذة الجامعة دكتور أمال عبيدي ابنة ضابط حر في الجيش الليبي في التظاهرات الأولى.

وخرجت السيدة دغيلي والشاعرة خديجة بسيكري وهي صحافية ورئيسة تحرير مجلة البيت، والمحامية الشابة سلوى بو قعيقيص.

سارت سيدات بني غازي وفتياتها الثانويات، والجميع بين سافرات ومحجبات اندفعن وسط التظاهرات يهتفن كما الجميع «الشعب يريد إسقاط النظام».

ونضال الفتاة الليبية ضد نظام معمر لم يبدأ في ثورة فبراير 2011، بل إنه بدأ باكراً، ومنذ دشن العقيد سلسلة إعدامات ضد طلاب ليبيا وبني غازي تحديداً... الذين قادوا تظاهرات 1976، وما تلاها من إعدامات عام 1977 (راجع شرحاً كافياً لما حصل في

جريمة 7 أبريل 1977 في مكان آخر من هذا الكتاب).

تقول السيدة جميلة خلاق (ابنة شقيقة وزير خارجية ليبيا الذي قضى في حادث إسقاط إسرائيل طائرته المدنية فوق سيناء عام 72 صالح بو يصير) في حديث مع مجلة «الليبي» نصف الشهرية، التي صدرت بعد الثورة الشعبية 2011 تاريخ 14 حزيران/ يونيو.

إن أول تمرد لها ضد نظام معمر، بدأ حين كانت في ثانوية بني غازي بالكتابات على الجدران وفي دورات المياه، أما في المرحلة الجامعية ففي كلية الاقتصاد وبعد صدور قرار نقل الكلية إلى طبرق واعتراضها مع زميلات لها منهن صوفيا بو دجاجة وسارة الشافعي... وتجاهل الاعتراض وبعد فشل النقل بدأ التحرك داخل الجامعة معتبرات أن فشل النقل هو مضر لنا.

كانت ثمانينات القرن الماضي هي أسوأ مرحلة من مراحل هذا النظام الفاسد، وقد كانت تسمع عن عمليات إعدام في معسكرات لضباط شرفاء ثائرين فشلت محاولاتهم ضده.

بدأ توزيع المناشير ضد النظام مع صوفيا وسارة دون أن يعرف أحدٌ حتى أهالينا، وكانت تشمل الجامعة كلها، وكنا نكتب على الجدران عبارات تجعل زبانية النظام يجنون من معلنيها مثل: أين الحرية يا كلب الصحراء؟ رداً على اللقب الذي كان يحمله فارس الصحراء. وأين الديمقراطية يا عفن؟ وقمت بصناعة سجادة أمام المدرج مكتوب عليها اسم معمر القذافي، وأغنية علم كنت أسمعها من أمي. (سيطر عليهم عفن أرجال العلم يا نوريرتي).

كان أمن القذافي في الجامعة يظن أن وراء توزيع المناشير والكتابة على الجدران واختيار العبارات، وتمزيق اللافتات التي كان الأمن يرفعها لدعمه، تنظيم قوي. ولم يتمكن من معرفتنا إلى أن أخطأنا بتمزيق اللافتات وكانت مراقبة من الأمن فتم اعتقالنا. واحتجزنا ثلاثة أشهر و16 يوماً وضربنا بشدة بسبب كلمة عفن التي وصفنا فيها القذافي.

ثورة؟ أم دعوة للإصلاح... أم

قبل أن نتحدث عن وقائع لا بد من توضيح أمر مرتبط بحركة الجماهير، وقدرتها على شق الطريق نحو تحقيق ما يعتمل في نفوسها من تراكمات الظلم والاستبداد الذي عاشت في ظله عقوداً حتى لو كان ظاهر أو دوافع تحركها لا ينبئ بكم من القهر الذي

يدفعها لأن تتحول واندفاعها ومتاجرها إلى فيضان يقتلع أمام سيله المعوقات سواء كانت جبلاً أو نظاماً أو سداً أو معمراً.

يخطئ من يظن أن ثورة الشعب الليبي بدأت يوم 17 فبراير أو 15 منه، ويخطئ أكثر من يعتقد أن الناس خرجت يوم 15 أو 17 لإسقاط القذافي أو إسقاط النظام.

رواية د. محمد المفتي

يقول دكتور محمد المفتي في مجلة «بلا حدود» التي تصدر نصف شهرية بعد الثورة في ليبيا، في عددها الثاني (17/ 6/ 2011).

روى لي الأستاذ حكيم والطيار زكريا بو نخيلة أنهما توجها يوم 17 فبراير للمحكمة، فوجدا 40 محامياً يقفون على سلم المحكمة رافعين لافتات تطالب بالدستور والعدالة الاجتماعية والحرية.... في وقت كان فيه الناس في شارع عمرو بن العاص يشتبكون مع رجال الأمن وهم يهتفون «الشعب يريد إسقاط النظام».

وحكى لي عبد العزيز مطاوع، أنه جاء للمحكمة عندما كان المحامون مجتمعين مع القذافي في طرابلس يوم 15 فبراير وأن العقيد أعطاهم موافقة على أن يعتصموا. كانت مطالب الشعب إسقاط النظام لكن المحامين كانوا يرددون لا... لا، الشعب يريد إصلاح النظام... وتطور الأمور جعل عبد الله السنوسي يتصل ببعض المحامين محتجاً بأن هذا لم يكن اتفاقنا.

ويقول حكيم - حسب رواية دكتور المفتي - إنه التقى بأحد المحامين الذي كان يرتدي ثوبه الأسود وكان متجهاً لمقابلة الساعدي القذافي في فندق تيبستي يوم 18/ 2/ 2011 وسأله ماذا تريدون؟ فردّ عليه الشعب يريد إسقاط النظام فقال المحامي مندهشاً: من جدّك! أي عن جد؟

ومع هذا كانت الثورة الافتراضية كامنة في نفوس الشباب، حاضرة عبر صفحات التواصل الاجتماعي، كانت غضباً مستقراً كماء يغلي منذ سنوات في مرجلٍ ضخم قابل للانفجار ناراً... عجلت ثورتا تونس ومصر وخلع زين العابدين بن علي وحسني مبارك بالخطى، خاصة وقد استشعر الشباب أن القذافي أظهر خوفاً غير مسبوق وهو يؤنب الشعب التونسي على ثورته ضد الطاغية زين العابدين.

لم يكن الشباب دون قيادة، فكل من كان أمام شاشة التواصل كان يرى أن هناك

من يقوده في التجاوب معه في دعوته للتحرك دون حواجز أو عقبات لا في الداخل ولا في الخارج، فالأداة أمامه شاشة التواصل تجعله ملكاً عليها وهو قائدها في الوقت نفسه.

دعوة للتحرك الميداني بل دعوات قابلها إطلاق الرصاص من جانب أجهزة الأمن... إذن هناك ما يستدعي إطلاق النار... إنه الخوف مضافاً إلى خوف قائدهم... وكل ما يحصل في ليبيا يستدعي استثمار هذا الخوف إلى الحد الأقصى...

رصاص في الشارع ضد متظاهرين... دفع الآلاف للنزول والتوجه إلى المحكمة شمال بني غازي حيث يجتمع محامون ونساء للمطالبة بإطلاق سراح المحامي فتحي تربل... تفاعل الجميع وصهرت النار التي واجهوها بصدورهم العارية وزغاريد النساء وإصرار الشباب وعزيمة الرجال فكرتهم السياسية لتنتج ائتلاف 17 فبراير ليقوم بدور تاريخي بين الشباب والمحامين لإدارة الصراع في لحظاته المباشرة الأولى... إلى أن تشكلت المجالس المحلية في كافة المدن التي كانت تتحرر تباعاً، لإدارة شؤون المدن والبلدات تحت إشراف الائتلاف... وصولاً إلى تشكيل المجلس الوطني الانتقالي كسلطة سياسية في 2/ 3/ 2011 وهو تتويج لخيارات الناس في مدنها وقدمت للمجلس أجيالها وشبابها ليقودوا المرحلة الانتقالية الأصعب في كل ثورات العالم من ميدان عمر المختار إلى ميدان جمال عبد الناصر مروراً بشارع عمرو بن العاص إلى ميدان الشجرة قرب البحيرة. اقتحم المتظاهرون مراكز السلطة والتسلط، بصدور الشباب العارية وقبضات النساء - وصراخهن، فسقط الشهداء أمام كل مؤسسة كان رجال القذافي يطلقون النار فيها على الجموع الثائرة حتى سقطت جميعها أمام إصرار وعناد وإيمان الثائرين.

صور معمر القذافي الكبيرة المنتشرة في كل مكان، المثابة الثورية، مركز دراسات الكتاب الأخضر، المثابة العالمية، مركز هدى بن عامر التي يكرهها أهالي بني غازي خاصة الذين شاهدوها تشد أقدام المشنوقين من شباب جامعاتها.

كانت محكمة بني غازي عنوان التحرك الدائم ضد القذافي وأبناؤها يذكرون وقفات عبد الحفيظ غوقة ومفتاح قويدير وفتحي تربل... وبعد نجاح الثورة تحولت جدرانها إلى مسرح عرضت على جنباته صور الذين قتلهم القذافي رجالاً وشباباً وأطفالاً ونساء، مدنيين وعسكريين، مثقفين وعمالاً...

بني غازي تضم كل ليبيا

ولكي نكون منصفين فإن بني غازي لا تضم فقط أبناءها فهي عدا عن كونها العاصمة الثانية التي تستقطب بمؤسساتها المختلفة أبناء المنطقة الشرقية، فإنها أيضاً مقر سكن وعمل وذكريات أبناء ليبيا كلها من طرابلس ومصراته وسبها والكفره والزاوية - وكل مكان في ليبيا أرسل تعبيراً عنه إلى هذه المدينة فشارك الجميع في ثورتها الباسلة.

كان حجم المشاركة الشعبية في الثورة كبيراً إلى درجة أعجزت أجهزة الأمن الليبية عن مواجهتها، رغم كثافتها في هذه المنطقة، ففتح العقيد سجون المنطقة كلها وأخرج مجرميها، وأصحاب السوابق ووزع عليهم السلاح، ومنح كل واحد منهم مبلغ 5 آلاف دينار كي يقتل من استطاع من المتظاهرين ويمنع تقدمهم نحو أي مؤسسة للنظام.

أحد رجال القذافي في الحلقة الأولى معه في المنطقة الشرقية عمر إشكال، تحرك في اللحظة الأولى وجمع فاعليات السلطة وطلب من كل مسؤول مؤتمر شعبي 50 عنصراً ليندسوا بين المتظاهرين، ووزعهم على سيارات لتدوس الناس وتسعى إلى تفريقهم.

كانت التوصيات قد وصلت إلى جماعات العقيد في بني غازي ثم في طرابلس، أن ادخلوا بين المتظاهرين، واهتفوا معهم ضد المؤتمرات الشعبية، وهذا الأمين أو ذاك، أما إذا وصل الهتاف ضد العقيد فلا ترحموا أحداً اقتلوا بالسكاكين، بالخناجر لإلزام الناس على التفرق.

كانت المعركة الكبرى هي يوم 20/ 2/ 2011 وهي معركة معسكر الفضيل، وهو داخل مدينة بني غازي، ويحمل اسم أبو عمر الفضيل أحد المجاهدين مع قائد ثورة ليبيا الأهم عمر المختار.

في هذا المعسكر مبانٍ عديدة للسكن والحرس والإقامات المدنية، والاستراحات، وعقد المؤتمرات، وكان القذافي وعائلته يسكن في إحدى استراحاته عندما يزور بني غازي.

كان المعسكر محصناً من جميع النواحي، وكان من فيه يحكم بني غازي والمنطقة الشرقية درنة والبيضا التي كانت سبقت بني غازي بالثورة وأرسلت إليها مساعدات مباشرة لنجدتها، مما كان له أثر مهم في تحرير المدينة من قوات القذافي في بني غازي.

كان إسقاط معسكر الفضيل هو بوابة تحرير بني غازي وكانت حراساته العالية تكشف جزءاً كبيراً من شوارع بني غازي فكان لا بد من اقتحامه بالسلاح. وقد توفر منه الكثير عند الشباب الثائر بعد أن جاءتهم النجدة من طبرق ودرنة والبيضا، وبعد أن سقطت مقرات القذافي داخل بني غازي بما فيها من أسلحة.

أدى الإسلاميون الذين كانوا في جماعات مختلفة ضد أجهزة القذافي طيلة عقدين من الزمان أدواراً بطولية في تحرير بني غازي وقد سقط منهم العشرات، حتى تمكن شباب بني غازي الأحرار من السيطرة على الفضيل... كانت الأغلبية التي نزلت إلى الشوارع لتقود الثورة هي من الشباب الوطني المستقل الذي لم يكن ينتمي إلى أي جهة حزبية سواء كانت دينية أو غيرها، علماً بأن الحياة السياسية في ليبيا كانت حكراً على مؤتمرات وجماعات العقيد ولجانه وأسمائه الغريبة.

عندما احتل شباب بني غازي معسكر الفضيل وجد داخلها عشرات القتلى مكبلين مربوطي الأيدي إلى الخلف. يقول شباب من بني غازي أنهم اكتشفوا داخل المعسكر نفقين، الأول طوله نحو 5 كلم يوصل إلى البحر، والثاني يوصل إلى عمارات الـ700.

ويقولون إن عدداً من أفراد الكتيبة خلعوا ملابسهم العسكرية واندسوا بين المتظاهرين وبعضهم اعتبره القذافي من الخلايا النائمة التي كان يوقظها بين الحين والآخر لتنفيذ عمليات ضد الثوار أو محاولات اغتيال أو تفجير سيارات مفخخة مثلما حصل أمام فندق تيبستي (مرتان خلال شهر واحد) وهؤلاء استند إليهم عندما أعلن قبل زحفه العسكري على بني غازي الذي أوقفه القرار 1973 الصادر عن مجلس الأمن أنه سيحركهم للانقضاض على الثوار.

وبسبب وعي الثوار وانضمام عناصر أمنية لهم وانضمام وزير الداخلية اللواء عبد الفتاح يونس، وكان سابقاً آمر قوات الصاعقة للثورة تم كشف أعداد كبيرة من مقاتلي القذافي في بني غازي.

والجدير ذكره أن القذافي كان تحدث عن أن الثوار أسروا يونس مطالباً بإطلاق سراحه متحدثاً عن إخلاصه وأخلاقه وثوريته، قبل أن يخرج اللواء عبد الفتاح للإعلام ليؤكد انضمامه للثورة على القذافي وراح الليبيون يرددون الأغنية التي قدمها مطرب ليبيا الأول محمد حسن وتقول كلماتها:

يا قائد ثورتنا على دربك طوالي

يا مخلي رايتنا مرفوعة في العالي

فأصبحت بعد الثورة:

يا قائد ثورتنا على قبرك طوالي

يا مخلي رايتنا ما يقبلها والي

يا موزع ثروتنا على تشاد ومالي

ووجهك على شكلك مثل الجيبالي (الحذاء)

ردد الثوار هذه الأهزوجة وهم في حالة نشوة غير مسبوقة، مستذكرين حديث الساعدي ابن القذافي الإذاعي وهو يعدهم إذا هدأت الثورة أن يجعل بني غازي جنة خلال ثلاثة أو أربعة أشهر، والبعض كان عندما استمع إلى حديث الولد من إذاعة المدينة يتساءل هل ما زال هذا الولد في مدينتنا، وهل هو فعلاً في مبنى الإذاعة، أو في إحدى زوايا معسكر الفضيل، أو هو هارب إلى فندق أوزو، أم أنه يتحدث من إحدى سيارات الموكب الذي جاء به عبد الله السنوسي لينقذ ابن زعيمه وضم 1500 مقاتل.

ثورة طرابلس

وهل يمكن أن نغفل دور طرابلس في الثورة؟

نزلت تظاهرات الناس في شوارع طرابلس ضد الطاغية وأبنائه نزول الصاعقة على معمر ومن حوله، وكان قد عاد لتوه من استعراض ليلي ركب فيه سيارة مكشوفة يحيي مرتزقة ليظهر نفسه قائداً للثورة الشعبية... ضده!!

كانوا بالعشرات يهتفون في شارع الجمهورية في العاصمة «بالروح بالدم نفديكِ يا بني غازي» وكان خبر قتل أمن القذافي لأربعة متظاهرين في العاصمة الثانية قد وصل الطرابلسيين.

كان مرتزقة القذافي بالآلاف في الشوارع فأطلق بعضهم النار على التظاهرة الصغيرة. فسقط 15 بين قتيل وجريح، أي أن ربع التظاهرة أصيب في أول مواجهة، وليس في الأمر غرابة فجنود القذافي وأولاده كانوا أكثر عدداً من أعمدة الكهرباء وشجر

الجوانب وعمارات الشوارع.

وكان مرتزقة العقيد يقودون سيارات (station) بسرعة جنونية، يظهرون السلاح من نوافذها ويدوسون قهراً كل من يقابلهم في الشارع، في غوط الشعال، الدريبي قرقارش، قورجي ويشتمون من يرونه على ندرة الظهور.

كان تهديد الفتيات علناً وبالكلام البذيء والإشارات الفاضحة... وعصابات المرتزقة تقتحم البيوت لتعتقل المئات في كل أحياء طرابلس، والناس على إصرارها بالخروج.

كانت المواجهة في الأيام الأولى حرب إبادة، خرج المصلون من جامع مراد في تاجوراء، وساروا نحو 25 كيلومتراً وكلما قطعوا مسافة تزايدت أعدادُ المتظاهرين إلى أن وصلوا إلى منطقة عرادة - والشرطة العسكرية خلفهم - من السرايا الحمرا خرج عليهم القذافي صارخاً إلى الأمام إلى الأمام... فخرجت إلى الجموع مجموعات قناصة العقيد لتطلق النار على الجموع وقد بلغوا الـ20 ألف متظاهر، فسقط أكثر من مئة قتيل... رفض أمن القذافي تسليم جثث القتلى لأهاليهم بل حملهم إلى ثلاجات وكدسهم فوق بعضهم، كان ينوي شراً فجاءه شر آخر، كان يريد معاقبة الأهالي كيف يسمحوا لأولادهم بالنزول إلى الشارع ضده، فلما طال انتظاره لمجيء الصابرين، كانت طائرات النيتو قد بدأت عملها بعد نحو شهر... فإذا به يخرج جثث الشباب الذين قتلهم ليعرضهم كأنهم ضحايا قصف طائرات الأطلسي.

في 20 فبراير خرج الأهالي في تظاهرات في شارعي النصر والجمهورية وفي مناطق فشلوم والمنصورة وقرقارش... وشاركهم شباب النجدة الذين خلعوا ملابسهم الرسمية وانضموا إلى التظاهرة الأهلية، وكان القذافي يعد كميناً جديداً لأهل طرابلس... حيث سرب جماعته خبر هروبه إلى فنزويلا للجوء عند صديقه هوغو تشافيز، فخرجت طرابلس عن بكرة أبيها إلى الساحة الخضراء للاحتفال بسقوط الطاغية، ولم يبقَ أثر على وجوده إلا وطالته يد التدمير انتقاماً وتشفياً من هذا المستبد المجنون، فتم تدمير لوحة الوثيقة الخضراء وإعلان سلطة الشعب، والمنصة التي يستعرض فيها العقيد قوته أمام العالم، ولم يبقَ في طرابلس صورة للعقيد بكل ملابسه وألوانها وأشكالها إلا ومزقت.

وفي غمرة الاحتفال بالنصر... خرج مرتزقة العقيد: قناصة، جنود، آليات، مضادات للطائرات. أطلق حاملوها كل ما يملكون من ذخائر فحصدوا 800 نفس بشرية ليبية،

وأصيب الآلاف.

كان قناصة القذافي متمترسين أمام بوابات العمارات وكل من كان يقترب من أي منها للهرب يتلقى الرصاص في رأسه وصدره وبطنه... ومن يهرب في اتجاه آخر يواجه المصير نفسه... حتى أن بعض المتظاهرين رمى نفسه في البحر عله ينجو.

كان معمر القذافي طاغية، فكانت الكراهية في نفسه أشد طغياناً، على كل ليبيا وشعبها المظلوم... ولم تنجُ مدينة أو بلدة أو قرية أو إنسان في ليبيا من هذه الكراهية، وهو كان يجرها ويرغمها على شرب مائه المالحة، ويغرقها في جوفه المدلهم، ويتلاعب بمصيرها عبر موجه المتلاطم، ولا تأمن سفينة صيد عبوره ولا ركاب أو سابحون أو ناظرون.

من طرابلس بدأ ثم بدأ الكراهية ضد بني غازي ثم نشر كراهيته في سرت هارباً إليها في جوف الأمن وجلاوزته.

في طرابلس أظهر الحقد على الرسول العربي الأكرم، وفي جامع مولاي محمد عام 1978، امتدح علمانية كمال أتاتورك، ونبذ السنَّة النبوية، وطرح الكتاب الأخضر بديلاً لها.

عرف العقيد أن أهل طرابلس المؤمنين لن يرضوا بهذا التجديف، وهو يضمر لهم الشر جبالاً... تفجرت بتسوية مسجد سيدي حمودة بالأرض، وهو على أحد أطراف ميدان الشهداء، وهذا المسجد قيمة وطنية ومعنوية وتاريخية بالنسبة للطرابلسيين بل لكل الليبيين.

بعض الليبيين وصفوا تسوية هذا المسجد بالأرض... بأنه يساوي نقل ضريح عمر المختار في بني غازي من مكانه... كما هدم التحفة المعمارية الموروثة عن عهد الطليان المعتمدة كمجلس للوزراء في طرابلس.

في الساحة الخضراء التي أقيمت على أحزان هدم الجمال ليحل القبح ورثاً سفاحاً لها، أطلق معمر القذافي كراهيته للناس، صادر أملاكها، أذل نفوس رجالها، وأطلق العنان لمرتزقته بهتك أعراض النساء، ثم هدر كرامات الشباب وجرهم إلى احتفالاته ليهتفوا للقائد المفكر الملهم المتأله المتصابي المتراهق.

لم تنج ناحية في ليبيا من عدوانية معمر ونفسيته المريضة، ولن تمحو غياهب السنين ذكرى دماره لوطن وشعب ونفوس وتاريخ وحواضر...

ألا تؤشر كل هذه الموبقات إلى حتمية الثورة مهما كانت تضحياتها... لقد فعلها الليبيون وأزاحوا جبلاً عن صدورهم، أزاحوا الطاغية.

الثوار يمحون اسم العظيم عن لائحة النهر الصناعي

شطبت الجماهير الليبية الثائرة في شوارع بني غازي كلمة العظيم في كل لوحة جدار أو لائحة أو إشارة تحمل اسم النهر الصناعي، تعبيراً عن غضبها واستهزائها من هذه الصفة التي باتت في قاموس القذافي مرادفة لأعماله في كل مجال، فما هو هذا المشروع؟

اعتاد الإعلام الليبي إطلاق اسم مهندس مشروع النهر الصناعي العظيم، الأخ القائد معمر القذافي، منذ بداية عمل هذا المشروع عام 1984، لكنه منذ عدة سنوات توقف عن استخدام هذا الوصف ولم يعد اسم القذافي يرد في أي صلة مع هذا المشروع.

وقد فسر كثيرون هذا الإلغاء بأنه محاولة من العقيد لتجنب تحمل نتائج نضوب مياه هذا النهر، في وقت قريب، رغم أن القذافي كان يعلم قبل بدء المشروع أن الحد الأدنى لاستمرار استخراج المياه هو 50 عاماً قادمة.

اعتمد معمر القذافي شركة كورية جنوبية لإقامة هذا المشروع، في وقت يعرف فيه العالم كله أن كوريا الجنوبية تنفذ سياسات الولايات المتحدة الأميركية بنسبة 100٪ وأن مسؤوليها من رئيس الجمهورية حتى آخر موظف هم أصدقاء مخلصون لأميركا في وقت كان فيه الاتحاد السوفياتي حامياً لهذا النظام ويساعده عسكرياً واقتصادياً وأمنياً.

المشروع الليبي الذي تنفذه كوريا الجنوبية يعتمد على إمداد المياه عبر أنبوب واحد بينما كان الاتحاد السوفياتي عرض تمديدات من مكان النهر إلى كل المدن والنواحي الليبية عبر 3 أنابيب.

وهناك نظريتان حول جدوى هذا النهر الذي قيل أن تكاليفه لن تزيد عن 16 مليار دولار للمشروع بأكمله وها قد انتهت المرحلة الثانية منه حتى الآن، وبقيت المرحلة الثالثة وزادت تكلفته عن 27 مليار دولار.

النظرية الأولى تقول إن هذا النهر سيجف نهائياً بعد خمسين سنة من تاريخ عام 1990 أي عام 2040، حيث أن هذا النهر ليس نهراً جارياً وينابيع متفجرة ليتم تغذيتها من مصادر مختلفة كما الأنهر الضخمة المستمرة عبر التاريخ، إنما هو بحيرة محصورة في

باطن الأرض يتم تغذيتها بمياه الأمطار فقط وليست لديه مصادر أخرى.

ويستدلون على ذلك بأن عدداً كبيراً من الواحات حوله التي تأخذ اسمها أو صفتها من توفر المياه فيها تنضب مياهها سنة بعد سنة. وأنه في الوقت الذي كان فيه الحفر لأقل من متر للحصول على المياه بات يحتاج الآن الحفر إلى 14 أو 15 متراً للحصول على هذه المياه مما يدل أن عمليات نقل المياه عبر النهر إلى أنحاء ليبيا تسحب من مياه هذه الواحات.

النظرية الثانية تؤكد أن هذا النهر سيستمر بالتدفق لمدة 200 سنة وأن هناك نهرين: نهر صغير يجري الآن استغلاله ونهر كبير لم يتم استغلاله بعد وهما متصلان ببعضهما وعندما ينضب الأول يتم الاستعانة بالآخر.

ومع هذا فإن إعلام القذافي يصر على أن هذا المشروع هو أهم من مشروع السد العالي في مصر.

الفصل الثاني

شهادات حيّة عن شخصية
معمر القذافي الشاذة وجرائمه

- الهوني وواقعة استقبال تيتو
- الزوي وواقعة استقبال الملك الحسن الثاني
- الفقيه وواقعة لقاء القذافي وبودغورني
- في فضيحة محاولة اغتيال محمد المقريف
- فضيحة محاولة اغتيال البكوش
- دعوة لطرد الشعب الليبي من أرضه
- إسقاط طائرة مدنية ليبية فوق طرابلس
- تشبيه
- قهر جماهير كرة القدم في طرابلس
- حديقة حيوانات المفكر معمر القذافي
- تصفية محمود نافع
- معمر يبيع النفط للمافيات
- حرس حافظ الأسد ينقذ معمر من محاولة اغتيال
- سيدة من درنة
- مأساة أحمد الزبير السنوسي

- جريمة قتل د. علي بن عروس
- توريط رسام الكاريكاتير محمد الزواوي
- عزل منشئ التاريخ الليبي الشيخ طاهر الزواوي
- مأساة عائلة التومي
- قصة سليمان شعيب مع القذافي
- محاولتان لقتل القذافي
- عبد الحفيظ وعبد القادر غوقة في مواجهات مع معمر
- إسقاط البان أميركان فوق لوكوربي
- الفارس الخامس
- القذافي يصفي الساحة الوطنية
- قصة عام 1980
- حردان التكريتي في طرابلس ناصحاً
- معمر القذافي يحقن أطفال بني غازي بالإيدز
- خطف منصور الكيخيا
- لا نجومية

شهادات حيّة
عن شخصية معمر القذافي الشاذة

الهوني وواقعة استقبال تيتو

شهادة من شريكه في ثورة الفاتح الرائد عبد المنعم الهوني وقد رافقه منذ نجاح الثورة في 1/ 9/ 1969 حتى تخليه عن النظام ولجوئه إلى مصر عام 1975.

يقول الهوني إنه عام 1970 جاء الرئيس جوزيف بروز تيتو في زيارة رسمية إلى ليبيا، وتيتو كان واحداً من أبرز قيادات العالم الثالث مع جمال عبد الناصر، وجواهر لال نهرو أبلغنا مندوبو القيادة في المطار أن طائرة تيتو وصلت إلى محيط طرابلس من البحر، وأنها أخذت إذناً بالهبوط بعد أن رافقتها الطائرات العسكرية الليبية، وكان علينا أن نتحرك نحو المطار، لكن القذافي تلكأ في التحرك دون أي مبرر... فقط كان يجلس ولا يتحدث، يسرح أحياناً، ثم يلتفت إلينا واحداً بعد الآخر حتى أتانا اتصال يقول فيه مندوب القيادة في المطار الرسمي، أن وقود طائرة تيتو يكاد ينفد بعد أن طلبنا منها أن تجول حول طرابلس عدة مرات، ولم يعد ممكناً ألا تهبط وعلينا أن نكون في المطار لاستقبال الرئيس اليوغسلافي.

يتابع الهوني انتزعنا القذافي من كرسيه بالقوة وأصعدناه بالسيارة ومشى موكبنا نحو المطار تسبقنا الدراجات النارية، وطول الطريق من مقر القيادة إلى المطار كانت سيارة العقيد تسير بالتواء مثير ومحيّر، وكنا نتساءل عن سبب سير عربة القذافي بهذه الطريقة، إلى أن فوجئنا بسيارة شحن ضخمة تحمل أكواماً من الحجارة ووجدنا دراجات الموكب التي ترافق سيارة العقيد تهرب بعد أن اخترقتها سيارة العقيد، تصطدم ثلاثة منها بالشاحنة الضخمة، ثم يشتعل جانب منها فيقتل ثلاثة دراجين وننهمك نحن في إطفاء الحريق ومحاولة إنقاذ المساكين دون جدوى. في اليوم التالي، قررت أن أترك هذا المجنون وأن أعود إلى مدينتي جنزور لأبتعد عن هذه الحالة الشاذة، لكن صديقيّ محمد المقريف (رحمه الله) والخويلدي الحميدي جاءاني وعملا على إقناعي بالعودة إلى طرابلس لأمارس دوري كما كان، قائلين لي نحن بأمسّ الحاجة لنكون سوية معه حتى لا نتركه يتصرف بهذه السلوكيات الغريبة. فأقنعاني بالعودة حتى نبقى معاً.

الزوي وواقعة استقبال الملك الحسن الثاني

ويروي أمين مؤتمر الشعب العام في جماهيرية القذافي، أي رئيس الجمهورية في بلاد العالم الأخرى، أن العقيد معمر القذافي دعا الملك المغربي الحسن الثاني بمناسبة احتفالات ليبيا بذكرى الفاتح من سبتمبر العشرين (1989) وأن الحسن الثاني جاء إلى ليبيا بحراً في باخرة كبيرة جمع فيها معظم أركان الدولة المغربية، وحتى نجليه مولاي محمد (الملك محمد السادس الآن) ومولاي رشيد، حتى أن كثيراً من المغاربة انتقدوا الملك على هذا الحشد الذي جمعه معه للذهاب إلى ليبيا ومع افتراض حصول أي مكروه لباخرة الملك ووفده الكبير فإن هذا كان سيترك فراغاً كبيراً في المغرب يصعب ملؤه. وكان تبرير هذه الرحلة بهذه الضخامة أن الملك كان يريد تعزيز علاقته مع القذافي ليتراجع هذا الأخير عن دعم البوليساريو التي ترهق المغرب في حرب ضروس تستنزف جزءاً كبيراً من ميزانية المغرب. وصلت باخرة الملك تقله ووفده إلى ميناء طرابلس، وكان من المفترض أن يتوجه القذافي إلى الباخرة لاستقبال ضيفه الكبير أو على الأقل أن ينتظره عند المرفأ.

رست باخرة الملك المغربي في المرفأ الليبي، في انتظار مجيء معمر والأخير غائب وسفير ليبيا في المغرب محمد أبو القاسم الزوي كان في الباخرة لمرافقة الملك المغربي يجامل الملك ويحادثه ويبرر له التأخير بأن القائد في مطار قريب يستقبل عدداً من الرؤساء والملوك القادمين من كل بلاد العالم للمشاركة في احتفالات الفاتح، مضى نحو ساعتين والملك ينتظر وصول معمر القذافي حتى جاء الأخير بعد طول انتظار وتعمّد أن يصعد الباخرة وحوله حشد كبير من جماعاته وكلهم من الأمن الليبي وما أن تعانق الملك والعقيد حتى امتلأ المكان بجماعة الأمن الليبي الذين أحدثوا جلبة وضجة، ضاع فيها الملك المغربي وسط الزحام، وتلقى مولاي محمد (الملك محمد السادس) لكمة على بطنه وسط الزحام واضطر وزير الداخلية المغربي إدريس البصري المرافق للملك ووزير آخر معه إلى حمل مسدسيهما والبحث عن الحسن الثاني بين جموع الليبيين.

الفقيه وواقعة لقاء القذافي وبودغورني

ويروي الأديب الليبي د. أحمد إبراهيم الفقيه هذه الواقعة التي سمعها من القذافي مباشرة، فيقول:

خلال وجود القذافي ووفد معه في موسكو للقاء المسؤولين السوفيات. التقى مع رئيس الدولة السوفياتية يومها نيقولاي بودغورني، ومع أن السلطة الفعلية في الاتحاد السوفياتي كانت عند الأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي، لا عند رئيس الوزراء ولا عند رئيس الدولة، فإن العقيد حرص على لقاء بودغورني وكجزء من ترتيبات الزيارة.

خلال جلسة العمل بين الوفدين الليبي والسوفياتي، استأذن العقيد أن يدخن سيجاراً... على غير عادته لأن القذافي لا يدخن. وإن كان ينفث أحياناً لفافة تبغ أو أكثر كل عدة أيام أو أسابيع. أذن بودغورني للعقيد ومن معه أن يدخنوا، قائلاً إنه توقف عن التدخين منذ فترة بأمر من الأطباء... لكنه يتشوق دائماً لرائحة التبغ المشتعل ويتلذذ بذلك.

يروي القذافي أنه تناول سيجاراً كوبياً غالي الثمن وأشعل طرفه، وبات بعد كل مرة يسحب فيها نفساً من سيجاره الكوبي يتعمد أن ينفث دخانه في وجه بودغورني. حتى بات كل الحضور منتبهين إلى أن القذافي كان يتعمد ذلك ويتلذذ في إيذاء بودغورني والسخرية منه.

لكأن القذافي يقول لمن معه أنه يستطيع أن يهين رئيس أكبر دولة في العالم... دون أن يشعر بأي إحراج أو أن يعمل حساباً لأحد.

في فضيحة محاولة اغتيال محمد المقريف

بمحاولة اغتيال رئيس جبهة الإنقاذ الليبية د. محمد المقريّف وهو معارض للقذافي، هنا فضيحة الفضائح.

إذ إن مجموعة من اللجان الثورية والاستخبارات الليبية توجهت إلى القاهرة، ومنذ دخولها إلى الأراضي المصرية صورتها الاستخبارات وزرعت بين أفرادها عميلاً مزدوجاً، وكانت الاستخبارات تسجل بالصوت والصورة كل ما يدور في غرفهم، في الفندق الذي نزلوا فيه، كما تمكنوا من دخول غرفهم واستبدال الرصاص الحي في مسدساتهم برصاص صوت «فشنك».

هذه المجموعة هاجمت مقر الجبهة حيث كان المقريّف يعقد اجتماعاً وكانت الاستخبارات قد أعلمته بكل ما سيجري وطمأنته إلى أن كل الأمور تحت السيطرة. وهكذا دخلت هذه المجموعة فهاجمت الحرس وأطلقت عليهم «الرصاص» ثم اقتحمت

مكان اجتماع المقريّف وأطلقت الرصاص عليه.

وبعدها ألقت القوى الأمنية القبض على هذه المجموعة. الجدير ذكره أن كل أحاديث هذه المجموعة موجودة كوثائق لدى الاستخبارات في مصر، والمضحك أنهم كانوا يسخرون من الاستخبارات المصرية وبأنهم دخلوا البلاد واستقروا فيها لأيام ولم تكتشف الاستخبارات وجودهم، وهم لا يدرون أن كل تحركاتهم مرصودة منها وكل جلساتهم مصورة منذ دخولهم وإلى حين خروجهم ومعهم مسدساتهم «الفشنك».

فضيحة محاولة اغتيال البكوش

قرر معمر القذافي اغتيال رئيس وزراء ليبيا السابق عبد الحميد البكوش، الذي كان لجأ إلى مصر فكلف مجموعة أجنبية من المرتزقة (ألمان) لاغتياله لكن هذه المجموعة اتصلت بالاستخبارات المصرية وأطلعتهم على مهمتها في مصر فطلبت منهم الاستخبارات الاستمرار بالعملية. بعد أن وعدهم القذافي بأنه سيسلمهم 2 مليون دولار عند انتهاء العملية بنجاح في مالطا. فنسقوا مع الاستخبارات المصرية التي أمنت لهم رسم سيناريو اغتيال البكوش، فالتقطت الصور للبكوش وهو مرمي على الأرض والدماء على صدره، وأخذت هذه المجموعة الصور وسلمتها للقذافي وقبضت المال، وتبلغت الأجهزة المصرية أنها استلمت المال من القذافي وكانت هذه إشارة كي يعقد وزير الداخلية المصري، مؤتمراً صحفياً وكان إلى جانبه عبد الحميد البكوش نفسه وتم الإعلان عما حدث منذ دخول المجموعة المكلفة بالاغتيال لحين مغادرتها مصر وتسلمها للأموال في مالطا. كانت مهزلة والمهزلة الأكبر كانت في أن أجهزة الإعلام الليبية واللجان الثورية كانت أعلنت تصفيتها لكلب من الكلاب الضالة. لكن بعد كشف الفضيحة رد معمر القذافي بسيناريو مفبرك آخر، هو أن الناطقين باسم اللجان الثورية طلبوا من القائد (القذافي) أن يسمح لهم باغتيال البكوش لكنه رفض، إلا أن هذه اللجان أحبت أن تقوم بهذه التمثيلية التي انطلت على الاستخبارات المصرية، وصدقوا أننا نريد أن نغتال البكوش!!!

يريدها حمراء

في إحدى خطبه، وبعد أن شعر معمر القذافي بأن جمهور الحضور لا يتجاوب معه في مواقفه التي يعلنها، رغم التحريض الذي يستخدمه، ورغم أن المدعوين يتم

تهتم دائماً في مثل هذه اللقاءات بتلقينهم الشعارات التي يرفعونها، والهتافات التي يرددونها أمام القائد. فإن القذافي راح يصرخ في الناس: أنتم بلداء، لا تهتمون بالثورة، لأنها جاءتكم على طبق من ذهب، كانت ثورتنا بيضاء لم يرق فيه دم، ولو كانت ثورتنا كثورة فرنسا ملطخة بالدماء لحافظتم عليها، وتمسكتم بها وتحولتم إلى ثوريين حقيقيين.

كان يمنن الناس بأن الثورة جاءت بيضاء، وهذا أمر لم يعجبه، وهو يريدها حمراء ملطخة بالدماء... فقد كانت الدماء تستهويه، وكان يسعد كلما جاءه خبر تصفية معارض ليبي، أو شاهد صورته وهو مضرج بدمائه.

دعوة لطرد الشعب الليبي من أرضه

ليس هناك مَن لا يتذكر أن معمر القذافي هدّد الليبيين بأنه سيطردهم إلى الصحراء ليعيشوا فيها ليستحقوا العيش وسط الذئاب والأفاعي والعقارب لأنهم كسالى، وأنهم سيجدون المصريين والتوانسة يعملون في أرضهم التي يستحقون العيش فيها.

كان معمر يجد نفسه أكبر من ليبيا والليبيين، وأنه كثير عليهم وأنه خلق كي يحكم العالم، ولم يكن حقده مقتصراً على الشعب الليبي، فهو مارسه ضد المصريين الذين تعددت مرات طرد الآلاف منهم من ليبيا وهم القادمون للعمل والإعمار، والتدريس والمعرفة، وكذلك فعل مع أبناء تونس، أما أحقر ما فعله ضد شعب عربي فهو طرده للآلاف من أبناء فلسطين بعد توقيع ياسر عرفات اتفاقية أوسلو مع العدو الصهيوني في 13/ 9/ 1993 أرسلهم نساء وأطفالاً ورجالاً إلى الحدود المصرية، وتركهم عالقين في الصحراء، ليمر عليهم صيف قائظ بثعابينه وعقاربه، وشتاء بارد قارس صحراوي لم يتركهم دون الأمراض والموت صقيعاً.

إسقاط طائرة مدنية ليبية فوق طرابلس

على أحد جدران المثابة الثورية في بني غازي، وهي أحد مقرات اللجان التي تشرف عليها الاستخبارات التابعة للقذافي، التي كانت تحكم بني غازي بالحديد والنار كتب الجمهور الليبي الثائر ضد القذافي بعد أن أحرق الثوار المقر عبارة (من جرائم الطاغية تفجير الطائرة الليبية في 22/ 12/ 1992–157 شهيداً) وهو تاريخ تفجير طائرة لوكوربي الشهيرة.

ولم يعد في ليبيا من لم يعرف أن معمر القذافي أمر بنسف طائرة مدنية تحمل 157 إنساناً بين ركاب ومضيفين وملاحين - كانت في طريقها من مطار بني غازي إلى مدينة طرابلس العاصمة.

لماذا؟

لأن القذافي أراد أن يتهم الغرب بأنه هو الذي نسف هذه الطائرة، رداً على تأكد الغرب سياسياً وإعلامياً وأمنياً بأن الاستخبارات الليبية هي التي فجرت طائرة الـ «بان أميركان» فوق بلدة لوكوربي الاسكتلندية التي قتل فيها 270 إنساناً من مختلف الجنسيات ومعظمهم من الأميركان فضلاً عن مزارعين وسكان في البلدة الاسكتلندية.

من أجل محاولة إبعاد التهمة عن جماعته، ومن أجل زعم المقايضة بين نسف طائرة مدنية هنا وأخرى هناك فجر القذافي الطائرة المدنية الليبية ليقتل 157 إنساناً بريئاً.

القذافي أمر بتفجير الطائرة والذي أعد الخطة هو عديله عبد اللّٰه السنوسي (الاثنان مع ابن القذافي سيف الإسلام مطلوبون للمحكمة الجنائية الدولية لاتهامهم بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في ليبيا).

السنوسي هو الذي جاء بعبد الباسط المقرحي وهو ضابط في جهاز استخبارات السنوسي كي يضع المحفظة التي تحمل المتفجرات في الطائرة الأميركية، انتقاماً لما يعرف بالغارة الأميركية على ليبيا في نيسان/ أبريل 1986.

وعلى ذمة شهود ليبيين كما نقل عنهم رواة ثقات فإن عبد اللّٰه السنوسي وموسى كوسى كانا في مطار بني غازي قبل إقلاع الطائرة المدنية المنكوبة، واطّلعا على أسماء الركاب وراقبا الصاعدين إلى الطائرة ليتأكدا أن أحداً من معارفهما أو أصدقائهما أو أقربائهما لن يكون بين الركاب ليبعداه.

وعندما اكتشفا أن عائلة قريب من أحد زبانيتهم علي مرسي الشاعري بين الركاب منعوها من السفر، وقيل إن وزيراً في ليبيا هو إبراهيم بكار طلب من ابنه السفر من بني غازي إلى طرابلس براً دون ركوب الطائرة بعد أن أبلغه السنوسي أن هذه الرحلة محفوفة بالمخاطر، ففهم خطورة الأمر وأبعد ابنه عن السفر جواً.

فيما بعد قتل بكار في حادث سيارة كان يقودها وداهمتها شاحنة حطمت سيارة الوزير السابق.

وحرص السنوسي وكوسى على تغيير طاقم الطائرة بعد أن تبين أن بينهم من كان

متعاوناً معهم وبعضهم أقرباء لجماعاتهم... وفي سماء طرابلس انفجرت الطائرة المدنية الليبية بأيدي الاستخبارات الليبية.

تنبيه

- أعطيت الرحلة من بني غازي إلى طرابلس الرقم 103 وهو الرقم نفسه لطائرة بان أميركان التي أسقطت فوق لوكوربي.
- الاستخبارات الليبية التي وضعت محفظة محملة بالمتفجرات على متن الطائرة المدنية الليبية تنفجر بركابها، خشيت إذا انفجرت في غير توقيتها أو في مطار طرابلس أن تصيب جماعاتها في المطار، فقررت أن تلجأ إلى أسلوب آخر وهي أن يتم تفجير الطائرة من الجو بواسطة طائرة عسكرية ليبية.
- لقد تم تبديل طاقم الطائرة الأصلي كله، وقد تبين أن صهر وزير الخارجية يومها علي عبد السلام التريكي وهو من جماعة القذافي هو قائد الطائرة، فقادها مكانه الطيار علي الفقيه وقد قتل ضمن مَن سقط في الطائرة المنكوبة.
- زعم القذافي بعد إسقاط الطائرة أنها سقطت بسبب انعدام قطع غيار فيها، إثر الحصار الغربي الذي منع استيراد القطع ضمن الممنوعات الواسعة.

في توكيد بأن بذرة الشر والعنف كانت قوية في نفس وعقل وسلوك القذافي باكراً جداً، يقول زميله في مجلس قيادة الثورة الرائد عبد المنعم الهوني أن القذافي طلب منه كوزير للداخلية أن يتخلص من صحافي لبناني كتب في بيروت مقالاً انتقد فيه معمر بقسوة، وقال القذافي للهوني يجب أن نتخلص من هذا الصحافي مثلما تخلص عبد الناصر من كامل مروة.

استهولت الأمر - يقول الهوني - وقال إن هذا الأمر سيجعل ليبيا الثورة تخسر لبنان، الذي يحبك وأنت شاهدت كيف زحف اللبنانيون إلى مطار بيروت الدولي عام 1970 لاستقبالك، وكيف صفقوا لك، فلا تخسر هذا الشعب العظيم الذي يحبك بلحظة غضب.

ظننت أن مرور الأيام سينسي العقيد هذا الأمر بعد أن يتراجع غضبه، لكن معمر انتهز فرصة وجود فصائل فلسطينية وأحزاب لبنانية في طرابلس ليطلب منها أن تخلصه من هذا الصحافي وبعض أعضاء هذا الوفد المشترك عرج على الهوني ليبلغه طلب

العقيد... فثار الهوني وقال لهم أبداً... هذا إنسان، وليس حشرة أو دابة يتم التخلص منها.

لقد أقنعته بالهدنة، وأننا يمكن أن نقرص أُذن الصحافي دون أن نؤذيه.

بعد أيام انفجرت سيارة الصحافي في بيروت وهو لم يكن بداخلها، فغضب القذافي وكان يريد أن يسمع أنه قتل...

يقول الهوني كان الحقد المرضي مسيطراً على معمر باكراً وبالمناسبة يقول الهوني: إنه سأل مدير مكتب جمال عبد الناصر سامي شرف إن كانت الاستخبارات المصرية وراء قتل رئيس تحرير وصاحب جريدة «الحياة» الصحافي كامل مروة، فنفى ذلك وقال أقسم بالله أن مصر لم تكن على علم بهذه الجريمة، لا الأمن ولا السفارة ولا أي مسؤول مصري، وكل ما في الأمر وفق تحقيقاتنا التي أجريناها أن إبراهيم قليلات، وكان يحب جمال عبد الناصر كثيراً كلف جماعته للتخلص من مروة لأنه حسب رأي إبراهيم كان عدواً لعبد الناصر وكان يشتمه في جريدته ويتناول سياسته بالنقد الشديد.

قمع جماهير كرة القدم في طرابلس

1988، في ملعب 11 يونيو في طرابلس احتشد آلاف الليبيين من مشجعي كرة القدم ينتظرون مباراة فريقهم القومي مع الفريق الجزائري الوطني لتصفيات كأس العالم عام 1990.

تبلّغ الجمهور المتحمس أن القذافي أمر بإلغاء المباراة والانسحاب لمصلحة الفريق الجزائري.

لم تصدق الجماهير أول الأمر، وازداد التوافد على الملعب المكتظ، وازداد التوتر العصبي بين الحضور، وكلما لاح خيال من مخرج اللاعبين ومدخلهم هتفت الناس، دون جدوى فلم يحضر أو ينزل لاعب إلى المستطيل الأخضر.

نزل شابان أرض الملعب وتبادلا القذف بزجاجة ماء فارغة حتى أدخلها أحدهما المرمى فهتفت الجماهير فرحى، وتطورت الفرحة إلى صراخ لا إله إلا اللّٰه والقذافي عدو الله... حطم الجمهور الكراسي ونزلوا الملعب ليصبح ساحتهم، حاول بعضهم إشعال النار في النجيل دون جدوى لأنه مصنوع من عشب صناعي يصعب تفاعله مع نار عادية.

هجموا إلى منصة الشرف حطموا زجاجها، اقتلعوا المقاعد الخشبية، أضرموا النار في كل ما يمكن إشعاله ازداد الهياج واندفعت الجموع خارجاً نحو المدينة، قابلتهم

عناصر الأمن كل منهم يركع على رجل واحدة في حركة استعداد لإطلاق النار، الذي انهمر غزيراً، سقط البعض وتفرّق آخرون نحو الساحة الخضراء عن طريق قورجي ومنهم من توجه إلى حي قدّح المجاور للملعب.

كان الجنود يطلقون النار على أجساد المتظاهرين الغاضبين وهؤلاء يردون بإلقاء ما توفر بين أيديهم من حجارة وركام. فسقط بين 10 و20 قتيلاً أشهرهم أمهر سباحي ليبيا واسمه جلول ومعه أحد أفراد عائلته.

في الساحة الخضراء زادت غزارة الرصاص الحي على الناس فتفرقوا في كل اتجاه.

لم ينشر أحد خبراً عن هذه المجزرة... وحده معمر القذافي خرج ليقول: إن الشعب الذي يثور على نفسه يستحق القتل، وأمر بإلغاء الدوري الليبي لسنوات.

حديقة حيوانات المفكر معمر القذافي

تبدأ هذه الغرائب بقراءة العبارة التالية:

افتتح المفكر معمر القذافي حديقة حيوانات غابة النصر في طرابلس وهي عبارة كتبت فوق لوحة رخامية عند مدخل هذه الحديقة الطرابلسية.

كان معمر القذافي ينذر الليبيين دوماً بالموت، مردداً في خطبه أن كل هذه الحدائق والملاهي والعمارات والمشاريع والجسور زائلة لأن قطار الموت سيأتيكم... وكان يقصد بذلك إسرائيل.

لذا زرع شواطئ الساحل الليبي كله بالألغام تحت عنوان تحصين الشواطئ الليبية من الأعداء، والهم الأكبر الذي يواجه العهد الجديد في ليبيا هو إزالة هذه الألغام بالملايين على طول مئات الكيلومترات.

وقيل إن ابن عم العقيد سيد قذاف الدم يحتفظ بخرائط هذه الألغام، ويؤكد هذه المعلومة الأديب الليبي أحمد إبراهيم الفقيه وأنه طلب من سيد هذا الأمر فأكد له أنها محفوظة.

وبمناسبة الحديث عن الغرائب وسيد، فإن هذا الأخير كان مدمناً شرساً على الكحول، (وعندما يشرب سيد يتحول إلى إنسان شرس قليل الأدب يصرخ ويضرب)، وهو يشربها منذ لحظة مغادرته سرير النوم صباحاً، وأن القذافي كان يعرف عادة سيد السيئة هذه، وقد تعمد أن يعينه سفيراً فوق العادة في مصر في عهد حسني مبارك. لكي

يتسلى بحوادث تروى عند زيارة سيد للرئيس المصري. منتظراً أن يشكو مبارك سلوك سيد فيضحك القذافي.

وعندما جاء سيد قذاف الدم إلى القاهرة. وكان عليه تقديم أوراق اعتماده إلى وزير الخارجية يومها دكتور عمرو موسى، حاول مرافقوه أن يأتوه باكراً قبل أن يشرب الكحول، لكنهم وجدوه قد شرب حتى التعتعة قبل حضورهم صباحاً.

توجهوا إلى وزارة الخارجية وسيد قذاف الدم يصرخ ويضحك ويضرب في السيارة الدبلوماسية، وعندما دخلوا الخارجية وجدوا عمرو موسى يعقد اجتماعاً طارئاً، ويبدو أنه كان أبلغ عن سلوك سيد قذاف الدم. فخرج من الاجتماع وتوجه نحو سيد وتسلم منه أوراق الاعتماد ثم هرول عائداً إلى الاجتماع المزعوم قبل أن ينتبه سيد إلى ما جرى.

يعيش سيد شقيق أحمد حالياً مقعداً، إثر إصابة قدميه في انفجار سيارة حديثة كان يجربها في معسكر كان يشرف عليه ولم يعرف إن كان هو المقصود أم أحد قادة المعسكر من الضباط الكبار.

تصفية محمود نافع

أنت محمود عبد السلام نافع؟

نعم.

هيا معنا؟

يأخذ الأمن الليبي المحامي الشهير من منزله إلى السجن، ليبقى فيه نحو سنة ونصف... لا يكلمه أحد، ولا يسمع إجابة من أحد إذا تكلم.

وبعد ذلك يسمع سؤالاً ثانياً: أنت محمود عبد السلام نافع؟ فيجيب نعم.

هيا معانا.

يعود نافع إلى منزله... ثم يغادر إلى لندن حيث زوجه بريطانية فيعمل لتأمين معيشته بترجمة قوانين العمل والاستثمار في ليبيا إلى الإنجليزية كي يفهمها الإنجليز بعد أن أمر القذافي بمنع اعتماد لغة إلا العربية.

يجمع نافع مبلغاً من المال ويقرر أن يهاجر إلى أستراليا، لشراء مزرعة صغيرة يمضي فيها بقية حياته بالاتفاق مع زوجه...

ولأنه كان ينفذ بعض الترجمات للدولة الليبية فقد عاد إلى طرابلس ليقبض

مستحقاته من بلده، فلما حصل عليها وغادر إلى لندن ليجهز نفسه للذهاب إلى بريطانيا قُتل في العاصمة لندن.

وما هي التهمة؟

إنه أثناء عمله كمحام اهتم بترتيب أمور اليهود الليبيين الذين غادروا ليبيا، واعتماد المسائل القانونية التي تضمن حقوق الليبيين الذين سكنوا عقارات اليهود المهاجرين بأمر القذافي نفسه.

شهرت أجهزة أمن وإعلام القذافي بالرجل، وكان قرار اللجان الثورية بقتله، باعتباره من الكلاب الضالة!!

وكان زميل نافع في تولي هذه القضايا أيضاً عبد المجيد القعود وهو من جماعة العقيد، تمت ترقيته وأصبح وزيراً ويشرف على مؤسسات اجتماعية واقتصادية كبيرة في البلاد.

قيل لأن نافع كان من البعثيين العراقيين المعروفين في ليبيا... قبل الثورة.

المحامي التهامي، هو أحد الذين تم تكليفهم من قبل الدولة الليبية، بالدفاع عن الملك إدريس السنوسي أثناء محاكمته بتهمة الفساد.

قام التهامي بدوره على خير ما يرام كمحامٍ لأن مهمة الرجل القانونية والمهنية أن يدافع عن موكله، علماً بأن القذافي هو الذي سمّاه للدفاع عن الملك.

بعد المحكمة... اختفى التهامي... فلما التقاه زملاء له بعد سنوات سألوه... أين كنت مختفياً... فقال: وراء الشمس ثم روى حكايته والابتعاد عن الجميع.

معمر يبيع النفط للمافيات

كان معمر القذافي يبيع النفط خارج اتفاقية منظمة الأوبك، بواسطة مافيات عالمية تسيطر على مساحة واسعة من تجارة النفط، وكانت هذه العصابات تدفع أثمان النفط الليبي نقداً، وكان العقيد يحتفظ بالمال الذي تحمله هذه المافيات بالحاويات (مستوعبات - كونتينرز) في أماكن مختلفة من المناطق التي كان يثق بأهلها ويجند شباباً منهم في حراساته الأمنية وأجهزته القمعية.

وعندما اندلعت الثورة وبدأ الحصار يضيق على نظام العقيد، تبين أن كل مصاريفه التي يحتاجها ويشتري بها المرتزقة يتم دفع مستحقاتها بالدولارات أو اليورو لأنه بات يفتقد الدنانير الليبية.

وكان القذافي أنشأ في الثمانينات شركة برئاسة منصور أبو النيران تعمل خارج إطار مؤسسة النفط الرسمية، ووفر لها العقيد حقول نفط وميناء، وأنابيب تمتد من الحقول إلى الميناء.

استمر عمل منصور أبو النيران عقدين من الزمان، وفي منتصف العقد الأول من القرن 21، تولى سيف الإسلام إدارة شؤون النفط، وفق أقوال وزير الصناعة الذي انشق عن العقيد مع بداية الثورة فتحي شنوان.

كانت ميزانية مؤسسة واحدة في ليبيا صورة عن طريقة وأسلوب صرف مستحقاتها في قضية المؤسسات.

100 مليون دولار كانت ميزانية شركة النقل البحري وفق أقوال مدير شؤونها المالية والإدارية عمر المعمراني، لم يكن يصل منها إلى الإدارة سوى مليون دولار فقط تدفع رواتب للموظفين، وكان باقي المبلغ يحول إلى خزائن القذافي وأبنائه.

ولم تكن الرواتب تصل صافية إلى جيوب الموظفين، وقد أحصى الليبيون ضرائب لا تحصى تسرق من رواتبهم حاجاتهم الأساسية.

فعند قبض كل موظف ليبي لراتبه يجد أن ديناراً يحسم للجهاد، وآخر يحسم للنهر الصناعي، و15 ديناراً قفص دجاج (في سنوات الحصار فرض القذافي على الليبيين تربية الدجاج كي يوفروا غذاءهم منه من اللحم والبيض).. 200 دينار يحسم من كل موظف ليبي قادر على حمل السلاح ثمناً له.. على أن تظل قطعة السلاح وديعة عند الدولة ضريبة دعم الإسعاف.

دينار ضريبة لم يكتب حولها أي صفة.

حرس حافظ الأسد ينقذ معمر من محاولة اغتيال

ربما كانت مجزرة جامعة قار يونس في بني غازي التي ارتكبها القذافي في هذه المدينة، أبرز مدخل للحديث عن عداء هذا الحاكم لهذا القسم المهم من الشعب الذي يحكمه بالحديد والنار وتحديداً إن كان حقده شاغل كل مواطن ليبي طيلة عقود من تسلطه.

محاولات عدة جرت بعدها في هذه المدينة (راجع وقائع هذه المجزرة في مكان آخر) ضد معمر القذافي، أبرزها محاولة الشاب اقتحام المنصة التي جلس إليها مع ضيوفه ومنهم الرئيس السوري حافظ الأسد في إحدى المناسبات.

سبق حركة الشاب المسلم هتافاته اللّٰه أكبر وبيده خنجر يريد أن يطعن فيه صدر القذافي وهو يقترب منه بسرعة، لكن حرس الأسد كانوا الأسرع في إطلاق النار على الشاب فخرقت الرصاصات جسده وتركته صريعاً قبل أن يلمس أي أذى في جسد القذافي.

لم تكن هذه أولى المحاولات في بني غازي، ولم تكن وحدها كافية كي يظهر القذافي حقده عليها، وقبل أن يفجره في عز سطوته في قضية حقن 450 طفلاً من بني غازي بالإيدز وتلفيق التهمة إلى 5 ممرضات بلغاريات وطبيب فلسطيني. وإن كانت آخرتها في الثورة الشعبية الجارفة في 17 فبراير ودائماً انطلاقاً من هذه المدينة الباسلة. (فضيحة حقن أطفال بني غازي بالإيدز في مكان آخر من هذا الكتاب). وعندما عرضت السلطات الليبية على أهالي المعتقلين الذين قتلتهم في سجن طرابلس المركزي عام 1996 دفع تعويضات مالية تصل إلى 100 ألف دولار عن كل قتيل (مجزرة سجن أبو سليم في مكان آخر من هذا الكتاب) رفض أهالي القتلى في بني غازي رفضاً قاطعاً قبول أي تعويض عن قتل أبنائهم، ونصبوا خيماً في طول بني غازي وعرضها، وأمام كل دار سقط منه قتيل على يد السلطات الليبية، رفعوا لافتات كتب فوقها اسم القتيل وسنه مع صورة كبيرة له كتب تحتها اسمه وتاريخ اختفائه دون اعتراف بمقتله.

هذه الواقعة حدثت عام 1996 وقد نجا منها فقط السجناء الذين ظلوا داخل زنازينهم يرفضون الخروج منها إلى الباحة حيث قتل كل من كان في الباحة الرئيسية للسجن وعددهم 1270 سجين ليبي بعضهم أصحاب رأي وسجناء عاديين وسياسيين ينتمون إلى مختلف التيارات السياسية.

وكان ضمن الناجين حفيد السفير والوزير الليبي السابق عبد القادر غوقة الذي أمضى في السجن 17 عاماً لاتهامه بأقوال تظهر اعتراضه على السياسة الليبية.

وقد دخل شقيقه الأصغر السجن منذ عدة سنوات بسبب ضبطه يخاطب موقعاً للقاعدة يعرض فيه الذهاب إلى العراق للقتال ضد الاحتلال الأميركي.

ونحن لا نبالغ في استمرار الحديث عن هذا المناضل، إذا ذكرنا أن ابنه نقيب المحامين في بني غازي عبد الحفيظ غوقة هو الناطق الرسمي باسم المجلس الوطني الانتقالي الذي أعلن ثوار ليبيا إنشاءه في طريقهم لإسقاط نظام القذافي كما أن حفيدين لغوقة انخرطا في قتال كتائب القذافي في أجدابيا ورأس لانوف.

سيدة من درنة

إنها سيدة من درنة... أرملة، اعتقلت أجهزة أمن القذافي ابنها، دون ذنب يذكر، فقط لمجرد الشبهة أو حتى دون عناء الشبهة، إذ يكفي أن يقرر جهاز أمني أن يظهر الإرعاب حتى يطلق لعناصره العنان لإخافة الناس.

توجهت الأرملة إلى زوج معمر القذافي صفية فركاش تروي لها مأساتها، فطلبت صفية من المرأة انتظار مجيء القائد.

وما أن وصل معمر القذافي إلى دار صفية حتى ارتمت المرأة المسكينة بين يديه وركعت حتى كادت تقبل قدميه. وهي تذرف الدموع وتولول بصوت منخفض طالبة الرأفة بابنها وإطلاقه.

سألها القذافي بنبرة عالية: كم ولداً عندك؟ فلما أجابته بأن لديها أربعة أولاد... ردَّ القذافي: يا حرمة ربِّي الأولاد الثلاثة كويس... وانسي الرابع. ثم أمر بإخراجها من داره.

لم تيأس أم الصبي، فذهبت إلى منزل عديله رجل الاستخبارات المرعب عبد اللّٰه السنوسي لشرح قصتها لأخت زوج العقيد، فطلبت منها انتظار بعلها عبد اللّٰه السنوسي، فلما عاد إلى منزله شرحت له من جديد قصة ابنها، فقال لها هذه مسألة خارجة عن إرادتي، لأنها عند القائد... ومن حسن حظك أنه قادم للغداء عندي، وعند مجيئه اشرحي له قصتك.

جاء العقيد ليستمع ثانية إلى مأساتها... وبعدها نظر إلى عديله ضاحكاً: افرجوا عنه يا عبد الله.

مأساة أحمد الزبير السنوسي

هو الآن عضو المجلس الانتقالي الليبي، وقبل ذلك كانت صفته المعروفة أنه صاحب أطول مدة سجن في العالم فقد دخل سجن القذافي عام 1970، ولم يخرج منه إلا عام 2002.

كان ضمن أوائل البعثات العسكرية التي أرسلها الملك إدريس السنوسي إلى العراق للحصول على رتبة وخبرة عسكرية من البلد الذي كان أول من أنشأ جيشاً حديثاً في البلاد العربية.

والسنوسي ينحدر من أسرة عريقة كبيرة، وكانت عمته زوجاً للملك إدريس السنوسي، ومع هذا فقد تم نفيه من البلاد وإخراجه من الجيش الليبي، إثر جريمة قتل ذهب ضحيتها مدير الديوان الملكي، وكان القاتل هو أحد أبناء الأسرة السنوسية.

عاد السنوسي إلى العراق منخرطاً في الجيش العراقي من جديد، ويرتقي أحد المراتب العالية فيه. ولم يعد إلى بلاده إلا بعد العام 1968، وقبل الثورة بسنة ولم يرغب بالعودة إلى الحياة العسكرية فعمل في التجارة وعندما قامت الثورة عام 1969 ألقي القبض عليه بسبب حساسية العقيد (ورفاقه) من الأسرة السنوسية، رغم أن الرجل كان مضطهداً في العهد البائد.

تحدث العقيد عن مؤامرة ضد الثورة، فاعتقل من ضمن المئات السنوسي وشقيقه راشد.

أمضى راشد 10 سنوات في السجن ثم خرج، أما أحمد السنوسي فبسبب عسكريته أمضى في السجن 32 سنة وقد حُكم عليه بالإعدام.

سجن أحمد الزبير السنوسي في زنزانة انفرادية، وكان ينتظر الإعدام في أي لحظة وكان كلما فتح باب زنزانته يقرأ الفاتحة وآيات من صغار السور حيث كان يظن نفسه متوجهاً إلى الإعدام...

لم يبلغه أحد أن حكم الإعدام خفض إلى 30 سنة، ولم يكن يسمح لأحد بأن يزوره، ولم يكن يرى أحداً، حتى سجانوه ما كانوا يكلمونه، وكان يقاوم الإحساس بالدعوة اليومية إلى الإعدام وفي أي لحظة بالسجود الطويل في زنزانته، وقد استعاد من تاريخ أسرته، الطقوس الصوفية التي تنحدر منها العائلة الكبيرة.

إنها سجدة استمرت 32 سنة، حتى فتح باب الزنزانة فظن أنه الإعدام، لكنه أخذ إلى إدارة السجن ليقول له كبير السجانين براءة... وكان هذا عام 2002 فخرج إلى الحرية وجلس في بني غازي، وعندما اندلعت ثورة 17 فبراير كان من أوائل قادتها...

جريمة قتل د. علي بن عروس

شاب ليبي كان يدرس الذرّة في الولايات المتحدة الأميركية، أنهى دراسته وعاد مع زوجه الأميركية وأولادهما إلى بلده حيث تسلّم عملاً في مركز البحوث العلمية في تاجوراء وسكن في بلدة مزدة.

بعد سنة من ممارسته عمله، تم إلقاء القبض عليه من قبل أجهزة الأمن الليبية، وكانت التهمة جاهزة:

لقد تعرّف علي خلال دراسته على عدد من الطلاب الليبيين الذين كانوا يدرسون

على حساب الدولة الليبية، فلما قطعت عنهم المساعدات بسبب انتقاداتهم للعقيد وتصرفاته تحولوا إلى المعارضة، وطلبوا من زميلهم علي أن ينضم إليهم فرفض، متفرغاً للدراسة ثم الزواج من أميركية وعاد إلى وطنه ليعمل ويبعد عن كل ما يشغله عن عمله.

أجهزة الأمن الليبية التي أحصت حركة المعارضة الليبية في الخارج اعتبرت أن د. علي كان جزءاً منها وعاد إلى طرابلس ليعمل ضد النظام، ولم يكن هذا صحيحاً بالمرة، فهو لو كان يريد المعارضة وهو يعرف أنها مستحيلة من الداخل لفضل أن يظل خارجاً في بلد زوجه أميركا حيث فرص العمل والحياة أفضل مئات المرات عنها في بلده.

حُكم على د. علي بن عروس بـ14 سنة سجناً... ودون أي مقدمات أخذ من زنزانته إلى المشنقة إلى رؤوس الطبل عند أولاد يوسف وعقدوا له مؤتمراً شعبياً وخطب الخطباء بأن هذا الرجل خائن يستحق الشنق.

رد أعضاء في المؤتمر الشعبي، بأن هذا الرجل هو وحيد أبويه، وإذا أصابه مكروه فإن والديه سيموتان قهراً وكمداً، ثم أعلنوا رفضهم تنفيذ حكم الإعدام، طالبين من أجهزة الأمن أن يكون تنفيذ هذا الأمر بعيداً عن دورهم.

فلما نقل رجال الأمن د. علي بعيداً، حذّرهم الأهالي بأن أولاد عمه صعدوا إلى رؤوس الجبال لينتقموا من الذين سيقتلونه...

بعد عدة أيام وُجد الذين تحدثوا بهذا التحذير قتلى، وتم شنق علي دون أي فرصة جديدة للدفاع عن نفسه.

توريط رسام الكاريكاتير محمد الزواوي

يعتبره الليبيون من أشهر رسامي الكاريكاتير العرب، قتل ابنه في سجن القذافي، بعد أن اعتقل بتهمة تكوين خلايا عمل إسلامي (سابق لتأسيس تنظيم القاعدة).

لم يتراجع نجل الزواوي عن معتقده رغم تدخل عضو مجلس قيادة الثورة الخويلدي الحميدي معه ومحاورته، في محاولة للبحث له عن مخرج، فقتل تحت التعذيب، كما قتل صهر الزواوي أيضاً.

كان محمد الزواوي يقيم معرضاً فنياً في تونس، مقيماً في فندق هيلتون - تونس ضمن فعاليات التبادل الثقافي بين ليبيا وهذا البلد الأخضر في عهد د. محمد مزالي.

خلال وجوده في تونس كان الزواوي يلتقي سفير ليبيا في تونس جمعة الفزاني،

رئيس حرس معمر القذافي عز الدين الهنشيري (يرد اسمه في مكان آخر في الكتاب حول أعمال العقيد الأمنية).

في أحد هذه اللقاءات سلمه الاثنان حقيبة ليحملها إلى الفندق، فأخذها الرسام بحسن نية رغم شعوره بثقل وزنها، وتوجه إلى فندق هيلتون وقبل أن يدخل غرفته قرر أن يعيد الحقيبة إلى صاحبيها، وما أن شاهداه داخلاً عليهما في السفارة حتى أظهرا دهشة تسلما الحقيبة وهما يلومانه بل ويكادان يشتمانه.

عاد الزواوي إلى مقر إقامته، وجلس برهة في ردهة الفندق، ليتقدم منه رجل تونسي مخاطباً إياه بكل أدب: حضرتك الفنان الليبي المعروف محمد الزواوي؟ فلما أجابه بنعم، طلب منه الرجل مصاحبته لدقيقة خارج الفندق ليحدثه في أمر هام، وما أن خرج حتى دفعه إلى مقعد سيارة خلفي كانت تنتظرهما على باب الفندق، وقبل أن ينطق بحرف واحد والدهشة صادرت الكلام من فمه، وضع مَن في جانبه في السيارة عصبة سوداء على عينيه، وساروا به مسافة غير طويلة، حتى وصلوا إلى مكان سار فيه هائماً وسط مرافقيه ليجد نفسه في مكتب وقد رفعت العصبة عن عينيه، وأمامه رجل عرَّف نفسه بأنه مسؤول استخبارات تونسي، أمر له بالقهوة وناوله لفافة تبغ، وبادره السؤال بلطف شديد: أستاذ محمد أين هي المحفظة التي كانت معك ودخلت بها فندق هيلتون، ولمن سلمتها؟

يقول الزواوي راوياً هذه الواقعة أنه ارتكب غلطة شديدة بنفيه ساعتها وجود أي محفظة معه متسائلاً بسذاجة أمام رجل الاستخبارات التونسي: أي محفظة؟

لم يدرك الزواوي مع مَن كان يتعامل ولم يكن يعرف شيئاً من أساليب الاستخبارات فبعد أن بادره الرجل ثانية بأن عليه أن يدلّه على مكان المحفظة، وهو ينفي وجودها، والرجل يتكلم بحسم بأن هذه المحفظة تحمل متفجرات ويمكن أن يسبب انفجارها كارثة في تونس. والزواوي ينفي، هجم رجل الأمن نحوه وضربه ضربة قاسية موجعة رمته أرضاً، وأمر رجاله بحمله خارجاً ليتوجه إلى السجن ليمضي فيه سنوات.

ماذا حملت المحفظة؟؟

يقول رئيس وزراء تونس الراحل محمد مزالي في مذكراته إن المحفظة كانت مخصصة لتفجير اجتماع مجلس وزراء الخارجية العرب في تونس.

عزل منشئ التاريخ الليبي الشيخ طاهر الزاوي

هو من أبطال معركة الهاني، وشاهد على بناء أول جمهورية ليبية وهو أحد أبطالها. منشئ التاريخ الليبي كتب ما لم يسبقه إليه أحد عن معجم البلدان معجم اللغة العربية. كان مقاتلاً فارساً في معارك الهاني والشط والهنشير وبو مليانة، مشهود له بركوبه الحصان أثناء القتال مدافعاً عن وطنه لم ينزل عنه إلا كي يستريح أو ليأكل.

أسس الجمهورية الطرابلسية الأولى في مدينة أم سلاقة سنة 1918 بعد غزو إيطاليا لليبيا بسبع سنوات 1911، واستمرت جمهوريته 4 سنوات وأجهضها تسلم الفاشيست للسلطة في إيطاليا حيث هجموا على الجمهورية وألغوها عام 1922.

نزح الشيخ طاهر إلى مصر ليتابع دراسته في الأزهر الشريف، فكان أول من ألّف كتباً في التاريخ الحديث عن ليبيا، وعن جهاد الأبطال... وأبرزهم عمر المختار...

كان الشيخ طاهر عالماً جليلاً، معارضاً للملك إدريس السنوسي وعندما بلغ من العمر عتيًّا حنَّ إلى وطنه، فجاءه العفو الملكي فعاد إلى ليبيا قبل الثورة بأشهر قليلة.

قامت ثورة الفاتح في 1/ 9/ 1969، فاتصل به أعضاء مجلس قيادة الثورة، لإعادته إلى مكانته التي يستحقها في الحاضر الليبي. وأعطوه منزلاً ومضيفة وراتباً يليق به، وطلبوا تأييده، ساعين للحصول على مباركته للثورة فأيّدها... ثم أصبح مفتياً للديار الليبية وله مقر في دار الإفتاء.

لكنه كان أول من اختلف مع معمر القذافي بعد تأميمه ممتلكات الليبيين، فخطب عبر الإذاعة في شهر رمضان كما اعتاد في الأشهر السابقة حيث كانت الناس تستمع إلى فتاويه، مقدِّرة مكانته وتاريخه وسمعته وتديّنه.

أفتى الشيخ طاهر بحرمة اغتصاب أملاك الناس باسم التأميم، معتبراً الأمر مخالفاً للشريعة الإسلامية، وكان خطابه مباشراً وعبر البث الحي دون أي تسجيل للثقة الكاملة التي كانت فيه، خاصة وأن البساطة كانت تقود سلوكيات العقيد ومجلس قيادة الثورة، فلم يكن أحد ليظن أن تأتي من جانب الشيخ طاهر أية مشكلة.

استوعب العقيد مشكلة الشيخ طاهر، وهو يومها لم يكن يجرؤ أن يمدّ إلى الشيخ الجليل يد السوء... روجع الشيخ بكلامه علّه يتراجع عن فتواه فلم يقبل أي تهاون.

وفي رمضان التالي لم تعد الناس تستمع إلى كلمات وفتاوى وتوجهات الشيخ طاهر، بعد أن ألغي برنامجه، وانزوى أبو ليبيا الثقافي والمعرفي والجهادي، بالدار وحكم السن بعد أن بلغ الـ90 من عمره حتى توفاه اللّٰه عام 1980.

رفض القذافي نشر أي نعي له في أي وسيلة إعلامية، ولم يذكر اسمه في أي نعي أو عزاء أو مسجد، والوحيد الذي علم بوفاته من خارج أسرته هو صديقه الشيخ علي المصراتي، الذي علم من ابن الشيخ طاهر، فأعلم بعض أصدقائه بالأمر ليقوموا بواجب العزاء...

مأساة عائلة التومي

إنها رواية عائلة بشير التومي وأولاده الثلاثة يوسف، وصلاح وعادل... في طرابلس.

مات والدهم وتولّت الوالدة تربيتهم، وكأولاد متحمسين رفضوا الالتزام بالتجنيد الإجباري الذي فرضه القذافي على طلاب المدارس الإعدادية الثانوية، فقد كان بعض المدربين الساديين يمارسون مرضهم على الطلاب الشباب، فتحولت مادة التدريب إلى ساعات عذاب لا ينجو منها أحد.

هرب أولاد التومي من هذا الواقع المرعب ولأنهم أيتام هربوا أيضاً من دارهم وتسكعوا في شوارع المدينة، وشكّل هربهم الدائم مأساتهم التي فضحت عناصر التعذيب وشكله وإرهابه في نظام القذافي.

في إحدى جولات دوريات الأمن اعتقل يوسف وكان الأكبر، حيث اتهم بأنه يتناول المخدرات أو الحشيش أو يفتعل مشاكل في الشارع وكان هذا الأمر ظالماً له، لأن والدته التي انصرفت إلى تربيتهم كانت عاجزة عن توفير المال كي تعطيه لأولادها وبالتالي فكيف يمكن لأحدهم أن يشتري المخدرات.

المهم بعد فترة اعتقال جاءه أحد رجال الأمن كي يعرض عليه إخراجه من السجن مقابل أن يعمل مع الاستخبارات الليبية لتنفيذ عمليات في الخارج ضد أعداء القائد والثورة. قالوا له ستذهب إلى حيث نكلفك بقتل معارض ليبي ثم تعود إلى حريتك.

لم يكن بيد يوسف أي إمكانية للاعتراض فوافق كي يخرج من السجن لينفذ أمر رجل الأمن الليبي.

تم تدريب يوسف على تجهيز المتفجرات التي سيستخدمها لقتل الهدف المقصود، وبعد استكمال التدريب أُرسل إلى أثيوبيا حيث يروي السفير الليبي السابق في أديس أبابا خليفة بازيليا (توفي) ما الذي حصل فيقول إن يوسف وعدداً من رفاقه كانوا يجهزون عبوة ناسفة في أحد الفنادق، فانفجرت بين أيديهم وقتلوا جميعاً عام 1985.

كان هدف العملية الانتقال من أثيوبيا إلى الخرطوم لزرع عبوة ناسفة في الخرطوم في حي شعبي لبث الرعب في نفوس الناس علّها تقلبهم ضد نظام جعفر نميري الذي دخل القذافي في حالة عداء شرسة ضده دفعته لتدبير عمليات عديدة ضده، أبرزها في صيف 1976 حيث كان الهدف غزو الخرطوم من قبل جماعات محسوبة على ليبيا لإسقاط نميري.

شقيقا يوسف صلاح وعادل كان نصيبهما مختلفاً، فقد اعتقل الشقيقان وأرسلا إلى مستوعبات في طرابلس أُعدّت لسجن مصابين بالإيدز، ومعتقلين وغيرهم، هنا تبدأ المأساة.

فقد عمد ساديو القذافي إلى تعذيب المعتقلين بضربهم بآلات حادة كانت تجرح أجسادهم فتسيل الدماء منها، وكانت هذه الآلات تصيب أجساد معتقلين مصابين بمرض الإيدز، فتختلط دماء المصابين بدماء الأصحاء وتنتج عن هذا إصابة الشقيقين بالإيدز، توفي صلاح التومي ليلحق بشقيقه، ثم أصيب أخيه عادل ليموت بعد فترة... وخسرت عائلة التومي ثلاثة أولاد لحقوا بوالدهم تاركين والدة مسكينة صابرة مظلومة.

قصة سليمان شعيب مع القذافي

يقول الرائد عبد المنعم الهوني، إن العقيد معمر القذافي كلّمه كي يأخذ سكرتير مجلس قيادة الثورة للشؤون العسكرية والأمن عنده سليمان شعيب في الأمن، وأن يسلمه وظيفة عند بوابة الوزارة يحصي الداخلين والخارجين، في تعمد إهانته وهو كان عقيداً في الجيش كان يتسلم تقارير الاستخبارات والجيش ليعرضها على قيادة الثورة.

سلم شعيب نفسه للهوني بعد تبلغه أمر نقله، ليسأله الهوني عن سبب إبعاده، فروى التالي قائلاً: جئت إلى مكتب المجلس بعد ظهر يوم خميس حيث بدأت عطلة عمل في الإدارة، ليستمع إلى ضحكات نساء من غرفة القائد (معمر)، فسأل سكرتير العقيد (اللواء) أحمد المقصبي عن سر هذه الضحكات، ومن هنَّ هؤلاء النسوة، فردّ المقصبي:

هذا ليس من شأنك.

تشاجر شعيب مع المقصبي وضربه، فخرج العقيد من مكتبه ليجد سكرتيره يشكو شعيب، فشرح شعيب المسألة، فرد القذافي... صحيح هذا ليس من شغلك.

ردَّ شعيب سيدي القائد... أنت لست ملك نفسك أنت ملك الشعب الليبي، ولا يجوز التباسط مع النسوة.

يقول الهوني إنه سأل معمر في اليوم التالي عن حقيقة الرواية، وإنها إذا كانت حقيقية فهي ليست لصالح معمر ومكانته.

فردَّ معمر أن المسألة أكبر من هذا، فقد عاد شعيب إلى منزله يوماً، وشاهد زوجه تشاهد برنامجاً يعرض خطاباً للعقيد عبر المرئية الليبية، ناهراً زوجه القريبة من زوج القذافي صفية فركاش قائلاً: يكفي تخريباً هنا وهناك وأقفل الجهاز.

يقول معمر إن زوج سليمان نقلت هذه الواقعة لزوجه قريبتها صفية، والأخيرة نقلت ما حصل إلى العقيد، فوجدها فرصة للتخلص من شعيب ورقابته.

خطة لقتل القذافي ستقتل معه الأسد ومبارك

رتب رئيس سابق للجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا. دكتور محمد المقريف أكثر من محاولة لقتل معمر القذافي كادت إحداها لو نجحت أن تسبب عاصفة موت عربية بقتل ثلاثة رؤساء دفعة واحدة.

يقول عنه معمر القذافي إن هذا الرجل بيني وبينه الرصاص، لأنه حاول أن يقتلني.

ويروي القذافي كيف حاول المقريف قتله فيقول: إن المقريف هو من جماعة حزب التحرير الإسلامي الذي ينتشر في عدد من البلاد العربية والإسلامية، ويدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، وقد جنّد عدداً من جماعته وأرسلهم إلى القاهرة لشراء السلاح من سوق السلاح المصري الخاضع للرقابة الأمنية المصرية إلى حد كبير. وأن الأجهزة المصرية راقبت عدداً من الليبيين أتوا إلى مصر اشتروا الأسلحة وكانوا ينقلونها إلى ليبيا وقد ظنت السلطات المصرية أول الأمر أن هؤلاء يهرّبون السلاح إلى مصر للقيام بعمليات إرهابية ضد الدولة، فتم رصدهم. ولكن هؤلاء كانوا بنية نسف القاعدة العسكرية في طبرق التي تحمل اسم جمال عبد الناصر أثناء اجتماع قمة بين القذافي وحافظ الأسد وحسني مبارك. [كانت الخطة أن ينسفوا قاعة الاجتماع في القاعدة ليقتلوا القذافي أساساً ومن

معه لكن السلطات المصرية ضبطت الخطة واعتقلت المتآمرين ونجا القذافي والرئيسان المصري والسوري الراحل].

الخطة الثانية لقتل القذافي

أرسل دكتور محمد المقريف مجموعة من الليبيين المدربين على السلاح لاقتحام ثكنة العزيزية التي يقيم فيها معمر القذافي وسط حراسة شديدة من أقاربه وأبناء عمومته وقبيلته في طرابلس، جاء هؤلاء من تونس وأخذوا سيارة أجرة أوصلتهم إلى طرابلس وكل سائقي سيارات الأجرة على الحدود بين تونس وليبيا وكذلك بين مصر وليبيا هم من المتعاونين مع أجهزة الأمن.

الليبيون الثلاثة الذين جاؤوا بسيارة الأجرة ووصلوا إلى طرابلس طلبوا من سائق الأجرة أن يوصلهم إلى عنوان معين في طرابلس وعندما سألوا عن صاحب العنوان وجدوا أنه في عنوان آخر، غادر إلى مصراته وهي مدينة تبعد عن طرابلس 220 كلم فاعتذر السائق بأنه لن يستطيع أن يذهب هذه الرحلة الطويلة فتوسلوا إليه أن يوصلهم ودفعوا له مبلغاً إضافياً مغرياً، فوافق وأوصلهم إلى مصراته وعاد سريعاً ليخبر أجهزة الأمن بمكانهم وهكذا كانت أجهزة الأمن متربصة بأن شيئاً سيحصل من هؤلاء. وما أن وصلوا إلى طرابلس مدججين بالسلاح مع آخرين كان ينتظرونهم ودخلوا إلى ثكنة العزيزية وهم يطلقون النيران حتى قابلتهم القوات الليبية بمواجهة شاملة قتل معظمهم وهرب الباقي إلى مبنى قريب من الثكنة فحاصرته القوات الليبية ثم أرغمت سكانه جميعاً على الخروج منه وأحاطت المبنى بزنار من المتفجرات وفجرته فدمر على من فيه.

عبد الحفيظ وعبد القادر غوقة في مواجهات مع معمر

هو نقيب المحامين في ليبيا الذين يبلغ تعدادهم حوالى 5600 محامٍ قبل بدء ثورة 17 فبراير/ شباط 2011 وتوليه شؤون الناطق باسم المجلس الوطني الانتقالي، وهو كان يتولى في ليبيا الدفاع عن حقوق الليبيين المسجونين دون أي تهمة، ويريد إخضاعهم للمحاكمة لتبيان أسباب الاعتقال وإطلاق سراح من لا يثبت عليه أي تهمة. وهو سعى للدفاع عن معتقلي الرأي في السجون الليبية مما دفع وزير الداخلية الليبي، للاتصال

والده ليكف عن هذه المسؤولية. لكن عبد القادر قال: «إن ابني يبلغ من العمر 50 عاماً ولو حاولت ردعه فهو لن يرد عليّ».

عبد الحفيظ وابنة القذافي عائشة والمحاماة

أرسل وزير العدل الليبي إلى نقيب المحامين عبد الحفيظ عبد القادر غوقة يطلب إليه تسجيل عائشة معمر القذافي في نقابة المحامين الليبيين، فكتب غوقة إلى الوزير أن على عائشة أن تتدرب لمدة سنتين في مكتب محامٍ لكي يمكن تسجيلها، فاتصل به الوزير: ألا تريد أيضاً شهادة حسن سلوك حتى تسجلها؟

بعد ذلك اتصل مدير مكتب عائشة القذافي بعبد الحفيظ غوقة ليقول له إن د. عائشة تشكره على موقفه.

كان نقيب المحامين في ليبيا عبد الحفيظ غوقة اتفق مع والده عبد القادر بأن يكون قدوة في تداول المسؤولية بالاكتفاء بموقعه كنقيب لدورة واحدة.

وقبل انتهاء دورة غوقة بسنة واحدة قررت وزارة العدل (محمد مصراتي) إلغاء شرعية مجلس النقابة وإعادة الانتخابات، فرفضت النقابة هذا الأمر لأنها نقابة مستقلة وليست تابعة لأي وزارة، والجمعية العمومية وحدها هي التي تقرر من يكون نقيباً ومن ينتخب مجلس النقابة، فأفشل موقف غوقة والنقابة قرار وزارة العدل (فيما بعد زجّ بالمصراتي بالسجن في ليبيا).

حضر غوقة على رأس وفد من نقابة ليبيا مؤتمر اتحاد المحامين العرب في السودان، فتمسك الاتحاد العربي بنقابة المحامين في ليبيا كما اختارتها جمعيتها العمومية.

عند عودته إلى ليبيا وفي إحدى جلسات مؤتمر الشعب العام في طرابلس، تحدث معمر القذافي متهماً نقابة المحامين الليبية أنها ذهبت إلى الخرطوم لتشتكي ليبيا أمام اتحاد المحامين العرب.

النقيب غوقة طلب حق الكلام ليرد على القذافي شارحاً الموقف بأن وزارة العدل أرادت إدخال أساتذة الجامعات وحقوقيين في النقابة، لإعادة الانتخابات لتصبح النقابة جزءاً من الحكومة وليست مستقلة.

القذافي تساءل من الذي اتخذ هذا القرار غير المنطقي. أبداً نحن نريد أن تبقى النقابة مستقلة في محاولة لتجاوز الأزمة... إلى حين آخر.

أنصار الثورة

وكانت السلطات الليبية حاولت تشكيل ما يسمى هيئة أنصار الثورة لدعم معمر القذافي وطلبت من عبد القادر غوقة أن يرأس هذه الهيئة وان يلقي كلمتها في حفل نظمته السلطات الليبية.

لكن غوقة رفض هذا الأمر قائلاً إنه لا يتعاطى أي شيء سياسي وإنه لا يوافق على هذا الأسلوب لأن فيه الكثير من النفاق الذي لم يعتده وهو يعتقد أن القذافي نفسه لا يوافق عليه.

فتحي الجهيمي

فتحي الجهيمي (صهر عبد القادر غوقة) سجين سياسي في ليبيا لعدة مرات، أولها حين وقف في مؤتمر شعبي عام لليبيين في مصر وأعلن أن الحل في ليبيا هو قيام انتخابات حرة ووضع دستور جديد وتخلي معمر القذافي وأولاده عن السلطة وإخراجهم من ليبيا.

أحمد قذاف الدم طلب من غوقة أن يجمعه بعد المؤتمر بالجهيمي ليقدم له وعداً بأن أحداً لن يتعرض له وإذا أراد العودة إلى ليبيا فإن هناك سيارة إسعاف جاهزة لحمله وزوجه المريضة التي كانت تعالج في القاهرة إلى بني غازي وبالفعل عاد الجهيمي إلى ليبيا.

وفي مؤتمر ثانٍ لمؤتمر الشعب العام في ليبيا أعاد الجهيمي تكرار الأمر نفسه دون أن يتعرض له أحد.

بعدها جاءه ضابطان من رجال الأمن ليطلبا منه أن يأمر بما يريد لتحقيقه، فإذا بالجهيمي يعلن في مؤتمر شعبي عام أن القذافي أرسل من يرشيه، فأقيمت دعوى ضده لأنه يهين قائد الثورة معمر القذافي الذي لم يرسل الضابطين بل إن رجلي الأمن جاءا من نفسيهما حسب زعم السلطة.

القذافي ولي الفقيه

حكم على الجهيمي بالسجن 7 سنوات، وفق قانون في ليبيا يمنع التعرض للقذافي، لأنه مرجع كل شيء في البلاد ومرجع القوانين والقرارات الحكومية وقرارات مؤتمر الشعب العام أي أن القذافي يملك وفق القانون تعطيل أي قرار يصدر عن أي جهة في ليبيا.

بعد خروجه من السجن، أجرت قناة «الحرة» الأميركية حواراً مع الجهيمي بث على الهواء هاجم فيه القذافي بالطريقة نفسها وامتدح جورج بوش، فحُكم عليه بالسجن مرة أخرى.

طلبت الاستخبارات الليبية من غوقة أن يتدخل لدى صهره لثنيه عن مواقفه فأبلغهم أن الجهيمي مريض نفسياً بالعظمة وأن الحل هو أن تعطوه خمسين ألف دولار للعلاج في الخارج، وأن الأفضل أن يعارضكم الجهيمي من الخارج بدل أن يصبح واحداً من عشرات (الخمسون يصبحون واحداً وخمسين) ولا تأثير له في الخارج بينما تأثيره يكون كبيراً في الداخل.

إسقاط البان أميركان فوق لوكوربي

1- طرف الخيط

في التحقيق الذي أجرته مجموعات النخبة من المحققين الغربيين (من أميركا وبريطانيا ودول أخرى) كشف هؤلاء وجود قطعة قماش لبدلة راكب من ركاب الطائرة الأميركية المنكوبة، وعليها اسم الخياط الذي خاطها، وكان إنجليزياً، فحملت إليه وسئل عن صاحبها، فبحث في أوراقه ليكتشف أن هذه القطعة لبدلة حيكت من قماش معين، وأن صاحب البدلة هو موظف ليبي في شركة الطيران العربية الليبية في لندن. وأنه خاط البدلة عنده وكان معه زميل آخر في الشركة نفسها خاط بدلة أخرى.

كان هذا طرف الخيط للوصول إلى الموظفين الليبيين ليتبين بعد التحقيق في الشركة الليبية أن الموظفين لم يسافرا في الطائرة نفسها، وأنهما شحنا محفظتيهما (وربما أكثر من اثنتين) وغادرا إلى ليبيا.

وإذا كانت سلطات مطارات العالم لجأت بعدها إلى إلزام كل راكب يلغي سفره بعد إجراءات المغادرة، أن يأخذ محفظته وأمتعته إذا كانت على متن الطائرة، وبتأجيل إقلاع الطائرة إلى أن يكتمل عدد الركاب أو إنزال حقائبهم من الطائرة قبل الإقلاع حتى لا تتكرر جريمة لوكوربي أو ما شابهها. فإن طرف الخيط هذا أدى إلى كشف اسم الموظفين الليبيين فإذا هما رجلا الاستخبارات اللذان كلفهما عبد الله السنوسي بحمل المحافظ الملغمة بالمتفجرات عبد الباسط المقرحي والأمين فهيمة. حيث حكم على الأول بعد المحاكمة بالسجن مدى الحياة (أفرج عنه عام 2009 بزعم أنه يعاني من سرطان وتبين

أن الإفراج عنه تم بصفقة بريطانية - ليبية تضمنت حصول بريطانيا على امتيازات مالية ونفطية واقتصادية).

أما فهيمة فأُطلق سراحه بعد انتهاء المحاكمة لعدم كفاية الأدلة.

2 - كيف عرف الغرب بدور ليبيا في لوكوربي

تتحدث المعارضة الليبية أن عنصراً في الأمن الليبي يدعى عبد المجيد جعاكة هو الذي نشر سر ودور الأمن الليبي في تفجير طائرة البان أميركان فوق لوكوربي، وقد اعتمدت شهادة جعاكة السرية بثقة لأنه قدم ما يثبت أنه كان يعمل في جهاز موسى كوسى وكان موظفاً في مكتب الخطوط الليبية في فاليتا عاصمة مالطة.

كان الأمن يثق بجعاكة... لكنه لم يكن يسمح له بالسفر خارج ليبيا، لكن الرجل استغل إجازة عيد الأضحى ولبس ثوبه الليبي التقليدي ليقوم بزيارات معروفة خلال الأعياد، للأقارب والأهل. وتوجه براً في سيارة عادية نحو تونس، وفيها زار القنصل الأميركي وقدم له ما يملكه من معلومات حصل عليها من خلال قربه من موسى كوسى شريك عبد الله السنوسي في كل أعمال استخبارات ليبيا الخارجية، وكانت جريمة لوكوربي ضمن هذه العمليات، وأن المجرمين تحركوا من مالطة لتنفيذ عمليتهم الإرهابية.

حمل الأميركان جعاكة إلى الولايات المتحدة، وقد اعتبروه شاهد ملك، فأسكنوه في قاعدة عسكرية أميركية لحمايته، وإن كان في لاهاي تراجع عن إفادته، لكن المعلومات التي قدمها هي التي أوصلت المحققين إلى حتمية ضلوع الاستخبارات الليبية في هذه العملية. وكشف اسم الرجلين الليبيين اللذين وضعا المتفجرات في الطائرة وهما عبد الباسط المقرحي والأمين فهيمة...

3- كمين أميركي أسقط القذافي

أمام إنكار القذافي وإعلامه وجود الاسمين في أجهزة أمنه، تحدثت أميركا أن النظام الليبي قتل عبد الباسط المقرحي وفهيمة... فاندفع القذافي علناً ونشر صورهما فنجحت أميركا في الحصول على ما تريد، بعد أن سهل الحصول على توكيدات بأنهما القاتلان.

تحركت جهات عربية صديقة لأميركا لنجدة القذافي في محاولة لتسوية الوضع بين الاثنين، وأدى رئيس مجلس الأمن الوطني السعودي الذي كان سفيراً في واشنطن

الأمير بندر بن سلطان دوراً مهماً في هذه المسألة منذ البداية، حتى نجح في تسليم الليبيين المطلوبين ودفعت ليبيا أموالاً ضخمة كجزء من صفقة تسلم منها أهالي الضحايا الـ 270 مبلغ 2.7 مليار دولار بمعدل 10 ملايين دولار عن كل ضحية.

وفي معلومات حصلنا عليها من أحد كبار الشخصيات العربية المقربين من القذافي أن الأخير اعترف له بأن تسوية هذه الجريمة كلفته 10 مليارات دولار ثمن تعويضات ومحاولات شراء ذمم وضمائر بعض الشهود في اسكتلندا وفي إنجلترا وفي كل مكان.

وبوساطة من الأمير بندر جاء أمين عام الأمم المتحدة كوفي عنان إلى ليبيا لمقابلة العقيد قبل تسليم الليبيين لإيجاد وسيلة تخفف عن القذافي أي اتهام بأنه وراء هذه العملية شخصياً.

لكن معمر تعمد إهانة عنان، فما أن وصل المسؤول الدولي إلى طرابلس حتى قيل له إن العقيد في سرت ويجب أن تذهب إليه فيها وحدك ودون أي حضور إعلامي.

وافق عنان على التوجه إلى سرت وهو قادم من سفر جوي طويل، فحملوه في موكب بري دون الإعلام الذي جاء معه من أميركا وأوروبا، ووصل إلى سرت ليلاً ولم يكن العقيد في سرت، حيث قيل لعنان إن القائد في قلب الصحراء في منطقة اسمها الصمت، فتحامل الرجل العجوز على نفسه وتابع الرحلة في الموكب البري في سيارات تقصد الأمن الليبي بناء على تعليمات العقيد أن تكون متهالكة.

تحدث كوفي عنان مع معمر القذافي وهو في الساعات الأولى من الصباح منهك القوى مشوش الذهن، وصمم المرافقون على إعادته إلى طرابلس في الفجر نفسه دون نوم أو راحة.

في طرابلس وبعد قسط قليل من الراحة خرج أمين الأمم المتحدة ليتحدث بإيجابية كبيرة عن اللقاء مع القائد قائلاً إن هذا الرجل عظيم وقد مررت بتجربة عظيمة في قلب الصحراء مع هذا القائد الصوفي، وهو رجل صادق ينفذ كل وعوده، وهو رجل الأمانة والروحانيات.

تحدث عنان عن خبرة في عقلية وتفكير العقيد، مستنداً إلى طلب أميركي مباشر منه أن يخرج بأكبر قدر من الإيجابية مع الرجل... مستدرجاً إياه بالكلام اللطيف وبالمديح الذي يستهويه الرجل حتى العبادة، كي يحصل منه على ما يريد.

الفارس الخامس

في ختام مقدمة كتاب رواية الفارس الخامس للكاتبين دومنيك لابيير ولاري كولينز الصادر عن دار الآداب في بيروت 1983. يورد الكاتبان أن صحافيين من مجلة شترن الألمانية أجريا مقابلة مع العقيد معمر القذافي في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني 1980 جاء فيها ما يلي:

شترن: هل قرأتم سيدي الرئيس كتاباً يتحدث عن ليبيا ويحمل عنوان الفارس الخامس..؟

القذافي: لا.

شترن: ومع ذلك فأنتم شخصياً البطل الرئيس في هذا الكتاب الذي يصوركم وأنتم تكلفون شباباً فلسطينيين بوضع قنبلة هيدروجينية في نيويورك لإجبار الأميركيين على إرغام إسرائيل على إعادة الأراضي العربية المحتلة للفلسطينيين.

ابتسم القذافي قائلاً: إنها فكرة ممتازة.

شترن: فكرة فقط؟

فأخذ الرئيس الليبي يضحك بانطلاق... ثم يقول: على كل حال... إذا تحققت هذه الفكرة يوماً... فأنتم الذين ستكونون مسؤولين عنها، لأنكم تكونون أنتم الذين وضعتموها في رأسي!!

القذافي يصفي الساحة الوطنية

اعتماداً على ما تكدست لديه من صلاحيات باسم قيادة العمل الثوري وسقوط الدولة، بدأ معمر القذافي مرحلة، إن لم تكن هي الأقسى والأشرس في التعامل مع خصومه... فقد كانت من المقدمات الضرورية في نظره للوصول إلى أن تصبح ليبيا كلها بشعبها ومقدراتها الضخمة، عجينة بين يديه يشكلها وفق ما يريد، ولديه كل هذه في التشكيل، ليقدم صورة جمالية عن بلد البحر والماء والصحراء والخضرة والنفط والتشكيل الاجتماعي المتنوع والأصالة العربية والجهاد غير المسبوق في التاريخ.

كان معمر القذافي مشوهاً من داخله وفي شكله وفي استعراضاته وفي عقله حتى تجمعت كل صفات السقوط النفسي، سواء باسم جنون العظمة (البارانويا) أو المرض العقلي والنفسي (السايكوباتيك).

شرع معمر القذافي أولاً في تصفية الساحة الوطنية من الذين سبقوه في العمل الوطني وكانوا أعلاماً معروفة قبله...

ونحن نختار الثلاثي الوطني المعروف قبل الثورة كي نلقي الضوء قليلاً على تحول القذافي المريع من الانفتاح الذي بدأه على كل القوى السياسية قبل الثورة، إلى التأله والتفرد وتسليم الأبناء كل شأن من شؤون بلد كان القذافي يتباهى بأنه تسلمه وعدد سكانه 3 ملايين وهو بعد 42 سنة أصبح 6 ملايين!!

الثلاثي المقصود بهم المحامي عامر محمد الدغيِّث، علي أبو زقّية، وعبد اللّه شرف الدين.

قتل عامر الدغيِّث

كان المحامي عامر الدغيِّث من عائلة معروفة في طرابلس العاصمة، وكان بعثياً ومن قيادات حزب البعث في ليبيا، سجن في العهد الملكي بسبب أفكاره وآرائه المكتوبة، وحينما قامت الثورة عام 1969 عرض عليه معمر القذافي أن يتعاون معهم وان يتسلم منصباً في إحدى الوزارات فرفض عامر المهمة، قائلاً إنه لا يريد المشاركة في حكم العسكر... وإذا ما أصبح الحكم مدنياً فإنه سيجد مكانه فيه.

وما أن أطلق القذافي ثورته الثقافية حتى كان عامر الدغيِّث ضمن أوائل المعتقلين. وكانت التهمة هي الأسخف وهي أنه يحمل الكحول في سيارته... والجميع يعرف أن الدغيِّث كان الوحيد بين أصحابه الأقرب الذي لا يشرب الخمر ولا يحمل زجاجاتها..

كان الهدف هو ترويع المثقفين والوطنيين، كي يستمع الجميع إلى كلمة القذافي الواضحة: «أنا سيدكم».

لم يكن هناك ما يهدد حكمه، ومجلس قيادة الثورة، والجميع ملتفون حوله، متماسكون... لكنه كان يريد إخافة المثقفين وإخضاعهم وترويعهم لإثبات وجوده.

أطلق سراح عامر الدغيِّث بعد فترة تعذيب وإهانات كأن القذافي أراد إيصال الرسالة له كما يتوهم العقيد ويعتقد.

(فيما بعد قتل رجال العقيد المحامي عامر محمد الدغيِّث عام 1980 ضمن انتقال جديد لجنون القذافي من مرحلة التهديد إلى مرحلة الإجرام الفعلي الذي بدأ عام 1980... ولهذا التاريخ توصيف لا بد من الوقوف عنده لاحقاً).

محاولة قتل عبد الله شرف الدين

عبد الله شرف الدين، وكان أيضاً من قيادات حزب البعث في ليبيا، وعمل رئيساً لتحرير جريدة «الوحدة»، التي تحول اسمها بعد ذلك إلى «الأيام».

وكان عبد الله شرف الدين أيضاً محامياً، فطلب منه القذافي أن يأخذ موقفاً من رئيس وزراء ليبيا السابق المحامي عبد الحميد البكوش المعارض (لجأ البكوش إلى مصر وأرسل العقيد مجموعة لقتله وفشلت).

شرف الدين ردَّ على القذافي بأنه عضو في مجلس نقابة المحامين وأن هناك أعضاء لا يريدون اتخاذ موقف ضده وهو لا يستطيع أن يضغط على المجلس لاتخاذ موقف ضد البكوش، وأكمل شرف الدين قوله للعقيد: أنتم قادرون أن تفعلوا ما تريدون، ونحن لن نصدر موقفاً لا معه... ولا ضده.

وبالفعل لم يصدر مجلس نقابة المحامين موقفاً لا مع البكوش ولا ضده، فنادى القذافي شرف الدين ثانية، فذهب عبد الله وصديقه وزميله عبد المجيد الميت، ليدعم موقفه مع العقيد، فلما تبلغ القذافي منهما موقف نقابة المحامين نهض بعصبية، فوقفا ومدا أيديهما لتحيته فرفض مد يده، فانسحبا وهما متأكدان بأن الرجل سيضمر الشر لهما.

وبعد مقتل الدغيِّث شعر عبد الله شرف الدين بأن القذافي لن يتركه، فصمّم على مغادرة ليبيا بأسرع وقت ممكن.

لكنه وقبل هربه تعرض عبد الله شرف الدين لمحاولة اعتداء من قبل عصابات القذافي التي بدأت تتشكل بداية من رجال الأمن، التي حاولت قتله لكن حراس المزارع والمنازل قرب منزل شرف الدين وعمال البناء في ورش قربه سارعوا لنجدته، فهرب المعتدون ونجا المحامي المحايد.

طلب شرف الدين موعداً من القذافي ليقول له أنا معكم، فلماذا محاولة قتلي وإذا كان عليّ ملاحظة فحاكمني أو استدعني. فقال العقيد هؤلاء جماعة خارجون عن القانون وسأحاسبهم... وانتهى الأمر عند هذا الحد.

بعد كل هذا لم يكن أمام عبد الله شرف الدين إلا الهرب، فرتّب الأمر مع الرجل الثالث في المجموعة علي أبو زقّية.

هرب عبد الله شرف الدين إلى مصر بعد حصوله على تأشيرة دخول إليها بحجة

العلاج، بينما هرب علي أبو زقّية إلى الجزائر، ومنها توجه إلى أميركا ليعيش فيها... ويرحل منها.

ملاحظة علي أبو زقّية

علي أبو زقّية، وهو رجل مثقف من طرابلس عاش في مصر وتزوج من شاعرة مصرية معروفة هي السيدة كوثر نجم، وكان لها حضور أدبي في بلدها، وعاد إلى بلده في الخمسينات متأثراً بالمد اليساري التقدمي والقومي الذي ساد في ليبيا قبل الثورة.

كان علي أبو زقّية ناطقاً باسم اليسار في نظر كثيرين في ليبيا، وهو قصاص وصاحب مساهمات أدبية وروائية، تعرض بسبب كتاباته ومواقفه السياسية لملاحقات من القذافي وأجهزته وقيل إنه كان شيوعياً وحاول تنظيم حزب شيوعي في ليبيا، لكن المناخ الشعبي لم يساعده على ذلك.

قصة عام 1980

قيل كثيراً إن معمر القذافي عندما قام بالثورة في 1/ 9/ 1969، وعين البعثي العراقي سعد الدين أبو شويرب رئيساً للأركان، (مرة أخرى يستلهم معمر القذافي تجربة جمال عبد الناصر حينما قاد ثورة 23 يوليو وهو ضابط صغير السن فعين اللواء محمد نجيب التي كان شخصية معروفة ومحبوبة في الجيش كبير السن ليس له أي توجه أو شخصية سياسية رئيساً لمجموعة الضباط الأحرار التي قادت الثورة عام 52 كواجهة ليس إلا، هكذا اختار القذافي أبو شويرب الضابط المحبوب في الجيش الذي كان مطروداً من الخدمة العسكرية بسبب آرائه السياسية كواجهة لثورة الفاتح ليس إلا) استقبل وفداً بعثياً أرسله النظام البعثي الذي كان تسلم السلطة في العراق (في 17- 30/ 7/ 1968). وإن هذا الوفد البعثي قدّم للقذافي نصيحة اعتبرها هديته إليه، وهذه النصيحة هي أن على القذافي أن يتخلص من كل من يعترض على حكمه بالقتل، سواء كان المعترض قال كلمة أو كتب رأياً أو أطلق نكتة، أو شكّل تنظيماً أو حرّض على السلطة الجديدة.

وقيل يومها إن القذافي وأعضاء مجلس قيادة الثورة شكروا الوفد العراقي الأمني على نصيحته.

غير أن هذا لم يمنع القذافي بالتدرج في التخلص من خصومه، خطوة إثر خطوة،

وفق مراحل كان لكل منها عنوان ودرجة في القسوة حتى القتل والسحل والمجازر الجماعية.

حردان التكريتي في طرابلس ناصحاً

مع بداية الثورة لم يستمع لنصائح الوفد الأمني العراقي برئاسة وزير الدفاع العراقي حردان التكريتي الذي أوصى القذافي أن يدخل كل معارضيه السجون حتى ينسوا أسماءهم، (يتندر بعض الليبيين أن الوفد العراقي جاء بطائرتين فتساءل الليبيون لماذا الطائرتان ألا تكفي طائرة واحدة فجاءت النكتة بأن الطائرة الأولى لنقل الوفد الأمني العراقي الذي حمل النصيحة للقذافي أما الطائرة الثانية فتحمل الحبال لسحل معارضي القذافي تطبيقاً لهذه النصيحة) وعندما كان يقرأ في تقارير الأمن عن اعتراضات على توجهاته أو ما تصفه أجهزة الأمن بخروج عن الثورة، وكان يحاول الرد عليها بالاعتقالات، ثم بالسعي لمحاكمات عسكرية ليصفي ويعدم. كان يستمع إلى نصائح أخرى أبرزها من صديقه القديم أول رئيس وزراء لليبيا بعد الثورة محمود المغربي وزملائه في مجلس قيادة الثورة، بعدم قتل أحد وكان في نيته تصفية أعضاء في الحكم الملكي السابق.

يقول محمود المغربي لزملاء له: لقد جلسنا مع العقيد وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ليلة كاملة كي نقنعه بألاّ يقتل أحداً قائلين له: إن جمال عبد الناصر مثلك ورمزنا الأعلى لم يقتل أحداً، بل أرسل الملك فاروق إلى المنفى دون إراقة نقطة دم واحدة في الثورة.

فقد كان في نية معمر القذافي أن يحيل أركان الحكم الملكي السابق إلى المحاكمة العسكرية أو محكمة أمن الدولة وكانت بقيادة الرائد بشير الهوادي، لتصدر أحكاماً بالإعدام ضدهم. علماً بأن معظم أركان هذا العهد جاء إلى القذافي مبايعاً مؤيداً ومنهم ولي العهد الأمير حسن الرضا ورؤساء حكومات ورؤساء مجالس نواب ووزراء ومحافظون... كلهم من العهد السابق.

وإذا كنا أوردنا أن القذافي بعد العام 1980 هو غيره قبل هذا التاريخ، وأعطينا اغتياله للمحامي عامر الدغيّث نموذجاً بعد العام 1980 كما قتل المحامي البعثي أيضاً محمد حمي في بني غازي (عمل مستشاراً قانونياً في القصر الملكي لفترة بسيطة ولمهمة محددة) فإننا نقف أمام هذا التاريخ لنشير إلى أن القذافي أطلق في هذا العام مشروعه

لاختطاف أنفاس الشعب الليبي في الداخل وفي الخارج عبر ما أسماه هو اللجان الثورية.

ما بعد العام 1980

حتى ذلك العام كان معمر القذافي يتصرف كأي حاكم ديكتاتوري عربي (أو أجنبي) في بلاده، يقيل ويسجن وينفي ويغضب ويعاقب ويبعد، ولم يصل بعد إلى ما بات يرتكبه من مجازر وإرهاب وإرسال عصاباته لقتل أي معارض خارج بلده لمجرد كلمة قالها.

في ذلك التاريخ 1980 كانت ثورة إيران ضد الشاه قد أكملت عامها الأول، وكان المدعي الثوري الإيراني الشيخ صادق خلخالي قد بدأ حملة تصفية شاملة ضد كل من تريد الثورة الجديدة التخلص منه، سواء كان من عهد الشاه أو من المعارضين، أو مجرد المنتقدين بالكلام لمسار الحكم الجديد باسم الإسلام.

كان صادق خلخالي يتباهى بأحكام الإعدام التي يصدرها، وتنفذها سلطاته الأمنية بحق المعارضين، حتى تم قتل الآلاف من شباب وكهول ونساء وأطفال إيران في السنة الأولى من عمر الثورة التي جاءت باسم الإسلام العادل للتخلص من النظام الظالم الذي كان في إيران.

استلهم القذافي تجربة خلخالي في إيران ليطبقها في ليبيا وعلى نطاق واسع بدءاً من العام 1980 وما بعدها.

لماذا في ذلك العام وما بعده؟

كان الوطن العربي كله مشغولاً بمشاكل لا حصر لها بدأت في تصاعد الحرب الأهلية في لبنان التي استمرت منذ 1975 حتى 1989، في إعلان اتفاق الطائف، قبل أن تدخل في منعطف أخطر بعد قتل الرئيس رفيق الحريري وسيطرة حزب الله على السلطة في لبنان عام 2005.

1- وشغلت حرب لبنان في سنواتها الأولى دولاً عدة سواء منها ما شارك في الحرب والتمويل والاغتيال والقتل والسجن كما النظام السوري. أو منها من شارك في التمويل والدعم السياسي لأطراف من المتصارعين كما أنظمة ليبيا والعراق والجزائر. أو من سعى لحل سلمي للمسألة اللبنانية لإنهاء الحرب من أبناء الوطن الواحد، ولمنع تدخل الآخرين في شؤون لبنان كما المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الإمارات ومصر (التي اكتفى حاكمها أنور السادات يومها برفع

شعار «ارفعوا أيديكم عن لبنان» ثم أدار ظهره نهائياً لما يحصل فيه).

2- عام 1977 ذهب أنور السادات إلى القدس فنشأت عزلة شديدة حول مصر فأدارت ظهرها لكل العرب، ثم بدأت عام 1980 المواجهات المسلحة داخل سوريا بين السلطة وجماعة الإخوان المسلمين فانشغلت دمشق بهمها الداخلي فضلاً عن سيطرتها على لبنان.

وفي العام 1980 بدأت الحرب العراقية - الإيرانية والتي استمرت حتى العام 1988، واستقطبت اهتمام وهموم وتمويل وإعلام دول الخليج العربي كلها، فضلاً عن اهتمام مصر ومساعدتها للعراق في تلك الحرب الطويلة.

3- ثم غزا الجيش العراقي الكويت عام 1990 ولم يخرج منها إلاّ بحرب ضروس استدعى تأليف أميركا تحالفاً مع 30 دولة بينها سوريا ومصر خارج دول الخليج العربي لإخراج الجيش العراقي من الكويت.

4- سقط نظام خصم القذافي الأهم في المنطقة وهو جعفر نميري في السودان (1985). وجاء إلى السلطة حلفاء القذافي المدنيون قبل أن يخلعهم حليف عسكري للقذافي شريكه في كثير من عمليات الإجرام عمر حسن البشير، وما زال رغم إسلاميته الظاهرة وعداء القذافي للإسلاميين حليفاً داعماً بعد مزاعم العداء لأميركا، خضوع الاثنين لمحاكمة المحكمة الجنائية الدولية عبر مدعيها العام لويس مارينو أوكامبو.

5- وكان النفط الليبي العالي الجودة، القريب من سطح الأرض والقريب في تصديره إلى أوروبا الغربية (يومها) أكثر إغراءات القذافي للغرب أهمية كي يغرق قادته رؤوسهم في سواده وأنوفهم في روائحه، كي يبتعدوا عن سؤال القذافي عن أي جريمة قتل يرتكبها ضد معارضيه في الداخل، وتحديداً في الخارج، وشهدت شوارع المدن الإيطالية والفرنسية والبريطانية والألمانية واليونانية المئات من عمليات القتل التي كان القذافي يصدر أوامرها لتقتل عصاباته الأمنية المعارضين والمسالمين الليبيين في المدن، ثم لتعود لتقديم إنجازاتها ليفرح بها العقيد ويبشر بها مؤتمراته الشعبية معلناً خلاصه من الكلاب الضالة!!!

وفي آخر الكتاب ملحق بقسم كبير من جرائم القتل ومحاولات القتل التي أمر بها معمر القذافي ونفذتها عصاباته وأجهزته الأمنية، باسم ما يسمى باللجان الثورية

وهذه اللائحة مأخوذة من كتاب محمد يوسف المقريف منّ جرائم اللجان الثورية في ليبيا ومن المسؤول عنها، عن مركز الدراسات الليبية أكسفورد.

والمقريف هو واحد من أبرز المعارضين المبكرين لنظام معمر القذافي في ليبيا.

كان عام 1980 بداية تحول القذافي إلى مجرم حرب حقيقي، مجرم ضد الليبيين بالدرجة الأولى.

معمر القذافي يحقن أطفال بني غازي بالإيدز

سألنا ليبيين كثيرين، من خصوم وأصدقاء معمر القذافي القدامى، لماذا يكره هذا الحاكم بني غازي تحديداً ونحن نعلم أنه يكره شعب ليبيا كله.

كانت إجابة الجميع واحدة، لأن بني غازي كانت عصّية عليه، ثارت ضده، حاول البعض اغتياله فيها وعندما قامت الثورة الأخيرة ضده وكانت القاضية على نظامه وإرهابه، وتبين أن الاثنين كانا على حق.

فمن حق بني غازي أن تثور على القذافي، وما كان لشخص مثل القذافي أن يسكت على بني غازي، بما واجهته به عبر عقود.

ونحن لا نستبق الأمور كي نقول إن طائرات الميراج الفرنسية التي انطلقت بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي العام 1973 القاضي بفرض حظر جوي فوق ليبيا. أنقذت بني غازي من مجزرة ربما لم يكن التاريخ ليشهد مثيلاً لها.

طائرات الميراج الفرنسية التي قصفت قافلة عسكرية من دبابات ومدفعية وشاحنات وجنود القذافي التي كانت على بعد كيلومترات من بني غازي، أوقفت زحف قوات العقيد على المدينة الثائرة وقد تجمع فيها نحو مليون ليبي ثائرٍ على النظام، كانوا مهددين بمصير الآلاف الذين قتلتهم قوات العقيد وكتائب أبنائه في كل أرجاء ليبيا.

حملت ثورة بني غازي اسم ثورة 17 فبراير تيمناً باسم الثورة التي انطلقت في مثل هذا التاريخ قبل عدة سنوات.

ولكي لا نسترسل في تفاصيل ثورة فبراير/ شباط 2011 على القذافي، وتفاصيل محاولات الاغتيال ضده في هذه المدينة العظيمة ندخل مباشرة إلى أحد أبرز مظاهر انتقام معمر القذافي من مدينة بني غازي وأهلها عبر أغرب وأحقر ما يمكن تخيله من أفكار سوداء خرج بها هذا الحاكم لينفذ فيها أغرب قضية قام بها حاكم في هذا التاريخ،

إنها قضية حقن 450 طفلاً ليبياً بمرض نقص المناعة المعروف باسم الإيدز أو السيدا عام 1999.

إيدز فكري

أول إشارة إلى هذه القضية المخيفة جاءت من أهالي الأطفال مباشرة، وعبر لقاء بعضهم مع العقيد نفسه. ذهبوا إليه ليبلغوه ويشكوا إليه إصابة أولاد لهم ومئات غيرهم بالإيدز في مستشفى بني غازي الحكومي طالبين منه برجاء أن يوافق على إرسال الأولاد المصابين إلى الخارج للعلاج.

الأمر الطبيعي في هذه الحالة كان أن يبدي القذافي دهشته من هذه المأساة، وأن يطلب تحقيقاً فورياً مع إدارة المستشفى ومع الأطباء ومع الممرضين ومع الإداريين ومع وزير الصحة أو أمينها أو مع أعضاء الأمانة العامة الشعبية، بالكارثة الإنسانية التي تصيب وأصابت رجال المستقبل، وأن يأمر بعلاج الأطفال بالخارج على حساب الدولة، وأن يأمر بتعويض أهالي الأطفال المتوفين.

لكن معمر القذافي فاجأ أهالي أطفال بني غازي برد غريب أذهلهم، وأشعرهم كم هو الرجل ضالع في هذه الكارثة... بل ويعتبرها انتقاماً منهم! قال القذافي ساخراً شامتاً مهدداً:

عندما كان الإيدز الفكري سائداً في مدينتكم، ومحاولات الاغتيال تتم عندكم ضدي، وضد الثورة، لم تأتوني لتعلنوا وقوفكم معي... الآن تأتوني لعلاج أولادكم... هيا عودوا إلى مدينتكم وعالجوا الإيدز الفكري الذي يسود في عقول أهلها. طرد معمر القذافي وفد الأهالي وهم في حالة ذهول لم يطرده ويعيدهم إلى الحقيقة سوى رعبهم الحقيقي من انتقام القذافي منهم أيضاً... طالما انتقم من أولادهم بهذه الطريقة الغريبة.

لكن أهالي الأطفال المحقونين بالإيدز في بني غازي، بين أبناء مدينتهم، هم غيرهم في طرابلس تحت سلطة معمر القذافي. فبدأوا تحركاً جدياً، يحمل كل مشاعر الغضب والإصرار على معرفة الحقيقة فاغتنموا فرصة عقد اجتماع للجنة الشعبية العامة للصحة (وزارة الصحة)، فتوجه جمع من الأهالي إلى مكان الاجتماع في طرابلس ورفعوا لافتات يطالبون فيها بالتحقيق بما حصل لأولادهم، وطلبوا لقاء أمين اللجنة الشعبية (أي الوزير)

وعرضوا له مأساتهم بأولادهم.

كان وزير الصحة الليبي خبيراً إدارياً في منظمة الصحة العالمية. وكانت له آراء مضت أعجبت العقيد فكلّفه بهذه المهمة (توزيره).

وما أن استمع الوزير لشروحات الأهالي عن وضع أولادهم، حتى أمر بتشكيل لجنة تحقيق للوصول إلى الحقيقة وهو ما لم يفعله العقيد.

خرج الوزير يقول نريد أن نعرف كيف ارتكبت هذه الجريمة، معلناً أنه لن يرضى الاستمرار في منصبه إلى أن يكشف للناس كيف حصل ما حصل. وصلت تصريحات الوزير إلى أهالي بني غازي فسارع أبناء المدينة إلى المستشفيات لفحص أولادهم وهم في حالة ذعر، فتحولت القضية إلى قضية رأي عام، وبدأ الأطباء بالفحوصات الشاملة بتشجيع من وزير الصحة والهلال الأحمر لكل الأطفال فإذا بعدد المصابين هو 450 طفلاً.

سلطات القذافي زعمت أنها تجري تحقيقات، وتم بالفعل سجن عدد من الممرضات البلغاريات، زعمت أجهزة القذافي أنهن هن اللاتي أعطين حقن الإيدز للأطفال كجزء من مؤامرة صهيونية - أميركية - إمبريالية عالمية؟!

لكن القذافي وجد مخرجاً للكارثة التي سببها لأهالي الأطفال، وله شخصياً، في أزمة أخرى كان تورط فيها وبدأ يدفع ثمنها غالياً بالحصار المضروب على ليبيا منذ كارثة تفجير طائرة البان أميركان فوق لوكوربي في اسكتلندا عام 1988.

فقد اتهمت أجهزة القذافي الإعلامية الغرب من خلال تلفيق تهمة حقن الأطفال بالإيدز لممرضات بلغاريات ومعهن طبيب فلسطيني... ولسان حاله يقول: وإذا أردتم أن أطلق سراحهن فعليكم يا أوروبا التي تحاصرنا، يا أميركا التي تحاربني، يا عرب يا ساكتين أن تفعلوا ما يلي:

1- أن تدفعوا لليبيا تعويضات قدرها بـ6 مليارات دولار، علماً أن القذافي دفع التعويضات لمنكوبي الطائرة الأميركية 2.7 مليار دولار، (وقد سمعت من مسؤول عربي كبير أن القذافي أبلغه أن تكاليف التعويضات وصلت إلى نحو 10 مليار دولار).

2- إطلاق سراح المحكوم الليبي في تفجير هذه الطائرة عبد الباسط المقرحي (تسليمه من قبل ليبيا كان اعترافاً رسمياً بأنها ارتكبت هذه الجريمة).

3- بناء مستشفى لنقص المناعة في ليبيا، ومعالجة الأطفال مجاناً في أوروبا (وهي إشارة إلى أن هذا البلد النفطي الذي يبلغ دخله السنوي يومها 40 مليار دولار، العام 2010 بلغ الدخل السنوي 80 مليار دولار) عاجز عن بناء مستشفى من هذا النوع رغم إمكاناته المالية الضخمة.

أطلق النظام الليبي حملة واسعة للحصول على التضامن العربي معه في هذه القضية المزعومة... التي سرعان ما سيتراجع النظام عنها كما سنرى.

وزير الخارجية الليبية يومها عبد الرحمان شلقم طلب من الدول العربية أن تتضامن مع ليبيا كما تضامنت أوروبا مع بلغاريا، وطلب أيضاً من الدول العربية قطع علاقاتها مع بلغاريا (شلقم كان مندوب ليبيا في الأمم المتحدة عندما اندلعت الثورة وأعلن انضمامه إليها، وكان لكلمته المؤثرة عن أوضاع بلاده التي تعاني حرب إبادة يشنها ضدها معمر القذافي أبلغ الأثر في أعضاء مجلس الأمن... الذي كان يدرس يومها إمكانية حماية الشعب الليبي... وتوصل فيما بعد إلى قرار بفرض حظر جوي فوق ليبيا لإيقاف المجازر التي يرتكبها القذافي وأولاده ضد الشعب المسكين).

ومعمر القذافي قال في القمة العربية في الجزائر للرؤساء والملوك والأمراء العرب، أنه أبلغ رؤساء الدول الغربية الذين زاروه والذين هاتفوه بهدف إطلاق سراح الممرضات البلغاريات الخمس (والطبيب الذي يحمل الجنسية البلغارية) إنه إذا لم تعالجوا هذه المسألة، فإن أهالي الأطفال سيتحولون إلى أسامة بن لادن، ليصبحوا أعضاء في القاعدة.

كان واضحاً أن القذافي وهو ينتقم من أبناء بني غازي، يريد عقد صفقة مع الغرب بعد محاصرة بلاده بسبب تفجير الطائرة الأميركية.

اعتقلت الممرضات البلغاريات:

1- سينجانا ديمتروفا

2- فاليا جيرفينياشكا

3- كريستيانا فالجيفا

4- فالنتينا سيروبولو

5- ناسيا نيتوفا

والطبيب الفلسطيني أشرف حجوج عام 1999، وحكم عليهم بالإعدام مرتين الأولى عام 2004.

علماً بأن العدوى بالإيدز انتشرت في المستشفى الحكومي في بني غازي قبل بدء وصول أي من المتهمين المظلومين إلى المستشفى، بل إن الطبيب الفلسطيني المسكين جاء إلى ليبيا للتدريب في أحد مستشفياتها (وهو خريج جامعة في بلغاريا)، وكانت الإصابة بالمئات وهو لا يعرف شيئاً عنها.

تحدث بعض أهالي بني غازي أن أحداً منهم لم يرَ أياً من الممرضات والطبيب الفلسطيني، عندما كانوا يصطحبون أولادهم إلى المستشفى هذا.

بل إن بعضهم تحدث عن أنه كان يجيء بولده إلى المستشفى للعلاج من حالة زكام حادة، فإذا بوجوه قاسية في المستشفى تواجههم، وتلزمهم بالخروج من غرفة الفحص الطبي لإعطاء أولادهم حقناً.

كان يبدأ ظهور المرض (الإيدز) بعدها على أولادهم وقد نتج عن هذه الحقن إصابة 450 طفلاً، توفي منهم خمسون طفلاً وقد شرح بعضهم فيما بعد أن هؤلاء الذين حقنوا أولادهم لم يشاهدوا بعد ذلك في المستشفى ولم يكونوا أطباء أو ممرضين أو حتى مساعدين وقد سألوا عنهم بعد ذلك وجاءت إجابات العاملين في المستشفى أنهم ليسوا عاملين معهم وأنهم ترددوا لفترة معينة ثم اختفوا بعد ذلك. بعض الأهالي تحدث عن رفضه إعطاء الحقن لأولادهم لأنهم حسب ما يفهمون لا يستحق وجع أو ألم في الرأس أو في الأسنان أن يحقن الطفل بحقنة توجع، وقد لا تشفي، وقد فرح هؤلاء بعد ذلك بأن رفض إخضاع أولادهم للحقن، أنقذهم من هذا المرض اللعين ومؤامرة معمر القذافي ضد أولادهم شباب المستقبل.

وبدأت قضية الممرضات والطبيب تكبر في الغرب شيئاً فشيئاً. فمكتشف جرثومة الإيدز د. لوك مونتنييه قال إن مسؤولية الإصابة بهذا المرض تعود للإهمال والتلوث... فاتحاً الباب لتبرئة الممرضات والطبيب وكثرت التساؤلات:

إذا كان المستشفى ملوثاً بالإيدز، فلماذا لم يصب إلا الأطفال، وبعض الأطفال لم يكونوا نزلاء في المستشفى بل إن بعضهم جاء به أهله لإجراء فحوصات طبية فحسب؟

وكلما أثيرت التساؤلات، كان القذافي يتوقع حصاداً سياسياً بفك حصاره الشامل. أصدر حكماً ثانياً بالإعدام على الممرضات والطبيب ثم خففه إلى المؤبد، وكلما

كان يصدر حكماً بالإعدام كانت سلطاته الأمنية تُخرج طلاب المدارس والجامعات إلى الشوارع كي يتظاهروا ويهتفوا له ويندذوا بأميركا والحصار، وليحتفلوا بهذا الإنجاز الوطني الكبير لوطنهم!

إيدز في طرابلس

لم تكن قضية حقن أطفال بني غازي بالإيدز، هي الأولى في سياسة القذافي تجاه شعب المنطقة الشرقية، وما ترسخ في أذهان الناس والإعلام بأن الجريمة طالت فقط أطفال هذه المدينة الباسلة، وما يجب توضيحه بأن مستشفى الأطفال في هذه المدينة كان يستقبل أطفالاً مرضى من كل المناطق الغربية منها، مثل سلوق (مدينة أبو المجاهدين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي عمر المختار)، وقمينس وغيرها من الداخل الليبي أو المدن أو القرى الغربية من بني غازي... وهذا يعني أن عدد المصابين يمكن أن يكون تجاوز الـ 450 طفلاً، كما أن الذين قتلوا يمكن أن يكون تجاوز عددهم الـ 50 طفلاً.

موسم القطاف

ولأن الغرب يفكر في بطنه فقط، مؤجلاً فكره الإنساني والتزامه الأخلاقي إلى مراحل لاحقة، فقد تداعى إلى عقد الصفقة خلف الأخرى مع حاكم بلد النفط والغاز الذي كان يستدرج العروض واحدة بعد الأخرى.

وكلها تصب في مصلحته في تشجيع غريب على القهر والعهر بسفك الدماء وإرهاق الأرواح، يقوم به هذا الحاكم تحت سمع وبصر العالم.

المقرحي مقابل الممرضات... حسناً، لكن أعطنا بعض الوضع للإخراج.

بالمقابل كان القذافي حريصاً على أن يبقى في السلطة من خلال ابنه الأكبر من زوجه صفية فركاش... سيف الإسلام وكان بدأ يقدمه للعالم كأنه الوجه المسالم الحضاري المتمدن المؤمن بالديمقراطية، وحقوق الإنسان فصدّره لحل هذه الأزمة.

ومع أن سيف الإسلام بدأ أول الرقص حنجلة كما يقال أي أعلن: اطلقوا سراح المقراحي مقابل حرية الممرضات والطبيب، إلا أنه في النهاية اعترف بأن المسألة كلها تلفيق بتلفيق.

كان ذهن معمر القذافي ذاهباً إلى أن تصعيد نجم ابنه في الغرب، مع قبوله هناك

سيفتح له المجال لإطلاق سراح المقراحي... مقابل إطلاق الممرضات ولو تأخر التنفيذ قليلاً... وهذا ما حصل.

بدأ سيف الإسلام مطالعته في الأمر اعترافاً منه بأن الممرضات والطبيب تعرضوا للتعذيب والضرب بالكهرباء والتهديد باستهداف أسرهم حتى يعترفوا اعترافات قاهرة.

قال سيف الإسلام علناً: إن الشرطة الليبية تلاعبت بملف القضية، وأن التحقيق لم يتم بطريقة مهنية.

وتمهيداً لإطلاق سراح الممرضات الخمس والطبيب قال سيف الإسلام إن القضاء الليبي نزيه، وأن حقوق الإنسان في ليبيا أفضل مما هي في أميركا.

صحيح أن العالم كله كان يضحك عندما يقرأ أو يسمع هذه التصريحات، إلا أنه كان يريد أن يأكل العنب ولا يريد أن يقتل الناطور، فكانت النتيجة أن سيف الإسلام بعد هذه المقدمات حدّد شروطه لإطلاق سراح المظلومين... وهي صورة أخرى عن شروط والده.

1- تطبيع العلاقات الليبية- الأوروبية.

2- تخفيف قيود السفر إلى بلاده ومن بلاده إلى أوروبا.

3- وصول المنتجات الليبية وتصدير الأسماك إلى أوروبا.

4- بيع السلاح إلى ليبيا.

5- شراء النفط الليبي كأولوية في أوروبا.

وحتى يبيع هذه الشروط ويجعل الغرب يقبلها أعلن أن أهالي الأطفال أعلنوا تنازلهم عن دعاويهم القضائية ضد الممرضات والطبيب.

زارت زوج رئيس جمهورية فرنسا السابقة سيسيليا ساركوزي ليبيا مرتين لتوكيد اقتراب الصفقة، وفيما بعد عقد الصفقة زار ساركوزي نفسه ليبيا لشكر القذافي ولقطف ثمارها. ففي الصفقة بيع سلاح، وشراء نفط وتطبيع علاقات وكلها أمور رأى ساركوزي أن بلاده أولى بها، خاصة وأنه كان معنياً بالقضية من الأساس، لأن ليبيا متهمة أيضاً بأنها أسقطت طائرة فرنسية مدنية فوق النيجر بعد أن ظنّ معمر أن معارضه الأبرز محمد المقريف هو أحد ركابها ولم يكن كذلك وكانت طرابلس دفعت لكل مواطن قتل في هذه الطائرة مليون دولار ثم فتح الملف من جديد إثر شيوع خبر دفع 10 ملايين لكل قتيل في طائرة الـ«بان أميركان»، بطلب زيادة التعويض إلى ما يقل عن 3 ملايين دولار

لكل قتيل في الطائرة الفرنسية.

أعلن رئيس الوزراء الليبي البغدادي علي المحمودي تفاصيل المفاوضات مع الاتحاد الأوروبي لإطلاق الممرضات والطبيب، مقدماً شكره لقطر وتشيكيا لدورهما في دفع التعويضات من خلال الصندوق الليبي.

فرنسا وعدت بتجهيز مستشفى بني غازي، وتدريب طاقمه لمدة 5 سنوات، وتدريب 50 طبيباً ليبياً في مختلف الاختصاصات، وتم دفع مليون دولار لعائلة كل طفل مصاب.

وقد ترددت أنباء بأن ليبيا هي التي دفعت كل هذه التعويضات، لكن قيل في الإعلام إن قطر هي التي تبرعت بهذه المبالغ، حتى لا يظهر أن ليبيا هي المسؤولة عن القضية كلها، والدليل أنها هي التي دفعت التعويضات.

ومع أن اسم إسرائيل لم يأتِ ذكره في أي مرحلة من مراحل المفاوضات، إلا أن رئيس الاستخبارات البلغارية قال إن إسرائيل كان لديها دور في إطلاق سراح الممرضات البلغاريات.

ومع أن سيف الإسلام القذافي أعلن أن ليبيا حققت انتصاراً عالمياً في هذه القضية، معترفاً بأن لها قضاياها مع الغرب، وتريد أن تستفيد بها عبر هذه القضية.

إلا أن القضية سرعان ما بدأت تأخذ بعد حلها والتعويضات وتطبيع العلاقات منحى قضائياً لن يسر نظام القذافي... أو ما تبقى منه حتى الآن.

فالممرضات البلغاريات الخمس أُعلن أنهن تقدمن بدعاوى ضد معمر القذافي شخصياً أمام محكمة صوفيا في بلدهن.

والطبيب الفلسطيني أشرف حجوج بدأ إجراءات دعاوى قضائية أمام محاكم في باريس ومحكمة العدل الدولية في لاهاي.

أما وبعد اعتراف وزير العدل الليبي الذي انضم إلى ثوار ليبيا بعد ثورتهم في 17/ 2/ 2011، مصطفى عبد الجليل بأن نظام القذافي مذنب في هذه القضية، فيمكن للقضاء الدولي أن يحمّل القذافي المسؤولية الكاملة في هذه الجريمة المتعددة المصابين.

وكم كان لافتاً للأمر أن أول وزير انشق عن القذافي والتحق بالثورة وأصبح رئيساً للمجلس الانتقالي الوطني هو وزير العدل الليبي مصطفى عبد الجليل.

بعد كل هذه التفاصيل تظل الأسئلة فارضة نفسها حول كيف ولماذا حصلت هذه الجريمة الفظيعة في حق أطفال (450) وأمهات (20)، وربما أكثر ممن لم يتقدم أهاليهم

بالإبلاغ عن وفاة أي من أطفالهم أو أمهاتهم.

يقول البعض حتى لو افترضنا جدلاً أن الفاعل الحقيقي هو مجموعة الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني بالفعل؟؟... فإذا كانوا هم الفاعلين فالسؤال الذي سيطرح نفسه بإلحاح هنا هو لماذا؟؟... لماذا فعلوا ذلك؟؟... ولحساب مَن فعلوا ذلك؟؟...

هناك - في هذه الحالة - عدة احتمالات وتفسيرات تتردد:

- أن جهاز استخبارات النظام - وبتوجيهات من العقيد القذافي - ومن وراء ألف ستار - هو من قام بالاتصال - بشكل غير مباشر - وعن طريق وسيط - بهذه المجموعة «الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني» وقاموا بتوريطهم في هذا العمل الإجرامي مقابل مبالغ مالية مغرية وذلك بهدف الانتقام من أهالي بني غازي والتشفي فيهم أو من أجل اصطناع (كارثة إنسانية) يحاول من خلالها القذافي كسب عطف العالم لفك الحصار (المعنوي والمادي) الذي كان مضروباً على نظامه!!... وكما في ملف التحقيق فإن هذا الوسيط هو ذلك (الأجنبي المجهول؟) الذي اتفق معهم على العملية ثم اختفى فجأة..!!
- أن جهاز استخبارات العدو الصهيوني (الموساد) هو من قام بتنفيذ هذه الجريمة.. وهو من أرسل الوسيط الأجنبي لعقد الصفقة مع مجموعة الممرضات البلغاريات وقد ذكر النظام هذا الأمر في بداية ظهور الجريمة ثم أعرض عن هذا الاتهام ولم يعد يتطرق إليه!! إلا أن القذافي عاد في لقاء إعلامي في محطة «الجزيرة» محاولاً تشتيت التحقيق وجهات الاتهام - تماماً كما فعل في كارثة الطائرة المدنية المنكوبة من بني غازي إلى طرابلس!

وذكر أن هذه الجريمة قد تكون وراءها استخبارات أجنبية دون أن يسمي (الموساد) بالاسم!!... والسؤال هنا: لماذا تختار الموساد أطفال الليبيين بالذات ولماذا بني غازي على وجه التحديد؟؟ وهل عدد سكان ليبيا مما يثير قلق الكيان الصهيوني إلى هذه الدرجة كي يقوموا بهكذا جريمة!

- أن شركة دولية غربية، تريد إجراء بعض التجارب على مرض الإيدز فاختارت ليبيا بسبب الفوضى الإدارية وهي بالتالي من أرسل ذاك الوسيط الأجنبي لعقد الصفقة مع مجموعة الممرضات البلغاريات لتنفذ تجاربها في أطفال الليبيين!!...

والسؤال هنا والذي يطرح نفسه بقوة من هي هذه الشركة؟ ولماذا اختارت ليبيا بالذات

وها هي أفريقيا تعجّ بالفوضى وبأعلى درجة من الفساد وأعلى نسبة إصابة بمرض الإيدز في العالم.

- أن الجريمة إنما وقعت بسبب الإهمال وعدم توفر نظام صحي وإداري سليم وقوي في المستشفيات الليبية عموماً وفي المستشفى الذي وقعت فيه الحادثة بوجه خاص!... وهذا ما نفاه التحقيق أصلاً وهو ما لا يمكن قبوله عقلاً فكل الأدلة والحيثيات تشير بشكل حازم أن الحادثة، وبهذا العدد الهائل الرهيب، إنما هي عمل إجرامي مدبر ولا يمكن أن تكون بحال من الأحوال قد وقعت خطأ أو سهواً أو بسبب الإهمال!

من سيرة العقيد الذاتية ومساره نعود إلى الاستنتاج الأول وهو أن معمر كان يكره بني غازي وأهلها، وهو دبر هذه الجريمة تعبيراً عن سلوك وحقد وقرار حاسم في طريقة الانتقام من شعب بأكمله عن طريق قتل أطفاله ونسائه ورجاله.

خطف منصور الكيخيا

يعتقد ليبيون قابلناهم لاستيضاح مأساة خطف وزير خارجية ليبيا الأسبق دكتور منصور الكيخيا، أن الاستخبارات المصرية ساهمت مع الاستخبارات الليبية في خطف هذا الرجل الدمث الأخلاق الذي نذر نفسه للعمل الديمقراطي من أجل خلاص ليبيا.

ويقول بعضهم، إن القذافي أراد أن يخطف الكيخيا ليحصل منه على معلومات معينة ثم يتم التخلص منه.

كان الكيخيا أثناء وجوده في الأمم المتحدة بحكم منصبه الرسمي، يلتقي مسؤولين أميركيين، وعندما تخلّى عن هذا المنصب كان شبك علاقات واسعة مع معارضين ليبيين ونجح في عقد مؤتمر يجمعهم في واشنطن بتسهيل من مسؤولين أميركيين تحت عنوان ماذا بعد القذافي؟

كان معمر القذافي يعتمد على جواسيس كثر خاصة من المنظمات الفلسطينية التي نجحت في اختراق المجموعات الليبية المعارضة. كما في التعامل مع مختلف أجهزة الاستخبارات العالمية، لتقديم معلومات عن كل من وما يريده، خاصة عن المعارضين الليبيين في الخارج، لكنه وبعد سلسلة هزائم وعمليات ترحيل للمنظمات الفلسطينية من بيروت وتقييدهم في تونس واليمن فقد مصدراً مهماً للمعلومات.

شكل عقد مؤتمر ماذا بعد القذافي؟ في واشنطن ودور منصور الكيخيا في عقده حالة قلق في نفس القذافي، وهو المهووس بأمنه الشخصي. وبعد أن فقد مصادر معلوماته الواسعة فقد قرّر أن يخطف الكيخيا ليعرف منه خطة المستقبل للتخلص من نظامه ومنه شخصياً.

ولو كان القذافي يريد قتل الكيخيا في القاهرة أو غيرها لمجرد أنه خصمه لكان الأمر سهلاً جداً خاصة وأن الرجل بحكم عضويته في المنظمة العربية لحقوق الإنسان ومقرها في القاهرة، كان كثير التردد على أرض الكنانة، وكان يمكن تصفيته بوسائل عديدة، عند إقامته في فنادقها، بواسطة اقتحام غرفته مثلاً، قتله، أو دسّ السم في طعامه أو تدبير حادث سير في الشارع، أو أي من أساليب الاستخبارات البريئة مظهراً للتخلص من أي كان لكن هدف العقيد لم يكن قتل الكيخيا قبل أن يستمع منه إلى الخطة التي أقرّت في مؤتمر واشنطن لمرحلة ما بعد القذافي.

يؤكد معارضون ليبيون أن تعاوناً وثيقاً كان يربط استخبارات ليبيا خاصة بشخصي عبد الله السنوسي وموسى كوسى ببعض مسؤولي الاستخبارات المصرية... وخاصة عبد السلام محجوب، ثم عمر سليمان وبرعاية من حسني مبارك نفسه، وأن الاثنين ترددا كثيراً على القاهرة قبل خطف الكيخيا، وكانا يلتقيان دائماً مع محجوب وبمعرفة الرئيس حسني مبارك.

لماذا خطفه معمر؟

معارضون ليبيون يرجحون أن عملية خطف الكيخيا وضعت خطتها في أثناء أحد هذه اللقاءات وأنه تم استدراجه من فندق «سفير» في منطقة الدقي في الجيزة حيث كان ينزل، إلى عشاء في منزل سفير ليبيا في مصر إبراهيم البشاري (قتل في حادث سيارة) ومنه أُركب في سيارة دبلوماسية ليبية، وجرى تخديره داخلها، ثم انطلقت ضمن موكب رسمي ليبي بموازرة سيارة استخبارات مصرية رافقته إلى الحدود الليبية - المصرية، وأمنت دخوله الأراضي الليبية، وأن الاستخبارات الليبية حققت مع الكيخيا وحصلت أو لم تحصل على المعلومات التي تريدها منه، ثم جرت تصفيته بعدها.

ويختم معارضون ليبيون مقيمون في القاهرة أن محجوب حصل على ترقية بعد هذه العملية، وخرج إلى التقاعد ليصبح محافظاً للإسماعيلية، وبعدها محافظاً للإسكندرية وأحبه الناس فيها حتى أسموه عبد السلام المحبوب، قبل أن يصبح وزيراً للتنمية المحلية

إثر خدمته في الإسكندرية لمدة 10 سنوات، وقد رشّح نفسه لانتخابات مجلس الشعب المصري عن إحدى دوائر الإسكندرية، وكان خصمه فيها أحد قادة الإخوان المسلمين صبحي صالح، وتفوق المحجوب بعشر مرات أضعاف أصوات صالح، قبل حل مجلس الشعب إثر ثورة 25 يناير، ليصبح صالح هذا عضواً في لجنة تعديل الدستور برئاسة طارق البشري... ومحجوب ينتظر مصيره.

ويقول وزير خارجية ليبيا الأسبق عبد الرحمان شلقم في حديث مع جريدة «الحياة» بعد انشقاقه عن القذافي إثر الثورة إن رئيس استخبارات مصر نائب الرئيس عمر سليمان كان رجل ليبيا في مصر وإن له دوراً في إخفاء الكيخيا.

معلومات شلقم

يقول وزير خارجية ليبيا الأسبق عبد الرحمان شلقم أن منصور الكيخيا تم خطفه من دار السفير الليبي في القاهرة إبراهيم البشاري الذي كان اشترى منزلاً في العاصمة المصرية على النيل، قرب منزل أنور السادات وأن مدير المباحث الليبية العميد محمد المصراتي كان في مصر وقد تحدث مع الكيخيا هاتفياً طالباً منه موافاته إلى منزل البشاري ليتحدث معه، وإن الكيخيا الذي كان رجلاً مسالماً وطيباً إلى حدود السذاجة وافق على طلب البشاري والمصراتي وذهب إليهما، حيث قبض عليه هناك وسلم إلى الأمن المصري الذي نقله سراً إلى طبرق حيث كان في انتظاره عبد الله السنوسي. فأركبوه في طائرة ونقلوه إلى سجن أبو سليم في طرابلس الذي شهد المجزرة الشهيرة عام 1996.

ويقول شلقم أن هناك من يعتقد أن الكيخيا قتل في المجزرة نفسها بعد سنوات من خطفه (1996) وهناك آخرون يقولون إن الكيخيا كان يعاني من أمراض السكر والقلب والضغط (ولم يتحمل جسده السجن في الظروف القاسية التي مرّ ذكر الحديث عنها في قسم مجزرة أبو سليم).

شلقم يؤكد أن الكيخيا شوهد في سجن أبو سليم.

معلومات بعثيين عراقيين

ويقول رفاق للكيخيا عن علاقته بالعراق: كان منصور الكيخيا من أبرز الشباب البعثي في ليبيا وأكثرهم إخلاصاً في إيمانه وواعداً في عطائه متفانياً في ولائه لحزب

البعث، عمل بصمت وجهد مع رفاقه الليبيين الذين كان من بينهم، «عامر دغيِّث» و«عبد الله شرف الدين» (في مكان آخر من هذا الكتاب حديث مفصل عما أصابهما من القذافي).

بدأ نشاط هؤلاء في عهد الملك إدريس السنوسي وكانوا معارضين له فسجنوا وعندما قامت ثورة الفاتح في 1/ 9/ 1969 بقيادة معمر القذافي. رحب البعثيون في ليبيا استناداً إلى توجيهات القيادة القومية في بغداد بانقلاب القذافي وأيدوا التعاون معه، لم يبادلهم القذافي الشعور نفسه واضطهدهم ثم بدأ بملاحقتهم وقتلهم وكان نصيب «عامر دغيِّث» القتل في حين أن «عبد الله» دخل السجن ومات فيما بعد في ظروف غامضة غير معلومة.

أما «منصور» فقد أعفى عنه القذافي وعيّنه مندوباً لليبيا في الأمم المتحدة وبعدها وزيراً للخارجية ومن ثم استقال منصور وبدأ يتحرك مع المعارضة الليبية التي كانت تتخذ من العراق مقراً لها ويساندها في حاجاتها من دعم مالي ولوجستي.

فقد اكتشفت الاستخبارات الليبية دور منصور ودبرت له مكيدة نفذتها مع الاستخبارات المصرية في إحدى زياراته إلى مصر وسلمته إلى زميلتها الليبية التي أنهت حياته بناء على توجيهات وأوامر العقيد معمر هذه هي معلومات البعث العراقي.

معلومات المعارضة الليبية

لكن معلومات المعارضة الليبية تقول: إنه بعد اختفاء منصور بالتواطؤ مع الاستخبارات المصرية في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك استدعى عديل القذافي السيئ السمعة والمرعب عبد اللّٰه السنوسي أشقاء منصور وهددهم بأن أي إثارة منهم لأمر اختفائه وتحميل السلطة الليبية المسؤولية أو رفع شكوى أمام أي جهة عربية أو دولية، ستؤدي إلى محو العائلة بأكملها من الوجود ومن يبقى منكم على قيد الحياة سنحاربه بلقمة عيشه، وعليكم إذا سئلتم في أي مكان عن حقيقة اختفائه أن تحملوا المسؤولية للسلطات المصرية لأنها المسؤولة عن حمايته على أرضها.

أما زوج منصور السيدة السورية - بهاء - فقد أصرّت على كشف مصير بعلها، وطلبت لقاء مع العقيد معمر القذافي، فلبّى طلبها وذهبت إلى ليبيا حيث استقبلها العقيد، وأظهر حبه الشديد لمنصور، ونجح بخداعها حين عرض تحت زجاج الطاولة

التي يجلس خلفها صوراً له مع منصور، أطلعها عليها فصدقته وعرض عليها مساعدات مالية مجزية وقيل أنه أرسلها لها، وخفتت همة بهاء بعد ذلك التاريخ واختفت قضية منصور.

بعدها قال القذافي لبهاء إن منصور اختفى في مصر وإنه لا يريد إحراج المصريين، لذا فإن الحل هو في عقد اتفاق ودي مع مصر، يبدأ بعدم إثارة الموضوع إعلامياً، وإذا بالغتم في إثارة أمر الاختفاء في مصر، فإن هذا يعتبر استفزازاً للمصريين قد ينتج عنه إخفاء الرجل. ولن تجدوا له أثراً بعد ذلك.

القذافي قدّم لعائلة منصور (بهاء) فيلا كبيرة في طرابلس جرى تأجيرها لسفارة أفريقية، تدفع السلطات الليبية إيجارها كعادة التعامل الرسمي الليبي مع دول أفريقيا وأميركا اللاتينية، حيث تدفع الدولة الليبية إيجار سفارات العالم الثالث النامي.

تحسن وضع عائلة منصور الكيخيا بعد ذلك، وهي تستقر منذ وقت طويل في الولايات المتحدة وتحمل جنسيتها.

جرائم 7 أبريل

أواخر عام 1975 تداعى طلاب في جامعة بني غازي لتشكيل اتحاد طلابي مستقل عن السلطة، وفق انتخابات أرادوها نزيهة، لا تدخل للسلطة فيها سواء بالأمن أو من خلال فرض اتحاد طلابي مدعوم من أجهزته.

كان الشعار الوحيد الذي رفع لحملة الترشح للانتخابات هذه هو الحرية: حرية التعبير، حرية الانتخابات، حرية الحركة الطلابية.

تحت هذه الشعارات، وفي مواجهة لائحة السلطة المدعومة يومها من تنظيمها السياسي الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي، فاز الطلاب المستقلون بأغلبية مقاعد كليات الجامعة (حقوق، آداب، تجارة...) وسقط طلاب الثورة.

أقلق نجاح الطلاب المستقلين أجهزة الأمن والسلطة، فدعا أمين الاتحاد الاشتراكي الليبي محمد حجازي الطلاب الناجحين إلى اجتماع سريع، ليبلغهم بأن هذه الانتخابات ونتائجها غير شرعية، لأن المشاركين فيها لم يتجاوزوا الـ 40٪.

سأله أحد الطلاب (المحامي الآن وأحد النشطاء السياسيين المشاركين في ثورة 17 فبراير 2011) علي مجبري، وكم كان عدد المؤيدين لقيام اتحاد الجمهوريات العربية في

ليبيا، فقال حجازي كانوا 99٪ فسأله مجبري هذه النسبة من المشاركين أو من الشعب الليبي فرد حجازي بل من المشاركين في الاستفتاء.

هنا قال الطلاب نحن اعتمدنا نتيجة مشاركة الطلاب كما تنص عليها لائحة انتخابات الجامعة وفزنا بالأغلبية منهم، غضب محمد حجازي وقال عبارة لريجيس دوبريه: القطة تأكل جراءها، وهو يقصد أن الثورة تأكل أبناءها.

وبدأت خطة مواجهة طلاب جامعة بني غازي المستقلين، حين أعيدت الانتخابات، وفازت لوائح السلطة في كل الكليات في تزوير مفضوح وعلني وفي تحدٍ سافر، كانت فيه الصناديق تملأ بأسماء لوائح السلطة أمام الطلاب الحذرين من تواجد عناصر الأمن في اللوائح وفي الجامعة نفسها.

لم تمر النتائج المزورة دون رد فعل من طلاب قاموا بتظاهرة حاشدة داخل أسوار الجامعة، فحاول أحد عناصر الأمن المسجل كطالب في الجامعة إطلاق النار على المتظاهرين لإخافة أحد الطلاب ليهرب إلى أحد مكاتب الإدارة مقفلاً بابه من الداخل، فهدده الطلاب بإحراق المكتب إذا لم يخرج، فعمد عناصر الأمن لإطلاق النار من إحدى الفتحات فأصاب رأس الطالب جلال زواوي، فظن الطلبة أن زميلهم توفي... فتحولت تظاهرتهم إلى ثورة خرجت من الجامعة إلى وسط مدينة بني غازي واعتصموا في ميدان الشجرة، بادئين تحركاً لقي تجاوباً شعبياً ضد السلطة التي عجزت عبر الشرطة عن تفريقهم، فأرسلت الجيش بقيادة الرائد محمود سليمان (انضم إلى ثورة 17 فبراير 2011 وهو الآن برتبة عميد).

طلب الرائد سليمان من الطلاب الانسحاب من الميدان فرفضوا، ليبدأ الجيش إطلاق النار في الهواء، خاف بعده بعض الطلاب لينسحبوا هاربين إلى ثانويات للبنات قريبة يصرخون بأن أشقاء الطالبات يتعرضون للقتل في ميدان الشجرة، فخرجت طالبات الثانويات من مراكز دراستهن وتوجهن بالمئات إلى حيث الشباب معتصم ليشكلن سواراً حول الطلاب الجامعيين، وهذا ما أرغم الجيش على التوقف عن إطلاق النار.

توجه نفر كبير من أجهزة الأمن إلى دور الأهالي ليبلغ الآباء والأشقاء أن بناتهم وشقيقاتهم يتعرضن للإهانات والخطر في ميدان الشجرة، وأنهن يتعرضن أيضاً للاختلاط مع الشباب، فاندفع الرجال لسحب بناتهم بعيداً عن المخاطر التي أبلغوا عنها... وتبعهن الشباب.

هكذا فضّ الاعتصام... لكن الفترة من 2/ 1/ 1976 حتى 2/ 4/ 1976 شهدت اختفاء عشرات الطلاب الذين شاركوا في كل هذه الاحتجاجات سواء المشاركين في الانتخابات والفائزين أو المعتصمين والمحرضين على الجهر بالمطالبة بالحريات.

كان أحد أقرباء القذافي الرائد حسن إشكال هو الذي يشرف على التحقيق وتعذيب الطلاب المعتقلين (رجال القذافي قتلوا أشكال فيما بعد، وهو ما يرد ذكر واقعة قتله في مكان آخر من الكتاب).

أراد القذافي الذي كان أعلن الثورة الشعبية وإلغاء القوانين قبل عدة سنوات (كما ورد سابقاً) أن يستكمل ثورته داخل الجامعات.

فجاء إلى بني غازي وعقد اجتماعاً موسعاً لقادة الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي، وأجهزة الأمن والجماعات الخاصة به التي بدأ بافتتاحها ليروي لهم أن الطالب أحمد إبراهيم (أصبح فيما بعد وزيراً للتربية، ومن أشرس رجال الأمن الليبي حول القذافي)؟؟ جاءه حافياً وهو يصرخ أخ معمر أخ القائد، الثورة تسرق...

وأنا أسألكم - قال القذافي - هل تريدون ن يسرق الرجعيون والأحزاب الثورة؟ فردّ الحضور طبعاً لا، وتعالت الهتافات تحرض على الانتقام والتخلص من الرجعيين والحزبيين.

كان العقيد يسخّن نفسه والمناخ حوله، ويهيئ للسيطرة الكاملة بعد إخافة الجميع، فجاء إلى الجامعة بعد أن تم إفراغها بواسطة أجهزة الأمن من الطلاب المعترضين، بين سجن وإخفاء وإخافة..

وقف القذافي في مكان مرتفع بين الطلاب وهم من عناصر الاتحاد الاشتراكي، وأجهزة الأمن، وجماعات تم استحضارها من مدن أخرى، وطلاب حياديين غير مهتمين بالسياسة أو بأي عمل عام، فخطب محذراً ومهدداً ثم ليخلص إلى تخيير الطلاب (جماعاته كلهم وحياديون) قائلاً: من كان مع الثورة فليقف إلى اليمين وأشار إلى حيث اليمين ومن كان ضد الثورة فليقف إلى اليسار.

التزم الحضور كله بالوقوف إلى يمين القذافي فابتسم الرجل شامتاً: محسومة.

حدّد معمر القذافي يوم 7 أبريل 1976 يوماً للثورة الطلابية والشعبية ضد الثورة المضادة، وبدأ تنفيذ حملته بإصدار أحكام إعدام ضد طلبة ثائرين، فأعدم عمر المخزوم

(كان منتسباً إلى الجامعة وهو فنان ومطرب كان معروفاً في ليبيا) ، وطالباً ثانياً في ميدان الشجرة.

أوقف مئات الطلاب وسجن العشرات وتطايرت الاتهامات: هذا شيوعي، وهذا إرهابي وهذا إخواني، وهذا إسلامي...

احتفال بالإعلام

كان معمر القذافي يأمر جماعاته بأن يتم الاحتفال سنوياً بذكرى جريمة 7 أبريل، وفي بني غازي وإمعاناً في التحدي لأهاليها ومشاعرهم وتقاليدهم الاجتماعية، فإنه عين إحدى نشيطاته الخاصات هدى بن عامر محافظة لثاني كبرى مدن ليبيا.

وهدى هذه يعرفها أبناء بني غازي وذاع صيتها بأنها كانت تمر فوق جثث الشباب الذين تشنقهم أجهزة القذافي وتضربها تشفياً وعهراً.

وبمناسبة الحديث عن الإعدامات فإن أجهزة إعلام القذافي كانت تتعمد بث صور عمليات الشنق ضد الشباب المعارض والمظلوم. في شهر رمضان في لحظات إطلاق مدفع الإفطار والناس بدل أن تصغي إلى آيات من القرآن الكريم تسمع بيانات إعلان الإعدام وصور عمليات الشنق... ثم تخرج عناصر من أجهزة الأمن لإطلاق الرصاص ابتهاجاً بعمليات القتل المجرمة هذه.

ومن بين أبرز رجال الإعلام في العالم الذين أتيح لهم مشاهدة إحدى عمليات إعدام لشباب في بني غازي واضع كتاب الحجاب أو النقاب، وبطل نشر فضيحة «ووتر غيت» التي أطاحت الرئيس الأميركي الأسبق الراحل ريتشارد نيكسون... إنه بوب وودوورد الذي زار ليبيا. بدعوة من الإعلام الليبية ليشاهد عملية إعدام لمراهقين في جامعة بني غازي وكتب عنها. ونشر الخبر في جريدة «الواشنطن بوست» الأميركية. وأثارت ضجة كبرى في العالم وأرسل سفير ليبيا في واشنطن خبر الجريدة إلى طرابلس فبادرت الاستخبارات الليبية إلى حمل بوب وود من الفندق إلى المطار مطروداً.

علم القذافي بالمسألة، فطلب إحضار بوب وود لمحاورته علّه يغير رأيه أو ينظف سيرته، فلما قيل له أنه طرد استشاط غضباً وراح يشتم من حوله وكل من كان له دور في الأمر من أساسه.

الكتاب الأخضر

بعد 7 أبريل/ نيسان 1976 أصدر معمر القذافي الجزء الأول من كتابه الأخضر، وأصدر الجزء الأخير في العام 1977 وليس أفضل من وصف الصحافية الإيطالية المميزة ماريانا فالاتشي للكتاب الأخضر بقولها له مباشرة إنه أصغر من علبة التزيين التي تضعها في محفظتها. (أحد ملاحق العدد يتضمن حوار فالاتشي مع معمر).

وفي العام 77 وبعد اكتمال أجزاء الكتاب الأخضر الثلاثة أعلن معمر القذافي جماهيريته، وبعد حكم ثماني سنوات كرجل أول رسمي في ليبيا (1969- 1977) أعلن معمر القذافي سلطة الشعب، ولم يعد يقبل أن يقول عنه أحد إنه رئيس دولة، أو صاحب سلطة، فهو قائد الثورة، المفكر الملهم...

لا نجومية

حتى لا يسطع من ليبيا سوى نجم واحد هو معمر القذافي، أصدر العقيد أمراً بمنع النجومية في المجتمع الليبي، وكان الهدف المعلن دائماً هو جعل الناس سواسية لا يتقدم فيها اسم أحد على أحد مهما كانت صفته. غير أن هذا المفهوم وضعه القذافي كي يسري على كل الليبيين... سواه.

منع معمر القذافي على وسائل الإعلام الليبية - وهي وسائل تعيسة بكل المقاييس - إطلاق اسم أي مسؤول في ليبيا مهما كانت رتبته وموقعه، فالليبيون لا يعرفون أسماء مسؤوليهم، فهم صفات لا اسم لها، يأتون ويذهبون إلى غياهب النسيان أو السجون أو المنافي نكرات في أحسن الحالات وكثيرون منهم يتحولون إلى كلاب ضالة في نظر اللجان الثورية التي رباها العقيد لكي تكون عصاه القاتلة.

فالصفة هي الأساس - ولا لزوم لأي اسم - فيقال مثلاً استقبل الأخ قائد الثورة الفاتح العظيم الأخ المفكر معمر القذافي أمين اللجنة الشعبية العامة (رئيس الوزراء في أي مجتمع) ودون ذكر اسمه.

لا اسم لوزير ولا لمذيع ولا لمدرس ولا لفنان فقط صفة.

وصل الأمر إلى الرياضيين الذين يلعبون كرة القدم في الملعب، فهم مجرد أرقام، ومذيع المراقبة يشرح للمشاهدين تفاصيل المباراة اعتماداً على الأرقام فيقول الرقم

10 أرسل الكرة إلى الرقم 9، وهذا أرسلها إلى الرقم 8 والأخير سددها لحارس اللون الأخضر أي حتى حارس المرمى لا اسم له، حتى الفريق اللاعب لا اسم له، ولا اسم للفريق الذي يلاعبه.

وبلغ من حرصه على تطبيق هذا القرار اللاأخلاقي أن انشأ له إدارة خاصة في جهاز الأمن الداخلي لملاحقة أي مخالفة له، وقمعها على الفور ومعاقبة كل من يخالفه.

لا نجومية للمفكرين

كان أعضاء منظمة اليونيسكو الثقافية العالمية يرون في الدكتور الليبي مصطفى علي الحوات أنسب من يتسلم الأمانة العامة للمنظمة الدولية، وكان د. مصطفى نسج علاقات من خلال مسؤوليته طويلاً في هذه المؤسسة المهمة، وهو رجل دمث الأخلاق - عميق التفكير، شديد التواضع والأثر عند من يعرفه.

علم القذافي من خلال تحليلات وسائل الأعلام، بأن هذا المواطن الليبي مرشح لمنصب رئيس الجمعية العامة لليونيسكو، فإذا به يتلقى أمراً بمغادرة موقعه والعودة مباشرة إلى ليبيا وتعيين مسؤول ليبي آخر هو د. زروق مكانه، لم يكن د. زروق معروفاً من الأعضاء، ولم يكن المنصب ليعطى لدولة بل لكفاءة رجل عرفوه وخبروه فضاع منصب رئيس الجمعية العامة لليونيسكو كي ينفذ القذافي مفهومه الغريب باللانجومية... فيجب ألا يعرف في ليبيا ومن ليبيا رجل سواه.

والحكاية نفسها تنطبق على د. سالم عميش الذي كانت الدول العربية قد أجمعت على تأييده لمنصب نائب رئيس البنك الدولي، لكن وصول أخبار الإجماع على اختياره دفع القذافي لسحبه ليضيع المنصب عليه وعلى دولته في الوقت نفسه.

ملحوظة: تم تعيين وزير الاستثمار المصري د. محمود محيي الدين نائباً للبنك الدولي قبل إسقاط حكم الرئيس حسني مبارك بعدة أشهر.

الكاتبان الليبيان د. مالك أبو شهيوي ود. محمود خلف ترجما كتاب صموئيل هنتغتون «صراع الحضارات»، ووضعا كتاباً أطروحة رداً على هذا الموقف العدائي للإسلام، فمنعا من الظهور على أي شاشة مرئية ليبية أو أي جريدة في ليبيا، كي لا يعرف الليبيون اسماً آخر غير اسمه أو أسماء أولاده، حتى لو كان ظهور الأولاد في جرائم مشينة يتناولها الليبيون في جلساتهم الخاصة شبه السرية.

وكم حاول معمر القذافي عبر أجهزته منع «الأهرام» المصرية من نشر مقالات الكاتب الليبي المعروف د. أحمد ابراهيم الفقيه، لحصر اسم ليبيا كلها باسمه وحده فقط.

إعدام الشعراء في أماكن إبداعهم

تأسست في بني غازي جمعية المرأة الجديدة، لنشاطات ثقافية وإبداعية، استضافت عدداً من الشعراء والأدباء في أمسية في المدينة، كانت مناسبتها ذكرى شاعر ليبي معروف هو علي الرفيعي (توفي عام 1966، وكان مناضلاً ضد النظام الملكي، ومحرضاً على الثورة) من قبيلة الرفيعات المعروفة.

جاء المدعوون من طرابلس كما من بقية المدن الليبية، وكان من بينهم مفجر 17 فبراير/ شباط 2011 (الحديث عن هذه المسألة في مكان آخر من هذا الكتاب) الأديب والصحافي والشاعر إدريس المسماري، الناقد وصاحب موقع سريب أحمد الفيتوري، مؤسس جمعية أبو كليب الشاعر المعروف محمد صالح الفقيه، الجيلاني طريبشان، رضوان أبو شويشة.

خلال الأمسية التي عقدت عام 1977 اقتحم أعضاء اللجان الثورية بقيادة أحمد إبراهيم (ورد ذكره في مكان آخر) وعمر السوداني، ومصطفى الزائدي... القاعة مع مسلحين وأقفلوا الأبواب ثم بدأوا تقسيم الجمهور الحاضر بين مشارك في الأمسية وجمهور مدعو للاستماع، وأعلنوا فجأة وسط ذهول الجميع أن المشاركين في الأمسية هم وكر من أوكار الخيانة وأعداء الثورة وأن اللجان الثورية قررت أن تؤدبهم في عقر دارهم وبدأ المسلحون الذين حملوا معدات المشانق بنصبها داخل القاعة لا محاكمة ولا دفاع ولا تداول أحكام... فهذا كله دلع وترف لا مكان له في ظل الأوضاع التي قررها أحمد إبراهيم ومن معه أنها ثورية تبيح له ولأمثاله أن ينفذوا قوانينها على الخونة الأدباء والمبدعين والشعراء والصحافيين...

الواجب الثوري يقضي أن تنصب المشانق في المكان الذي يرتكب فيه الجرم، وهو قاعة الأمسية الأدبية المنحلة الرجعية التي توهن من عزائم الأمة... حيث يتم التآمر على الثورة وقائدها ونهجها، لكي تثبت للجميع أن الثورة قادرة على الردع.

وقع الرعب في نفوس الجميع، وتقول طالبة جامعية شابة أنها في اليوم التالي لحضور هذه الواقعة المرعبة ظهر شعر أبيض كثيف في رأسها.

حمل المتهمون «بسيارات الشرطة الثورية إلى محاكمات أخرى أكثر ديمقراطية،

وسمح لمحامين عن المتهمين» منهم علي صدقي عبد القادر بالدفاع عنهم. فقام بالدفاع عنهم بما يملك من قدرة وإيمان ببراءتهم من أي تهمة وأيضاً من دون جدوى...

كان هؤلاء جميعاً من العاملين في جريدة الأسبوع السياسي التي كان يرأس تحريرها عبد الرحمان شلقم آخر مندوب لليبيا في مجلس الأمن في عهد القذافي الذي انضم إلى الثوار في الأيام الأولى للثورة.

دافع شلقم عن زملائه دفاعاً جميلاً فقد كان هو شاهد النفي الوحيد، وكانت هذه شهادة وشجاعة منه، فلم يتهرب من واجبه تجاه زملائه، ولم ينفِ عملهم الصحفي، وقد كانوا من المبدعين ومعظمهم من أهل اليسار، كانوا يسهرون مع بعض ويقرأون الشعر ويتحدثون بأريحية دون رقيب أو حسيب ثم تبين أن الرقيب والحسيب كان منهم وبينهم وهو الذي نقل ما حدث وقرأ ما قيل إلى أجهزة العقيد الأمنية المنتشرة في كل مكان، فوق الأرض وتحتها، وفي الغرف المغلقة، وداخل أسرة النوم، وفوق مقاعد الدراسة، وفي الشوارع الفارغة والمكتظة، وفي الأسواق والمكاتب والسفارات ودور العبادة والإبداع وملاعب الرياضة، وصفوف المتفرجين، وفرق الفنون على أنواعها.

أمضى المعتقلون 11 سنة في سجون القذافي وفي عام 1988 قرر القذافي في إحدى نوباته أن يهدم السجون، فقاد البولدوزر الشهير ودك فيه جدران سجن طرابلس وهدمه، إيذاناً ببدء هدم السجون فخرج سجناء الرأي والسياسة والإبداع، مع مَن خرج من المجرمين واللصوص الحقيقيين. ورسمت على شوارع طرابلس والمدن الليبية جداريات تظهر العقيد يقود البولدوزر لشق طريق الحرية كما رآها ورسمها هو بنفسه.

عقاب لشلقم

لم ينسَ العقيد شهادة عبد الرحمان شلقم لمصلحة زملائه وهي نفي لأي تهمة عنهم، فأبعد بعد شهادته عن مجلة الأسبوع السياسي، ثم تعرض لحادث سير كاد يودي بحياته وإن كان نجا منه وسبّب له جرحاً عميقاً في قدميه.

وأبعد عن المشهد السياسي والثقافي لوقت طويل ثم أرسل سفيراً إلى روما ليحل محل السفير الأصيل الذي أبعد واختفى لمجرد أنه نقل إلى العقيد أن امرأة زارته في مقر السفارة لتقول له إنها يهودية وإنها قريبة لوالدة القذافي، فوجد السفير مقتولاً بعد فترة، ثم عُيِّن مكانه قائم بالأعمال قُتل أيضاً بسبب حماسه الثوري الزائد.

فجاء عبد الرحمان شلقم... وقد أدرك بحسه السياسي وذكائه أنه سيكون معرضاً أيضاً لمثل ما تعرض له سابقوه، فاتخذ احتياطات أمن مشددة حول نفسه وحول السفارة، وجاء بموثوقين منه مقربين من عائلته للحماية، حتى إنه اعتمد إحدى غرف السفارة لإقامته، وما كان يغادرها إلا تحت حراسة مشددة وسراً... وليلاً... وفي سيارة مصفحة اعتمدها خصيصاً لتنقلاته القليلة...

شعاع ضد الليبيين

أنشأ معمر القذافي شركة لإنتاج الأفلام بتمويل ليبي ضخم قدم فيه 100 مليون دولار دفعة أولى وسلم أحد ضباطه القدامى المعروفين العميد يوسف الدبري (متزوج من لبنانية) إدارة المشروع، وقد أعلن الدبري أن القذافي وعده بضخ 300 مليون دولار لدعم المشروع.

كان من الطبيعي أن تقدم شركة الإنتاج الليبية هذه وجوهاً من ليبيا كي يتعرف عليهم الجمهور العربي عبر الأفلام الطويلة أو عبر المسلسلات، لكن السياسة التي تبلغها الدبري بعدم تقديم أي فنان ليبي تطبيقاً لعنوان اللانجومية حالت دون ذلك.

دون النجومية لم يكن لطه حسين أو نجيب محفوظ أو أم كلثوم أو عبد الوهاب أو فريد أو عبد الحليم أو كمال الطويل أو فيروز أو مارون عبود أو الشاعر القروي أو نجاح سلام أو المئات المئات في طول الوطن العربي وعرضه أن يعرف أي واحد منهم، وليس في هذا عيب، بل إنه فضلاً عن حقهم الإنساني في أن يعرفهم الناس الذين يتوجهون إليه بإبداعهم فهو حافز كبير يعادل المسؤولية والمحاسبة كي يستقيم الإبداع ويستمر وينتج كل فنان وكاتب ومبدع أجمل ما عنده.

لم يسر مفهوم اللانجومية إلا على الليبيين، فالعديد من فناني العرب الذين كان البعض منهم يمنِّي النفس بزيارة ليبيا والغناء للحصول على المال الوفير بكرم حاتمي رغم كل التعقيدات، كان يتمتع لدى وصوله إلى ليبيا بما يليق بالحكام والملوك والأمراء من اهتمام ورعاية وكرم غريب.

كان فنانو ليبيا عدا قلة محظوظة منهم احتضنها النظام كي يمجدوا أو يغنوا ويكتبوا له، محرومين من أبسط حقوقهم فإذا خرج فنان إلى الناس يغني أكل وشرب ودفع تكاليف حياته، وإذا لم يخرج إلى الجمهور ليغني شحذ لقمة العيش.

اتساع ملعب اللانجومية

كان ممنوعاً في ليبيا ظهور اسم أي معلق سياسي، أو اسم أي أستاذ جامعي، فيقال مثلاً الأستاذ في جامعة طرابلس يحدثنا عن كذا وكذا... دون نطق أي اسم حتى لو كان مناقشة لأمر طبي، أو تربوي، أو ثقافي أو اقتصادي وإذا حصل أن أدلى ضيف مرئية باسم مفكر ليبي أو كاتب طبيب أو اقتصادي ليبي... اختفى حضوره نهائياً عن الإعلام.

وكالة الأنباء الليبية لا تذكر اسم ليبي إلا القائد المفكر، وأخبارها توزعها على وسائل الإعلام المعروفة... الزحف الأخضر، الفجر الجديد، الجماهيرية... المرئيات... دون أسماء.

الفصل الثالث

دراسة لإسلامي:
معمر القذافي هل هو مسلم؟

- مصطفى العقاد والعقيد القذافي: رواية حيّة
- معمر يخرج من ثوب عبد الناصر
- العقيد بنظر نفسه
- عن عمر المختار... كان يكرهه
- أسماء القذافي الـ 38
- القذافي والوحي
- القذافي يتحدى ثقافة الليبيين الدينية

مصطفى العقاد والعقيد القذافي
رواية حيّة

قال لي المخرج العربي العالمي مصطفى العقاد الذي ربطتني به صداقة ومودة وإعجاب متبادل بناصريتنا الموغلة في القدم: أتعرف يا أخ حسن، أن معمر القذافي رجل مستنير، وجريء ويطرح أفكاراً لا يجرؤ على طرحها أي حاكم أو مثقف أو ثوري في بلادنا العربية!

لم يكن كلام الفنان والإنسان والعروبي حتى النخاع الذي قتلته مجرمة غسل الظلاميون عقلها حتى فقدت كل أثر لضمير أو دين أو أخلاق أو إنسانية، ينتظر مني جواباً على سؤاله وهو يطرحه لينفث بعضاً من دخان غليون بين يديه، فتابع على الفور... تصور يا أبو علي (أنا أبو أحمد) أن القذافي وحين كنت أعدّ لفيلم الرسالة، محمد رسول الله، وكنت أجلس معه كثيراً، طلب مني أن أُظهر الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) مجسداً بشخص أو ممثل عربي أو أجنبي، ولم يكن يمانع في ظهور شخصيات الخلفاء الراشدين الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الفيلم نفسه بشخصيات مجسدة لهم عبر ممثلين عرب أو أجانب.

استطرد العقاد قائلاً: وقد اتسعت حدقتا عيني دهشة، لكنني قلت له أخي العقيد هذا الأمر صعب جداً، ويثير الدنيا كلها ضدي وضدك وربما لن يرضى أحد في العالم أن يشتري الفيلم أو يوزعه،فرجاء قبل أن نتابع تصوير الفيلم، وكنا قطعنا أشواطاً في الإعداد والبناء في مواقع التصوير، وأحضرنا الناس بالآلاف من كل أرجاء الدنيا ومن كل ليبيا، أن نصل إلى حل في هذا الأمر.

تابع العقاد: لاحظت إصراراً من العقيد على إظهار الرسول العربي في الفيلم، فقلت له في محاولة وجدتها سانحة للتهرب من هذه الورطة، وأنا لا أريد أن أغضب الرجل حتى لا يتوقف العمل في ما اعتبرته أهم مشروع حضاري لإظهار الإسلام وشخصياته بصورة جديدة نقدمها للعرب والعالم غير الإسلامي: إذا كنت مصمماً يا أخ العقيد على هذا الأمر الخطير، فأرجو أن تأخذ رأي الأزهر الشريف والنجف كمؤسستين دينيتين

مسؤولتين عن أمور المسلمين السنَّة والشيعة.

قال لي العقاد: أحسست بعد أن اقترحت على العقيد هذا الأمر، أن جِملاً كبيراً أزيح عن كاهلي، خاصة عندما قال لي القذافي «دولا رجعيين، ما نكلمهم، وغدوة (غداً) يشكوني عند رؤسائهم وملوكهم (أنور السادات، صدام حسين، أحمد حسن البكر، الملك خالد، والملك الحسن الثاني) وإني ما طايق أكلم حد منهم».

انتهت رواية العقاد، ويبدو أنه رواها لكثيرين غيري، فقد سمعتها بعد ذلك من الصديق الليبي الكاتب الكبير د. أحمد إبراهيم الفقيه.

أعترف أني ما أدركت هدف القذافي من هذه الفكرة يومها، وإن كنت اعتبرتها إحدى شطحاته في المسألة الدينية، خاصة وقد سبقها بدعوته لإلغاء الأحاديث المنسوبة إلى الرسول العربي الأكرم، واشتبك في هذا الأمر مع أحد مشايخ الأردن حين خطب في مسجد في طرابلس بحضور رجال دين مسلمين حضروا بدعوة من جمعية الدعوة الإسلامية في طرابلس الغرب.

يومها وقف العقيد خطيباً مطالباً بإلغاء الأحاديث كلها مستشهداً بحديث منسوب إلى الرسول جاء فيه وأعلنه العقيد: قال فلان عن فلان عن فلان حدثني رسول الله وقال: من أكل من بصل عكا كأنه دخل مكة، وضحك قائلاً: يبدو أن أحدهم كان لديه بصل لم يبعه فنسب هذا الحديث للرسول كي يبيع بصله!

هنا انفجر شيخ أردني كان ضمن ضيوف العقيد ووقف معارضاً القذافي ثم انسحب من المسجد ولحقه عدد من رجال الدين، وغادر ليبيا آسفاً على هذه الشطحة من القذافي.

ربما كانت تلك إحدى المرات المشهودة التي خرج بها العقيد عن النص الديني التقليدي، ولم تكن آخرها فقد رسخ في أذهان ليبيين كثيرين التقيتهم عندما قامت ثورتهم ضد القذافي التي عرفت باسم ثورة 17 فبراير/ شباط 2011، أن الرجل أمر بأن تحذف كلمة «قل» من آيات الإخلاص، والناس والفلق فيقرأها مباشرة «أعوذ برب الفلق»، أو «أعوذ برب الناس»، أو «هو الله أحد»، بحجة أن الله خاطب الرسول قائلاً له «قل»... وبالتالي فهي ليست ملزمة للمؤمنين يبدأ بها أياً من هذه الآيات.

ما علينا.

ولنتجاوز شطحات العقيد الشكلية لندخل إلى ما هو أخطر، وهو ما يمكن استنتاجه وفق الوقائع التالية:

سألت الصحافية الإيطالية المشهورة ماريانا فالاتشي العقيد معمر القذافي في إحدى مقابلتيها اللتين أجرتهما معه: هل تؤمن بالله؟ فقال لها بعد سرحان بسيط... نعم، ولِمَ هذا السؤال؟ فأجابته الصحافية المعروفة بجرأة لامتناهية: لأنني ظننت أنك أنت الله.

- اقرأ في ملحق الكتاب ملخصاً لهذه المقابلة التي نشرت في 2/ 2/ 1979 في «كوريرا دي لاسيرا» و«نيويورك تايمز» و«دير شبيغل».

وفي حديث آخر مع العقيد سئل العقيد، من هو المثل الأعلى لك، فلم يجب، وبعد إلحاح قال لا أحد فقال السائل: أليس جمال عبد الناصر، أشاح العقيد بوجهه دون جواب، فرد السائل والرسول محمد؟ فرد العقيد: لا تنسَ أنه يوحى له.. وأنا لا يوحى لي، وعندما سئل العقيد هل كنت ترعى الغنم عندما كنت صغيراً فرد بافتخار كل الأنبياء رعوا الغنم، موسى وعيسى ومحمد!!

معمر يخرج من ثوب عبد الناصر

كان البعض يعتقد أن معمر القذافي مهتم بأن يلبس ثوبه الخاص خارجاً من جلباب جمال عبد الناصر، الذي قال له مرة أنت الأمين على القومية العربية.

لم يكن القذافي بعد سنوات على رسوخه في السلطة مهتماً بأن يقول إنه ناصري، رغم أن الإعلام والناس ورفاقه في مجلس قيادة الثورة أشهروا ناصريتهم كما الثورة التي قادوها يوم الفاتح من سبتمبر/ أيلول عام 1969، وحولوا اسم المملكة الليبية المتحدة إلى الجمهورية العربية الليبية تيمناً باسم الجمهورية العربية المتحدة التي ظلت تحمل اسمها يوم إعلان الوحدة مع سوريا في 22/ 2/ 1958، رغم انفصال سوريا بجريمة يوم 28/ 9/ 1961 وأسس مجلس قيادة الثورة كما هو اسم المجلس الذي قاد ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 في مصر، بزعامة جمال عبد الناصر، وشكل المجلس من 12 عضواً كما هو مجلس عبد الناصر، وحمل ضباطه اسم الضباط الأحرار كما في مصر، أنشأ الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا تيمناً باسم التنظيم السياسي الذي يحمل الاسم نفسه في مصر.

وعندما التقى القذافي عام 1972 وفداً من قيادات التنظيم الطليعي الذي أنشأه جمال عبد الناصر في مصر عام 1965 وكان تنظيماً سرياً، انطلق من مصر إلى معظم البلدان العربية وفاتحه قادة التنظيم بالأمر بأنه تنظيم جمال عبد الناصر، وافق القذافي

على الانضمام للتنظيم طالما هو من قرارات جمال عبد الناصر لحفظ الثورة بتنظيم تحت عنوان راسخ لأعضائه: الطليعي أول من يضحي وآخر من يغنم، واعداً بأن يرعاه من كل النواحي.

باكراً خرج القذافي من ثوب جمال عبد الناصر سياسياً وفكرياً وتنظيماً وإن كان ظل في أذهان كثيرين ناصرياً يريد البعض تعزيز نفسه بوجوده، ويغنم كثيرون من أعطياته، وهو لم يكن يمانع في إشاعة هذا الوهم حتى أسفر عن وجهه الجديد في نظريته العالمية الثالثة ومزاعم حكم الجماهير عبر اللجان الشعبية ومؤتمراتها ولجانها الثورية، وإعلان الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية التي أضاف إليها العظمى بعد عدوان أميركا على ليبيا في نيسان/ أبريل 1986.

لم يكن القذافي ليوافق لحظة بعد أن رسخ سلطته، التي سيأتي تفصيل واسع عنها لاحقاً، أن يقال إنه ناصري فهو قائد ثورة عالمية، حتى لو وافق أن جمال عبد الناصر قاد ثورة عربية، وهو جاء بعصر الجماهير وأعلن الجماهيرية، وعبد الناصر كان رئيس دولة يحكمها نظام سياسي وتنظيم سياسي بينما هو قال في كتابه الأخضر من تحزب خان.

لم يعد جمال عبد الناصر مثل القذافي الأعلى، والرسول محمد يوحى له، وهو أي القذافي لا يوحى له بل تأتيه الأفكار من عقله ومن نباهته، وهو راعي غنم كما كل الأنبياء.

العقيد بنظر نفسه

أراد القذافي إظهار الرسول العربي مجسداً في فيلم سينمائي في محاولة منه لتحجيم الرسول محمد، ووضع نفسه في مستواه كراعي الغنم كما كل الأنبياء، وتقدم عن الرسول خطوة في أنه لا يوحى له كما أوحى الله للنبي العربي محمد.

ولنقرأ هذه الواقعة الخطيرة، لنستنتج الأمر الذي أراده العقيد دون أن يعلنه.

تزوج معمر القذافي من فتحية نوري خالد والدها كان من كبار ضباط الشرطة برتبة زعيم أي عميد حالياً وكان جمال عبد الناصر شاهداً على زواجه وأنجب من فتحية ولداً واحداً هو محمد.

كان الشاب معمر تقدم للزواج من فتحية وهي شقيقة صديقه، فرفضه والدها بسبب سوء وضعه الاجتماعي، فلما قام معمر بالثورة في 1/ 9/ 1969 وافق الوالد وقد أصبح

العريس قائداً للثورة أي رئيساً للدولة.

لم يدم زواج معمر من فتحية أكثر من سنتين فطلقها وأعطاها وما يزال كل حقوقها وزيادة، غير أنه اشترط عليها شرطاً غريباً وهو ألاّ تتزوج المرأة المطلقة من بعده، أليس هذا ما ورد في القرآن الكريم عن عدم زواج أزواج الرسول من بعده؟ ألم يعتبر نفسه في مصاف الأنبياء علماً بأنه قال بأنه لا يوحى له؟

وابتداعاً لهذه القناعة لديه كان يرفض أن يطلق عليه لقب رئيس بل هو قائد عصر الجماهير الذي لا يقف عند حدود دين أو جغرافيا، بل هو قائد العالم كله، ألم يقل إن الكتاب الأخضر يحتوي حل كل أزمات العالم فجعله فوق كل دين، وبالتالي فهو أهم من كل الأديان؟ أهم من كل الأنبياء!!!

طيلة نحو 42 سنة لم يجرِ القذافي أي انتخابات رئاسية أو أي استفتاء على شخصه أو برامجه أو أي من مشاريعه السياسية... ولا حتى عن الوحدات التي كان يعرضها على الدول العربية (اتحاد الجمهورية العربية مع مصر وسوريا، الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا وحدها، الجمهورية العربية الإسلامية مع تونس).

ليست المسألة ضعف إيمانه أو كراهية للديمقراطية، وحتى في تفسيره لها بأنها (ديمومة الكراسي)، بل إن بعدها الفلسفي أنه نبي لا يوحى له، هو في نظر نفسه المريضة إله لا يحاسب، لا يخضع للانتخاب، ولا يحتاج كلامه المنزل إلى استفتاء أو اختبار (رب غفرانك).

عن عمر المختار

وطالما نحن بدأنا حديثنا عن الراحل العظيم مصطفى العقاد، فلنكمل معه خلاصة حواراته مع العقيد حول فيلمه الثاني عمر المختار.

لقد سمعت من العقاد أن العقيد كان حريصاً على مناقشة تفاصيل الفيلم ليصل إلى النهاية التي كتبها المخرج العربي وفق تصور سياسي خلص إليه بعد جلسة مطولة مع القذافي.

نهاية فيلم عمر المختار تشهد إعدامه، وقد سقطت من إحدى يديه المكبلتين خلف ظهره نظارته الطبية البيضاء التي كان يضعها حول عينيه ليقرأ بهما آيات من القرآن الكريم... وبينما الجموع تسير حزينة بعد إعدام المجاهد الكبير... نرى طفلاً يهرع إلى

منصة الإعدام ليمسك بالنظارة محافظاً عليها.

يقول المخرج العظيم: هل تعرف أن القذافي اقترح أن يكون في صورة طفل إشارة إليه، فهو المستقبل بعد إعدام عمر المختار، وأنا كان لي وجهة نظر أكثر شمولية فقلت للعقيد، النظارة يا أخ العقيد هي وضوح الرؤيا التي يمتلكها الطفل الذي هو المستقبل.

ويبدو أن هذا التفسير أرضى غرور العقيد فابتسم وقال لي باهي.

في 16 أيلول/ سبتمبر عام 1931 أعدمت سلطات الاحتلال الإيطالي شيخ المجاهدين الليبيين عمر المختار بعد جهاد ضد الاستعمار الإيطالي لبلاده استمر 25 سنة.

في 16 أيلول/ سبتمبر عام 1969 خرج الملازم أول معمر القذافي أي بعد أسبوعين فقط من نجاح حركته في 1/ 9/ 1969 ليلقي أول كلمة له إلى الإعلام ومن أمام ضريح عمر المختار نفسه في بني غازي حيث أقيم تكريماً له، وبات محجّة لثوار العالم والليبيين.

القذافي كان يكره عمر المختار

وجّه معمر القذافي بفيلم عمر المختار رسالة غضب شديدة ضد إيطاليا، التي كانت تستعمر بلاده، بل وكانت تعتبرها امتداداً وراء البحار لأراضيها، وعبّر ربما عن موقفه السياسي غضباً في عرض الفيلم لأول مرة أمام حضور مؤتمر قادة الأحزاب الاشتراكية في دول حوض البحر المتوسط عام 1980، وكانت الأحزاب الاشتراكية والشيوعية الأوروبية المعادية للفاشية الإيطالية في السلطة في بلادها، أو هي شريكة فيها.

ووجّه معمر القذافي بالفيلم الكبير رسالة وفاء أمام الجماهير الليبية التي ما زالت ترى في عمر المختار بطلها التاريخي علّ هذا الوفاء يمتد ليرى الليبيون في معمر القذافي الوريث الشرعي لعمر المختار.

إلا أن وقائع تعامل القذافي بعد ذلك مع تراث ورصيد هذا البطل التاريخي للشعب الليبي يشي بأنه كان يكنُّ كرهاً شديداً له، دفعه بأن يأمر بجرف ضريحه في الميدان الذي يحمل اسمه (ميدان عمر المختار) في بني غازي لينتقل صرح الضريح إلى منطقة سلوق حيث لقي الرجل مصرعه، وبعد ذلك سعى القذافي لإقامة برج معماري مكان الضريح، لكن أهالي بني غازي منعوا ذلك بالقوة والاعتصام، فظل الميدان مسرحاً قائماً ونقل الصرح إلى سلوق.

في سجن فضيل المرعب الذي سقط بعد بدء ثورة 17 فبراير 2011، وكان الليبيون يسمونه سجن الباستيل الذي كان سقوطه مدخلاً لنجاح الثورة الفرنسية عام 1789. واجه الساعدي القذافي وأخطر مجرمي القذافي عبد الله السنوسي عدداً من المعتقلين الليبيين الذين كانوا في إحدى موجات الثورة المتلاحقة ضد نظام العقيد، فقال الساعدي للمعتقلين: مالكم حمرا كالطليان، في إشارة أنهم خليطو النسب، وهي إهانة لمواطن عربي ليبي مسلم، فردّوا عليه بتحدٍ شديد: بل نحن أحفاد عمر مختار الذي واجه أسيادك الطليان.

الساعدي والسنوسي اللذان انهالا على المعتقلين قبل أن يأمرا بقتلهم جميعاً، ردا: بل كان صاحبكم عمر المختار والطليان متفقين، وقد انقلبا على بعضهما البعض وأنتم أحفاد الاثنين!!

لم يكن رد فعل الساعدي القذافي وشريكه في الإجرام عبد الله السنوسي إلا ثقافة ودروساً من العقيد نفسه وحقده على قائد الثورة الليبي عمر المختار.

لذا، وفي دلالة على تمادي القذافي على قلب المقاييس، لم يكتفِ العقيد بنقل ضريح وميدان عمر المختار خارج بني غازي، بل إنه وبعد أن دفن والده العسكري في جيش الاحتلال الإيطالي في مقبرة الهانئ أقام له ضريحاً وسط مقابر الثوار الذين شارك والد القذافي في قتالهم، وأمر القذافي تشريفاته أن يتضمن برنامج زيارة أي رئيس أو ملك أو زعيم لليبيا قراءة الفاتحة أو وضع إكليل من الزهور على ضريح والده بعد أن نقل رفاته من مقبرة بلدته سرت إلى مقبرة الهانئ التي ضمت رفات المجاهدين الذين سقطوا خلال مواجهة الاستعمار الطلياني!!!

كان والد القذافي محمد أبو منيار جندياً في فرقة مدفعية في الجيش الإيطالي المحتل (طوبجي) وقد قاتل مع هذا الجيش الغازي في الحبشة عندما غزتها إيطاليا.

أسماء القذافي الـ 38

أطلقت أجهزة القذافي الإعلامية والأمنية واللجان الشعبية والثورية أسماء عليه.

كانت تستهويه ويفتخر بها، في محاولة ابتداع صفات ليست فيه، لكنها كانت ترضي غروره وهي تتناسب مع ما بات معروفاً أنه يتألّه (ربي غفرانك).

وقد بلغت هذه الأسماء 38 اسماً هي دون ترتيب:

العقيد - القائد - المفكر (صاحب النظرية العالمية الثالثة) - المنظّر (منظّر لعصر الجماهير) - المعلم - الحكم - الأمين (الأمين على القومية العربية) - الأب - الأخ - المناضل - الثائر - الصامد - الوحدوي (نسبة للمحاولات الوحدوية المزعومة مع مصر وسوريا والسودان والمغرب وتونس وتشاد والاتحاد المغاربي) المقاتل - الأممي (عالمية النظرية العالمية الثالثة) - إمام المسلمين (ألغى الإفتاء في ليبيا كما الأشهر الهجرية وبات كل شيء ديني في ليبيا من اختصاصه) - ملك الملوك (نصّب نفسه ملكاً على ملوك قبائل أفريقيا) - المهندس (مهندس النهر الصناعي العظيم) - المحرض (على الثورة الدائمة) - المبدع (رسومات تافهة مضحكة) - الشريف - الصقر الوحيد - الرائد - المنقذ (منقذ البشرية) المخلّص (مخلّص البشرية من الاضطهاد) - المحرر (الذي وفّر للبشرية الانعتاق النهائي - الأديب (ألّف مجموعة روايات مضحكة) - الفارس - الزعيم - العميد (كم تباهى أنه عميد الحكام العرب والافارقة والآسيويين والأوروبيين والأميركان، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب من فيدل كاسترو الذي تسلم الحكم قبله بعشر سنوات 1959، وتخلى عنها عام 2009 أي بعد خمسين سنة) - الفيلسوف - عظيم الشأن (وقد غنّى له مطرب ليبيا المعروف محمد حسن أغنية تتحدث عنه كعظيم الشأن مما جعل الشيخ المصري عبد الحميد كشك يهاجمه ويسخر منه قائلاً: من أنت لا أبوك الرسول محمد ولا أنت نبي) - المؤسس - الوفي - آخر الأولياء - الشجاع - الكريم - رسول الصحراء وهو عنوان كتاب ألفته صحافية إيطالية عنه.

كيف لا يتألّه القذافي عندما يجد واحداً مثل سفيره في الرياض محمد سعيد القشاط، يغضب لأن العقيد لم يستمع إلى نصيحته أن يسمّي ليبيا الجماهيرية العربية القذافية (نسبة للمملكة العربية السعودية) وأن ينجب مائة ولدٍ ليحكموا ليبيا وفق الترتيب العائلي أبناء بعده ثم أحفاداً بعد الأولاد!!

والقشاط هو شاعر ليبي شعبي مهتم بالتراث، حمل للملك فهد رسالة شخصية من العقيد، مع رسالة الاعتماد يبلغ فيها العاهل السعودي الراحل، بأن القشاط هو أحد أقربائه طالباً إحاطته برعاية ملكية خاصة.

والقشاط الشاعر اعتبر العقيد خليفة حنيش الذي جاء ذكر مآثره سابقاً مرجعه وكان اختصاصياً في تواريخ القبائل الليبية.

القذافي والوحي

في حديث مع جريدة «الأهرام» المصرية تاريخ الجمعة في 22/ 7/ 2011 قال أول سفير مصري في ليبيا بعد ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 اللواء صلاح السعدني، إن أول انطباع خرج به بعد لقاء العقيد معمر القذافي في 4/ 9/ 1969 إنه غير متزن ومصاب بخلل نفسي، وإن هذا ما كتبه في تقارير لجمال عبد الناصر واصفاً القذافي أنه د. جيكل ود. هايد (إشارة إلى إصابته بانفصام في الشخصية، طيب وخبيث، عاقل ومجنون، صالح وشرير).

ويكشف اللواء السعدني أن القذافي وضع والد زوجه الأولى فتحية نوري خالد الذي كان قائد القوة المتحركة في العهد الملكي في السجن وقلّد شقيقها زميله فتحي رئاسة الحرس الجمهوري.

الأمر الشخصي جداً الذي يكشفه السفير السعدني أن معمر القذافي وبعد أشهر من زواجه من فتحية، وكانت حملت منه (كان عمره يومها 28 سنة) أسرَّ له بأنه عاجز عن معاشرة زوجه، وأنه سيطلقها، وأن السفير المصري اصطحب العقيد إلى مصر، ليعرض حالته على الطبيب عبد الحليم العقبي، الذي شخّص حاله بأنه نتيجة سوء حالته النفسية، وكتب له عدداً من الأدوية المهدئة.

في انتظار الوحي؟

السفير السعدني يقول إنه كان يلاحظ أن القذافي كان يغيب كثيراً بعيداً عن الأنظار، وأنه سأل مرة زميله مصطفى الخروبي عن سر غياب القذافي فقال الخروبي إنه في غريان، حيث هناك مغاور عديدة، وعندما سأله وماذا يفعل هناك دائماً فرد الخروبي... إنه ينتظر الوحي.

وعندما تسأل السفير المصري الذي أمضى 7 سنوات في مهمته الدبلوماسية في ليبيا (من أيلول/ سبتمبر 1969 حتى نهاية 1976). إن كان ما يقوله الخروبي جاداً... ردَّ بسرعة بل كانوا يسخرون منه، لكنهم لم يكونوا ليجرؤوا على هذا أمامه لأن رفاقه كانوا أجبن من أن يواجهوه.

وكشف السعدني أن القذافي كان يعاقب رفاقه من أعضاء مجلس قيادة الثورة بالحسم من رواتبهم إذا أخطأوا وأنهم كانوا شكلوا بينهم جمعية (حصّالة – قجّة) ليضعوا

فيها بعض أموالهم الزائدة من مصاريفهم بمعدل 50 ديناراً شهرياً (ما يعادل يومها 160 دولاراً أميركياً) حتى يعوضوا لأي زميل لهم يلقى عقاب القذافي بالحسم، وأحياناً كان يأمر المغضوب عليه أن يحبس نفسه في غرفة لمجلس القيادة خصصها لذلك، كان المعاقب يذهب إليها وهي دون قفل، ولا يخرج منها إلا إلى الحمام.

كان القذافي يشبّه زملاءه في مجلس قيادة الثورة بالأطفال ويسبّهم سباً لاذعاً، وأعتقد - والكلام للسعدني- أن هذه كانت بدايات جنونه وفي مكان آخر من هذا الكتاب روايات أخرى للرائد عبد المنعم الهوني زميل العقيد، تؤكد أن إحدى العقوبات التي كان القذافي يفرضها على رفاقه إذا أخطأوا هي قص الشعر حتى آخره.

القذافي يتحدى ثقافة الليبيين الدينية

فجأة أصبح القرآن قاصراً بنظر العقيد!! ففي الخامس من حزيران/ يونيو 1978 قال القذافي: «القرآن لا يتحدث عن المشاكل التي نحن نحكم بها المجتمع... القرآن نسخة واحدة وكتاب واحد، والتي لا توجد في القرآن ليس لنا علاقة بها (يقصد المشاكل)... نسخها ربي أسقطها... إن القرآن جزء من قليل تستطيع أن تحكم به مجتمعنا الآن أما الباقي فأغلبه... يتعلق بيوم القيامة». بل ألغى في الخطاب نفسه كما ظهر في جريدة «الفجر الجديد» الليبية، الأحاديث الشريفة كلها، قائلاً إن بعضها غير صحيح!

كما ألغى التقويم الهجري وفرض تقويماً جديداً على ليبيا هو سنة 1388 من وفاة الرسول. أي أن التاريخ يؤرخ بداية وفاة الرسول. وبمعنى آخر: يؤرخ ببداية الفاتح الليبية.

والله الذي أنزل القرآن المتجاوز للمكان والزمان، كما كان يقول العقيد، أصبح ينسى! والرسول (إن هو إلا وحي يوحى) أصبح بنظر القذافي مجرد مراسل موظف بريد بوسطجي وعمر بن الخطاب (المشهور بعدله) أصبح دكتاتوراً متسلطاً، والقرآن الكريم (الذي أنزل للعالمين كافة) أصبح للعرب وحدهم. قال القذافي: «إن تبنّي زعيم إيران قضية الثورة الإسلامية هذا شيء عظيم. ولكن لا بد أن نفهم أن الإسلام هو دين العرب. الأمة العربية هي الموجَّه إليها الإسلام. هناك حركات تبنّت الجانب الإسلامي وتجاوزت حدود الأمة العربية تحت شعار الإسلام. هذه الحركات أصبحت حركات رجعية مضحكة وضعت في قمامة التاريخ»...

الثقافة والتعليم ومفاهيم العصر: جاء في الصفحة 75 من كتاب وخطب وبيانات...

العقيد القذافي إن ليبيا تدخل في معركة ثقافية لتحطيم القراءات المستوردة ولتحطيم الأفكار الرجعية شرقية كانت أم غربية متعفنة دخيلة وعلينا سنحرق الكتب والأفكار المتعفنة! وقال القذافي: «ممكن واحد يكون معاه الدكتوراه... ولكن هو جاهل أجهل من دابة»...

وألغى العقيد القذافي المحاماة «لأنها ظاهرة استغلالية» وألغى القوانين القائمة، واستبدلها بالعقوبات الفورية التي تحكم بها اللجان الثورية وطرد القضاة من مناصبهم وألغى منصبي النائب العام والمدعي العام... فالندوة العلمية حول الكتاب الأخضر والنظرية الثالثة تعوض كل شيء حتى ولو بلغت تكاليفها 25 مليون دولار.

وفي الكتاب الأخضر حل لمشكلة الديمقراطية. لقد أعلن القذافي فيه سلطة الشعب أي عصر الجماهير.

هل الخوف هو الذي يدفع القذافي إلى إلغاء كل مؤسسات الدولة القائمة؟

المعسكرات هي مقار اللجان الثورية الدائمة، وهي العنوان الدائم الذي يتم به الاتصال بالقوى الثورية...

لماذا نهتم باللجان الثورية؟ لأنه لم يعد هناك سواها...

هذه اللجان هي التي تقوم بالنيابة عني أنا شخصياً (مع أنه رفض مبدأ النيابة...) الآن لا يستطيع أي فاشي أن يأتي لوحدة عسكرية يصدر لها أمراً باحتلال الإذاعة.

لماذا؟ لأنه الآن توجد لجنة ثورية من مهامها السحق الفوري لأي محاولة مضادة للثورة بدون أوامر...

الأوضاع الداخلية ورفاق الطريق: لقد أعدم القذافي عدداً من طلاب الجامعة الليبية في نيسان/ أبريل 1977 وأعدم في الفترة نفسها تقريباً واحداً وعشرين ضابطاً دون محاكمة علنية لأنهم تآمروا على نظام الحكم.

وخطب القذافي في 8 آذار/ مارس 1979 في بني غازي قائلاً: من يريد أن يتحدّى الثورة إذا كان في الداخل هذا أمر مفروغ منه سنداهم هذا الموقع وندمّره حتى ولو كان مسجداً. وإذا كان في الخارج علينا أن ننتقل إليه في الخارج ونهاجمه.

الفصل الرابع

يا رفاق معمر:
لماذا تركتموه يفعل كل هذا بكم.. وبليبيا

- أين رفاق معمر
- من هو معمر القذافي؟
- عبد السلام جلود شريك سوء السنين الأولى
- من هم أعضاء مجلس قيادة ثورة الفاتح
- معارضو القذافي في المجلس
- عمر المحيشي
- عبد المنعم الهوني
- عبد السلام جلود
- كيف تخلص معمر من أعضاء مجلس قيادة الثورة؟
- كيف تركتم القذافي يسرق منكم ثورتكم؟
- قصة الرقم 12
- أول اصطدام بمعمر عام 1970
- تنازلوا باسم الوحدة
- قرار بتنحية معمر
- عمر المحيشي يؤيد إعدام معمر
- خطة اعتقال القذافي... وفشلها
- مجموعة الهوني ومحاولات معمر لخطفه

يا رفاق معمر:
لماذا تركتموه يفعل كل هذا بكم.. وبليبيا

أين رفاق معمر؟

يتساءل كثيرون ممن كانوا يتابعون الشأن الليبي، منذ قيام ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 أين أعضاء مجلس قيادة الثورة، من الضباط الأحرار الأحد عشر، الذين قاموا بالثورة مع العقيد معمر القذافي؟ لماذا اختفت أسماء عمر المحيشي، عبد المنعم الهوني، عبد السلام جلود، محمد نجم عوض حمزة، مختار القروي، بشير الهوادي.

ما هي أدوار أبو بكر يونس، مصطفى الخروبي، الخويلدي الحميدي؟ (محمد المقريف مات باكراً في حادث سيارة).

كيف تفرقوا؟ كيف تركوا القذافي بهذا القدر من السلطة وحده؟ من كانوا بالنسبة له أو ما هي أدوارهم في الثورة وما قبلها وما بعدها؟

وهل يكفي أن يكون القذافي أكثر ذكاء منهم حتى يتمكن من الانفراد بالسلطة، ثم بإزاحة أكثرهم، واستتباع مَن بقي منهم! وكيف سمحوا له أن يبعدهم ثم أن يهيئ أبناءه لخلافتهم حتى بات أولاده هم أعضاء قيادة الدولة كلها في غياب قيادات الثورة؟

يحتاج الأمر أولاً للكشف عن طبائع الناس وخصالها والعوامل الموضوعية التي مكنت العقيد من الانفراد، أن نعود إلى البدايات... البدايات لنحاول الإجابة عن بعض هذه الأسئلة.

من هو معمر القذافي؟

من بيئة فقيرة جداً وسط الصحراء خرج معمر أبو منيار القذافي إلى الحياة ليواجه شظف العيش، فالوالد محمد عبد السلام أبو منيار كان جندياً في الجيش الإيطالي حارب مع الاستعمار الإيطالي أبناء بلدته من الليبيين، وحارب مع هذا الاستعمار في أثيوبيا التي كانت مستعمرة إيطالية كما جزء كبير من الصومال ثم دفنه ابنه في مدافن الشهداء في مقبرة الهانئ رغم أن كثيراً من شهداء المقبرة شارك والد القذافي في قتلهم... بل

وكان جسد والد القذافي يحمل آثار رصاصات أطلقها عليه المجاهدون ضد الاستعمار الإيطالي.

كان حلم الطفل معمر أن يدرس في مدرسة كما زملاؤه في منطقة سرت التي ولد فيها، ودخل فعلاً إحدى مدارسها، لكن عجز الوالد عن توفير تكاليف المدرسة، رغم أنه كان يتقاضى راتباً تقاعدياً من الجيش الإيطالي، دفعه لأن يسحب ابنه من المدرسة المكلفة مادياً يومها، لينقل عائلته معه إلى جنوب الصحراء ويلجأ إلى عائلة سيف النصر في حضن قبيلة أولاد سليمان، فقد كان القذاذفة من الرعيان الذين يعيشون في كنف أولاد سليمان وأراضيهم ومزارعهم.

بعد أن سحب أبو منيار القذافي ابنه معمر من مدرسة سرت، أرسله إلى سبها حيث عزوة عائلة سيف النصر التي اعتبرت نفسها راعية القذاذفة وأبرزهم محمد بن سيف النصر، وهو من وجهاء القبيلة المميزين (لم يكن محمد يملك موقعاً إدارياً أو سياسياً لكن أخوته أحمد وعمر وغيث كانوا في مواقع سياسية متقدمة حتى إن غيث كان والياً على فزان حتى العام 1964 عندما أعلنت ليبيا دولة واحدة باسم المملكة المتحدة الليبية، دون ولايات).

كان عمر الولد معمر يتجاوز العشر سنوات، وطلاب صفه كانوا جميعاً بين السابعة ودونها من العمر، فكان من الصعوبة بمكان ترك هذا الولد الكبير وسط أقرانه الصغار، فاضطرت إدارة المدرسة أن تعطي معمر القذافي دروس ثلاث سنوات في سنة واحدة حتى يتمكن من الانتقال إلى صف دراسي يناسب عمره، وقد نجح بذلك نجاحاً كبيراً.

رعى محمد سيف النصر معمر القذافي حتى أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية، وكان قاسياً عليه في الدراسة، حرصاً عليه كي يكون متفوقاً، وكثيراً ما عاقبه إذا ما أخطأ، وكان أمام التلامذة وتراوح العقاب بين الضرب والدوس بالقدم.

كان محمد سيف النصر فوق هذا مقاتلاً عنيفاً ضد الإنجليز الذين احتلوا بلاده بعد الحرب العالمية الثانية، وحين انتقلت عائلته إلى مصر وهو في مقدمتها، تطوع مع المقاومة الشعبية في مصر ضد العدوان الثلاثي عليها، بعد أن أمّم جمال عبد الناصر قناة السويس، وكان محمد سيف النصر من أشد المتحمسين لمصر وعبد الناصر ومعركته المجيدة.

كان أول رجل سجنه القذافي بعد أن تسلم السلطة هو محمد سيف النصر، وعندما

كان يتحدث عن الفساد كان يعتبره رمزاً من رموزه حتى قضى الرجل في سجن القذافي!

كان معمر ذكياً بالفطرة يحمل خبث البدوي ودهاءه متقشفاً صبوراً كما حال أهل البادية مشوهاً نفسياً ربما بسبب الظروف القاسية التي مرَّ بها. ولا شك أنه كان مخططاً جيداً مقتنعاً بينه وبين نفسه بأنه خلق للقيادة، وهذا ما بات يمارسه علناً ويطلب من الآخرين بعد أن تولى السلطة أن يقتنعوا بذلك خاصة رفاقه في مجلس قيادة الثورة.

عرف القذافي شظف العيش وعاشه كما لم يعشه أقرانه من أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقد كان حلم حياته عندما دخل الكلية العسكرية أن يبيت في منزل خاص به، فلما عجز عن ذلك ارتضى أن يعمل ناطوراً في مبنى أحد الضباط في الكلية العسكرية كي يتمكن من سكن غرفة ناطور مبنى هذا الضابط الكبير. هذه الظروف جعلت قلب الرجل ميتاً بلا شفقة ولا رحمة على أحد... غير أن هذا كله لم يظهره إلا بعد سنوات من السلطة.

قبلها... يروي القذافي لشركائه في ثورة الفاتح، أنه بينما كان يخطط للثورة باكراً، جاء إلى طرابلس في يوم ممطر وعاصف ولم يكن له في العاصمة أحد يلجأ إليه، فاضطر أن ينام في سوقها. وكانت بعض أطراف السوق مسقوفة، ولكن الشتاء كان غزيراً والبرد شديداً، فجمع القذافي كرتون البضائع الفارغ لينام فوقه، ويتغطى بأجزاء منه إلى أن شاهده رجل مرَّ في دراجته بهذا السوق، فعطف عليه وأخذه إلى منزله حيث أعطاه عباءة ليبية من ثيابه وأمر أهل داره بتجهيز طعام ساخن له، ثم أمَّن له نوماً في غرفة من غرف الدار مع التدفئة،حتى طلع الصباح فخرج معه وودعه، لينسى مع الزمان حكايته.

وعندما قامت الثورة وكان معمر القذافي ممتلئاً حماسة وتواضعاً، قصد السوق نفسه وهو عرف سابقاً أن الرجل الذي استضافه في تلك الليلة القاسية كان عاملاً في صيدلية داخله، فحطّ رحاله وموكبه قرب الصيدلية وخرجت الناس لتحيته، فقد سمعت كثيراً عن تواضعه وتجواله في الأحياء والقرى والبلدات والبادية لتفقد أحوال المواطنين.

فوجئ الرجل العامل في صيدلية السوق بأن قائد الثورة يقصده فأخذه بالأحضان وسط دهشته والناس من حوله غير مصدقة ما يفعله العقيد، ثم صحبه داخل الصيدلية ليفاتحه بواقعة السوق والطعام الساخن ومساعدة أهل الدار له... ففطن الرجل إلى تلك الليلة وضيفه فيها، واتفق القذافي مع صاحب المعروف السابق أن يكون ضيفه في منزله لتناول الطعام من جديد، وهكذا كان.

عبد السلام جلود شريك سوء السنين الأولى

ويروي عبد السلام جلود أن وضعه الاجتماعي كان أكثر سوءاً من وضع معمر القذافي، وأنهما واجها شظف العيش بالتماسك والتضامن، وأن الاثنين يذكران كيف كانا ينامان في منزل شقيق جلود الأكبر د. سالم، ويؤمن لهما الطعام وهما عاجزان عن توفيره.

كان أصدقاء سالم يلقبونه بالسفوت (أي سيخ اللحمة) لأنه كان يعمل في إحدى الحانات الشعبية taverne التي تقدم اللحم المشوي، ومن عمله في هذه الحانة كان يمكنه أن يستضيف شقيقه الأصغر وزميله معمر، في منزله في زاوية الدهماني وهي منطقة قريبة من وسط طرابلس، وعندما قامت الثورة، كان سالم قد اشترى حافلة عمل عليها ليوفر الحياة البسيطة لعائلته، وكان شقيقه عبد السلام قد أصبح ضابطاً في الجيش الليبي ثم شريكاً في ثورة الفاتح في سبتمبر/ أيلول 1969.

وقبل أن نعرض الواقع الاجتماعي لبقية أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية الشبان، لا بد من الإشارة إلى أمر قد يفسر إلى حد كبير وضع هؤلاء الرفاق الذين تداعوا واحداً بعد الآخر نحو العزلة والانعزال، نحو الاستكانة والصمت، نحو الخنوع والمراقبة.

فمعمر القذافي دون كل أعضاء قيادة الثورة كان يعرف ما الذي يريده، فقد بدأ تشكيل مجموعة الضباط الأحرار.

كان هو المنظم، والمخطط، والمحرك، وكان الجميع يوافقونه على كل ما يرتبه ويخططه ويقبلون الأدوار التي يمنحها لكل واحد منهم.

ولأنه كان يرى أمامه لبضع سنوات قادمة، وكانوا في إخلاصهم لا يناقشونه، ولأنه كان يقول إنه وبعد نجاح الثورة سيسلمون السلطة للمدنيين ويعودون إلى ثكناتهم ليراقبوا مسار الأمور نحو الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، والانخراط في المعركة العربية التي يخوضها مثلهم الأعلى جمال عبد الناصر، فقد صدقوه وسلموا أمرهم له... وحده.

كان الحس الأمني عند القذافي عالياً جداً وساعده هذا الحس في تعزيز نزعة الشك في كل شيء حتى في أقرب الناس إليه. الأمران: الحس الأمني والشك أدّيا أهم الأدوار

في قدرته على الإمساك بالسلطة، وبعدها كان القذافي يمتلك موهبة الفتنة بين أعضاء المجلس، وموهبة تسييد مبدأ فرِّق تَسُدْ وموهبة النأي بنفسه عن أي نزاع ليرمي أسبابه على الآخرين وهو البريء دائماً. كانت صحوته لكل أمر حين يغفو الآخرون جائزته التي يحصدها ليضرب ضربته حيث لا يتوقع خصومه... أو حتى إخوانه في مجلس قيادة الثورة، فالخداع عنده أهم أسباب وأساليب الإمساك بالسلطة واستدراج الآخرين إلى الخطأ، فكان يعلم عنهم ما لا يعلموه عنه، موهوباً في قدرته على استفزاز الآخرين لإسقاطهم أو لإبعادهم أو لاستتباعهم.

وسنعود بعد فقرات متعددة إلى دور مميز لعبد السلام جلود بين أعضاء مجلس قيادة الثورة، لكننا الآن نتابع هذا الأمر الخاص لنقول إن معمر القذافي كان يرى نفسه قائداً للثورة قبل أن تبدأ مميزاً نفسه بين رفاقه بأنه هو الذي جمعهم، وهو الذي نظمهم وهو الذي حدد ورسم لهم أدوارهم، وهو الذي أوصلهم إلى السلطة وعليهم بعد كل هذا أن يطيعوه.

ربما يشرح الباقون على قيد الحياة والعهد منهم الراغبون بالكلام المباح بعد سقوط العقيد، سواء ظلوا معه أو خالفوه، صمتوا أو عارضوا، تفاصيل ومضمون المرحلة تلك. ولكننا الآن سنكتفي بما نحاول شرح حال كل واحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة... لنتحدث بتفصيل بسيط بعد ذلك عن ثلاثة منهم، تميزت أدوارهم بمعارضة للقذافي تراوحت بين محاولة الانقلاب عليه عسكرياً كما عمر المحيشي، وبين من عارضه من الخارج وكان أول من أعلن ولاءه لثورة الشعب الليبي ضده يوم 17/ 2/ 2011 كعبد المنعم الهوني، وبين من استمرت معارضته للعقيد من الداخل حتى العزلة الكاملة كعبد السلام جلود.

من هم أعضاء مجلس قيادة ثورة الفاتح؟

- النقيب محمد المقريف: مات في حادث سيارة عام 1971 وكان إلى جانبه الرائد عبد السلام جلود الذي نجا من الحادث بأعجوبة.

كان الانسجام كاملاً بين أعضاء مجلس قيادة الثورة بزعامة العقيد الذي كان ملازماً أول حين قام بالثورة، حين وفاة المقريف، ولم يشك أحد أبداً بطبيعة مقتله في الحادث.

- مختار القروي: كان أول المنسحبين من مجلس قيادة الثورة ومن الجيش ومن العمل

السياسي، رغم أن القذافي عيّنه أمين سر المجلس. سبب انسحاب القروي هو احترامه لنفسه وإدراكه أنه لا يستطيع الاستمرار في العمل تحت قيادة معمر القذافي وهو من الذين آمنوا باكراً بأن مهمته كضابط قام بالثورة لخلع الملك وإعلان الجمهورية، وقد انتهت وأن الجيش يجب أن يعود إلى ثكناته، ولم يكن له طموح الاستمرار في السلطة أو في العمل السياسي.

ومع هذا... فإن لكل نتيجة سبباً وسبب ترك مختار القروي مجلس قيادة الثورة والجيش والسياسة، واقعة ذات مغزى كشفت سلوك القذافي مع رفاقه كما كشفت طبيعة موقعه بينهم.

جلس القذافي على كرسي وسط زملائه مع مجموعة من الضباط، متحدثاً أمام التلفزيون الليبي، وكان على يمينه جالساً على الأرض زميله الضابط مختار القروي. أراد القذافي إظهار انضباطية أعضاء المجلس وطاعتهم له فقال على الملأ والتلفزيون يبث الحدث مباشرة، وبعد ذلك معيداً البث مرات عدة، إن الانضباط مهم جداً في ليبيا حتى على أعضاء مجلس قيادة الثورة... ويستدل على سيادة الانضباط برفع القبعة العسكرية عن رأس زميله مختار القروي قائلاً: انظروا رأس مختار لقد أمرت بقص شعره لمخالفته أمراً في مجلس القيادة.

- محمد نجم: ينتمي إلى قبيلة نجم المعروفة بطيبة أبنائها، وضعه الاجتماعي والاقتصادي كان جيداً قبل الثورة ومشهود له فتح داره للمساعدة لأي كان.

أورد القذافي اسمه في مؤامرة عمر المحيشي التي سيأتي ذكرها لاحقاً مع زميليه عوض حمزة وبشير الهوادي، علماً بأنه كان خرج باكراً من المجلس والجيش والعمل السياسي من وقتها، وحمداً لله أن القذافي لم يقتله، وسنعود إلى تفسير هذا الأمر فيما بعد.

محمد نجم من بني غازي وهو يقيم منذ تركه السلطة عام 1970 في معسكر خاص أقامه بحراسات كاملة، ويحصل من تاريخه على كل مزاياه المحسوبة من مواقعه السابقة، وله دور معنوي بسلطة أدبية بسبب كرمه واستعداده لمد يد العون للمحتاجين عبر وساطات كان وما زال يقوم بها لقاصديه بعلاج أو دراسة أو سفر أو وظيفة.

كان القذافي يزوره بين الحين والآخر إذا زار بني غازي وكان أحياناً يتناول الغداء وبالمقابل يزوره نجم في طرابلس تاركاً الانطباع لدى العقيد بأنه معه وهذا ما كان يعلنه، بأن نجم معنا وقبيلته معنا.

وكان نجم يردد كلما سئل وسط عائلته عن سبب ابتعاده، هناك اتفاق بين جميع أعضاء المجلس على أن تسلم السلطة للمدنيين حين ننجح في الثورة، لكن العقيد قال لنا إن الناس غير مهيأة للسلطة التي يجب أن نظل فيها إلى أن تتهيأ الظروف ويصبح الشعب قادراً أن يحكم نفسه بنفسه... فقررت - يتابع نجم - أن أعود إلى حوشي.

انسحب نجم من الحياة العامة وعاد إلى داره واقام معسكر حراسة خاصاً به ونجا من تهمة التآمر التي جهزها معمر، لينتقم ممن يريد التخلص منهم.

- بشير الهوادي: كان أكبر أعضاء مجلس قيادة الثورة سناً وهو الذي كلفه العقيد برئاسة المحكمة العسكرية لمحاكمة أركان العهد الملكي، وهو الذي عينه القذافي أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي العربي الليبي بعد نجاح الثورة.

ينتمي بشير الهوادي إلى واحة ودّان وقد جاء إلى طرابلس ليدرس عدة سنوات، انتسب إلى الكلية العسكرية ليحسّن دخله المادي بمؤهل متوسط، وفي الجيش تعرف إلى معمر القذافي وأعجب بأفكاره وقدرته التنظيمية وشخصيته فأصبح ملازماً له حتى ضمّه معمر إلى تنظيم الضباط الأحرار بعد أن أظهر الهوادي الكثير من التعاطف مع آراء الملازم الأول معمر القذافي فقرّر هذا ضمه إلى صفوفه.

بعد محاولة المحيشي عام 1975، أبعد القذافي الهوادي لأنه ظن أنه علم بالمؤامرة ولم يبلّغ عنها، كما هو حال عوض حمزة.

وليتخلص منه مهاناً، أحضره معه احتفالاً شعبياً نظمه القذافي للاتحاد الاشتراكي وأجلسه إلى يمينه بصفته أميناً عاماً للتنظيم السياسي، فإذا القاعة مع بدء الاحتفال تضجّ بهتاف واحد: «الثورة مستمرة والخاين يطلع بره».

اصفرّ وجه الهوادي وهو يستمع إلى هذا الهتاف وينظر إلى العقيد الذي كان يبتسم بخيلاء، ولم يصدق الهوادي نهاية هذه المسرحية المأساوية حتى يعود إلى منزله، مختفياً بعد اللقاء العاصف... ولم يظهر إلا بعد سنوات متدروشاً مطلقاً لحيته، واحداً من أهل الحضرة كما يقول الصوفيون، وفي عزلة وإقامة شبه جبرية كما يقول العارفون، وعندما حجّ إلى بيت الله الحرام استأذن العقيد الذي سمح له بأداء الفريضة، وبات اسمه الآن في واحة ودّان الحاج بشير.

هكذا انتهى القسم الأول من أعضاء مجلس قيادة الثورة فماذا عن الذين بقوا مع العقيد؟

اللواء أبو بكر يونس

هو أكثر أعضاء مجلس قيادة الثورة طيبة وتواضعاً وهو من المجابرة، وان كان اسمه الكامل هو أبو بكر يونس جابر، وهو من منطقة الواحات التي تضم مدن أجدابيا - جالو - أوجلو، وهي واحات معروفة ما قبل التاريخ.

ليست قبيلة المجابرة من القبائل الكبيرة في ليبيا، لكنها قبيلة معروفة بتجارتها بالإبل، وحسن موقعها الاجتماعي.

عرف عن اللواء أبو بكر التقى والورع والأخلاق الرفيعة والبساطة إلى درجة من الصوفية والصفاء مع حس عروبي سليم حقيقي وصادق.

ومع تقدم وضعه الاقتصادي والاجتماعي عن وضع معمر القذافي، إلا أنه ظل شديد الإخلاص له لم يواجهه حتى حين كان العقيد يتعمد إهانته، فينزل رتبته من عميد إلى رتبة عقيد، ثم بعد سنوات يرفعه إلى رتبة لواء.

لم يمتلك أبو بكر يونس قدرة مقاومة أو مواجهة العقيد كما كان عبد السلام جلود مثلاً ولم يكن ليفعل شيئاً وهو يرى أن العقيد ينشئ إلى جانب الجيش الذي يقوده نظرياً اللواء أبو بكر، جيشه الخاص ويسلم قطعاته المسلحة بأحدث الأسلحة لأولاده الذين جعلهم بدلاء حقيقيين عمن تبقى من مجلس قيادة الثورة.

كان يقال أن أبو بكر يراجع العقيد في السياسات التي يتبعها القذافي، ناسباً الرأي في الاعتراض إلى آخرين وأن العقيد كان سريعاً ما يستوعب ما يطرحه أبو بكر مقنعاً إياه بأن السياسة المتبعة هي التي حفظت الثورة، وأنه يريد أن يغير ولكن الظروف التي نعيشها في ليبيا والمؤامرات عليها تمنعه من ذلك. وإذا ما ظهر على اللواء أبو بكر عدم الاقتناع لجأ العقيد إلى المعزوفة التي يرددها أمام رفاقه منذ عقود وهي أن السلطة ليست في يده وأن أي مسعى للتغيير يجب أن يمر من خلال المؤتمرات الشعبية والمؤتمرات العامة للجان الشعبية في تهرب واضح من المطالبة بالتغيير حتى لو جاءت من رفيق عمره الأكثر إخلاصاً وولاء له...

من المرات النادرة التي سمع فيها رأي معارض للقذافي قوله أننا رمينا 10 مليارات دولار على الأرض حين كنا ندرب شباباً على الطيران وأسلحة البر والبحر ثم نسرحهم دون أن يفعلوا شيئاً، وعندما كان السائل يستفهم كان يونس يرد: هذا أنتم في المؤتمرات

الشعبية، أنتم الذين تقررون... دون أن ينطق بحرف واحد عن مسؤولية القذافي في توجيه المؤتمرات لإقرار ما يريد هو نفسه.

خلال ثورة 17 فبراير 2011 كان اللواء أبو بكر يونس في جنوبي غرب البلاد متفرغاً لأعمال خاصة بالجيش الرسمي، عندما طلب منه أن يجول على سكان المنطقة في سيارة مكشوفة لإظهار ولائه للعقيد، ثم ظهر بعد عدة أشهر من الثورة ليخطب أمام جمع من الناس في حفل نقلته المرئية الليبية ليعلن أن معمر خط أحمر.

العميد مصطفى الخروبي

هو من منطقة قريبة من الزاوية غرب طرابلس، وهو رجل من عائلة تمتهن الزراعة الواسعة وذات نفوذ في المنطقة. كان شقيقه الحاج بشير مديراً عاماً في الدولة قبل الثورة، ومصطفى الخروبي ذو توجه ديني معتدل، ناصري ملتزم، لم يختلف أبداً مع العقيد القذافي، مؤيد له على طول الخط. وعندما سلمه جهاز الاستخبارات الليبية وجد نفسه مهمشاً في مسؤوليته الكبيرة، لأن العقل الحقيقي في هذا الجهاز المهم كان بين أيدي رجال العقيد الذين جاء بهم بعد الثورة وتحوله الخطير بعد العام 1980، من أمثال عبد الله السنوسي، عبد الله حجازي، محمد المجذوب، عز الدين الهنشيري، إبراهيم البشاري، عبد السلام الزادمة... وأخطرهم موسى كوسى الذي هرب إلى لندن خلال الثورة الشعبية في ليبيا في واحدة من أكثر صفقات العصر خسة. إلى جانب الثنائي خالد وعبد الله منصور وعلي الكيلاني وأحمد إبراهيم والمئات غيرهم. وهؤلاء بعضهم قتل في ظروف غامضة وبعضهم هرب قبل سقوط القذافي، وآخرون ظلوا معه حتى الرمق الأخير.

مع بدء ثورة الشعب الليبي ضد القذافي وأبنائه، اعتكف مصطفى الخروبي في منزله لفترة ثم ظهر فجأة في استقبال رؤساء أفارقة ثم جهر بتأييده لمعمر... وظل دون دور سياسي حقيقي كما كان طيلة عقود ماضية.

العميد الخويلدي الحميدي

هو من منطقة صرمان بعد الزاوية غرب طرابلس وأصوله من منطقة حدودية بعد زواره على الحدود مع تونس، ووضعه الاجتماعي متوسط الحال أفضل من وضع معمر

القذافي وعبد السلام جلود قبل الثورة، لكنه أقل من وضع عبد المنعم الهوني ومصطفى الخروبي.

الخويلدي الحميدي كان وضعه أقرب إلى القذافي، لكنه لم يكن بدوياً، وهو ينتمي إلى عائلة فلاحية بسيطة.

لم يختلف الخويلدي يوماً مع القذافي وأبرز مهماته كان تسلمه وزارة الداخلية. وقد كافأه القذافي بجعل ابنه العسكري خالد في وضع اجتماعي مميز، وأسس له شركات خاصة كأبنائه.

ابنه الآخر محمد دخل الكلية العسكرية وتخرج منها ضابطاً مقرباً لأبناء العقيد، مستخدماً كأخيه خالد نفوذه الواسع وقربه من عائلة القذافي لتحسين وضعه الاقتصادي وإن كان بعض الثوار يردد أن الخويلدي وولديه لم يشاركوا في المذابح التي ارتكبها القذافي وأولاده وهربوا إلى منطقة النوايل على الحدود مع تونس.

لكن هذا لم يمنع بعض الثوار من مهاجمة مزارعه وخيوله في منطقة صرمان. ولم تجد أياً من أسرة الخويلدي التي قيل إنها هربت إلى تونس، ولم تشارك الأسرة في المذابح التي ارتكبها العقيد وأبناؤه في مدينة الزاوية... رغم حديث البعض عن مشاركة خالد فيها، ونفيه رسمياً هذا الأمر. علماً بأن الساعدي القذافي متزوج من ابنة الخويلدي الحميدي.

معارضو القذافي في المجلس

عمر المحيشي

الرائد عمر المحيشي كان أكثر ضباط مجلس قيادة الثورة ثقافة ومعرفة مع معمر القذافي، وهو شخصية قيادية مميزة، وكان أكثر صلابة في مواجهة القذافي حين طلب أعضاء مجلس قيادة الثورة، من العقيد القذافي تنفيذ وعده بتسليم السلطة للمدنيين بعد نجاح الثورة.

يعترف عبد السلام جلود أن القذافي نجح في تشتيت بعض أعضاء المجلس، واستمالة البعض الآخر، ولم يبقَ معارضاً إلا هو وعمر المحيشي، لذا كان القذافي يخشاه كثيراً.

نجح المحيشي في تحويل غضبه ورفضه لسياسات القذافي باكراً، نسبياً، إلى تنظيم عسكري داخل الجيش الليبي، حتى استقطب أعداداً كبيرة من الضباط الذين بدأوا

يظهرون استياء من سلوكيات وغرائب العقيد، ووصل نفوذ المحيشي إلى مكتب معمر القذافي نفسه.

سعى عمر المحيشي لإزاحة معمر القذافي في انقلاب أبيض دون إراقة نقطة دم، وكان هذا السلوك الإنساني هو سبب فشل انقلاب المحيشي لأن معمر القذافي ذا الحس الأمني العالي، الشكاك، الذي لا يثق بأحد عرف بخطة المحيشي فأجهضها، فهرب المحيشي إلى تونس بعد فشل الانقلاب وسيطر معمر القذافي من جديد منتصراً على أخطر محاولة للتخلص منه سلبياً.

انتقل المحيشي من تونس إلى مصر وأمَّنت له القاهرة في عهد أنور السادات حماية ورعاية حين ساءت علاقة الرئيس المصري بالعقيد الليبي وساعدته على إنشاء إذاعة موجهة إلى ليبيا تحض الليبيين على الثورة ضد معمر القذافي.

لكن المحيشي أخطأ في حق نفسه... وليس في مواقفه السياسية والمبدئية عندما أصدر بياناً وهو في مصر ضد زيارة أنور السادات إلى القدس عام 1977 فعرض نفسه للانكشاف وبات مهدداً بالقتل من القذافي الذي حاول التخلص منه فعلاً أكثر من مرة، حتى اضطر المحيشي للهرب إلى المغرب للإقامة تحت حماية الملك الحسن الثاني وكانت علاقته سيئة بالقذافي نتيجة دعم العقيد لحركة البوليساريو الانفصالية ضد المغرب.

كان حقد معمر القذافي على عمر المحيشي يزداد غلاً وناراً كلما سمع عن لسانه شتيمة للقذافي، فيصفه المحيشي بأنه ابن اليهودية، فصمم العقيد على محاسبة المحيشي الحساب العسير، وهذا ما دفعه لأن يعقد صفقة مع الحسن الثاني بالتخلي عن جماعة البوليساريو مقابل تسليمه عمر المحيشي وقيل إن القذافي دفع للمغرب 200 مليون دولار مساعدة لتمويل مشاريع إنتاجية وخدماتية في البلاد.

أخذ الملك المغربي تعهداً من معمر القذافي قبل تسليمه المحيشي بأن لا يعدمه أو يقتله، مقنعاً إياه أن يبقيه تحت إقامة جبرية في طرابلس، تمنعه من أن يقوم بأي فعل معارض ضده، وكان المحيشي نفسه بدأ يعاني من مرض عصبي أثر كثيراً على مزاجه وتصرفاته بما جعله في حالة نفسية دائمة السوء. فوافق العقيد وترك التفاصيل لأجهزة أمنه لترتيب طريقة تسلمه عمر المحيشي مع أجهزة الاستخبارات المغربية.

ونترك الهوني يتابع الرواية المذهلة في تفاصيلها فيقول:

أوهمت الاستخبارات المغربية عمر المحيشي أنها وافقت على طلب والديه للذهاب معه إلى الحج، فركب الطائرة المغربية مع أهله وفي ظنه أنها متوجهة للأراضي المقدسة، فإذا بالطائرة تهبط في مطار طرابلس، وكان القذافي في استقباله ليساق المحيشي وسط الحراسة إلى قاعة جانبية في المطار الدولي، والقذافي يحاسبه، ومع أول كلمة نطق بها العقيد في وجه زميله السابق انهال عليه ضرباً ثم ركلاً برجليه وهو يصرخ به شاتماً ساباً... يا ابن الـ... أنت تقول إن والدتي يهودية وبعد أن أشبع نفسه شتائم، وأشبع جسد المحيشي الملقى أرضاً ركلاً وضرباً، أمر بإعدامه في المطار فتم تنفيذ حكم الإعدام، ثم دفن في مكان سري غير معروف... حتى اليوم.

عبد المنعم الهوني

هو من مدينة جنزور على تخوم طرابلس العاصمة وهو من عائلة كريمة، واسعة في الرزق، وهو من بيت من بيوتات ليبيا الراقية، وكان ذا سمعة طيبة رغم توليه أصعب المهمات الأمنية كمدير للأمن أولاً، ثم كوزير للداخلية خلال سنتي 1972- 1973 ثم أصبح وزيراً للخارجية، بعد أن تسلم الخويلدي الحميدي وزارة الداخلية، وظل الهوني وزيراً للخارجية إلى أن حصلت محاولة انقلاب عمر المحيشي، وكان الهوني يومها في روما، وسمع أن القذافي يتهمه بالضلوع في تلك المؤامرة، فعاد إلى مصر، بادئاً مرحلة طويلة من المعارضة ضد نظام معمر القذافي.

حاول القذافي طويلاً إعادة الهوني إلى ليبيا بأي طريقة، وبكل الوسائل بين التهديد والترغيب، حاول خطفه عدة مرات، لكن وعي الهوني الأمني بحكم الممارسة، فوّت على القذافي وأجهزته فرصة اختطافه. كما كان لموقف السلطات المصرية في حماية الرجل الأثر الأهم في نجاته من كل محاولات العقيد.

ومع هذا... كان القذافي حريصاً في زياراته العديدة إلى مصر سواء في عهد أنور السادات، أو في عهد حسني مبارك على لقاء زميله السابق عبد المنعم الهوني، ساعياً معه في كل مرة لتليين موقفه بدعوته للعودة إلى بلاده، وعمل ما يريد دون ملاحقة أو عقاب.

كان الهوني يرفض دائماً لأنه كان يعرف حقد القذافي على من يعارضه.

المرة الوحيدة التي نجح فيها القذافي في جذب الهوني للعمل مع نظامه،كانت عندما عرض عليه تسلم مسؤولية مندوب ليبيا لدى جامعة الدول العربية.

الهوني استشار قبل قبوله هذا المنصب زوجه وأولاده (ثلاثة صبيان، اثنان منهما يعملان في بريطانيا، والثالث يعمل في دولة الإمارات وثلاث فتيات متزوجات).

وافقت عائلة الهوني على عمله مندوباً لليبيا في جامعة الدول العربية، وكان الهوني قبل ذلك وخلال هذه المسؤولية حريصاً على متابعة شؤون بلاده بالتفصيل الدقيق، من خلال اتصالاته التي لم تنقطع عن كل صاحب رأي حر مستقل، وأي زائر ليبي لمصر أو لبريطانيا أو لإيطاليا أو لفرنسا موثوق ودقيق.

وكان الهوني يرى في حضوره في جامعة الدول العربية حصانة يحتاجها بعد طول إقامة في مصر، فضلاً عن متابعته شؤون العرب التي كانت تشكل هماً شديداً عنده.

حرص الهوني عندما كان مندوباً لليبيا لدى جامعة الدول العربية أن يحضر الاجتماعات التي لا يكون فيها للقذافي مطالب وآراء ومواقف سياسية لا يوافق الهوني عليها، وإذا تلقى من طرابلس تعليمات كان يراها لا تتناسب مع أفكاره وسياسته وسلوكه، كان يتغيب مرسلاً أحد مساعديه لهذه الاجتماعات.

أخيراً الهوني في ليبيا

بعد انقطاع دام نحو ثلاثة عقود عاد عبد المنعم الهوني كزائر للقاء معمر القذافي بضمانة من العقيد مباشرة، وفق قاعدة أن ضمانة العقيد وحدها تحمي من يأتي إلى ليبيا، بدعوة منه لو كان معارضاً، أما من يأتي عن طريق أي جهاز أمني، فإن أي جهاز أمني آخر غير الداعي يمكن أن يعتقل أو يقتل أو يخطف المعارض العائد.

الهوني وجلود

بعد تكرار ذهابه إلى ليبيا حرص عبد المنعم الهوني على لقاء زميله القديم في مجلس قيادة الثورة الليبية الرائد عبد السلام جلود الذي كان يوصف من أجهزة الإعلام بأنه الرجل الثاني في النظام الليبي.

كان الهوني يتهاتف دائماً مع جلود عندما كان الأخير يغادر ليبيا إلى أي بلد أوروبي خاصة فرنسا وبريطانيا ويبقى على تواصل معه ليطلع على أخبار ليبيا والقذافي وما تفعله الأجهزة الأمنية وما يسمى باللجان الثورية للشعب الليبي وثروته ومصالحه وكل رأي

معارض للنظام. في ليبيا حرص الهوني على لقاء جلود فاستأذن القذافي في ذلك فلم يمانع العقيد.

اتصل الهوني بجلود محدداً معه موعداً للغداء عنده، وقبل أن يذهب الهوني سلمه أحد ضباط الأجهزة الأمنية هاتفاً خلوياً لكي يساعده على الاتصال ويقول للهوني إنه رغم عمله السابق في أجهزة الأمن، إلا أنه لم يكن قد وصل إلى مسامعه إمكانية تحديد مكانه من خلال جهاز الخلوي هذا، وأيضاً التنصت على كل كلمة تقال في محيط هذا الجهاز.

في جلسة مع جلود استغرقت 3 ساعات كان جلود يصب خلالها جام غضبه ونقده اللاذع على معمر القذافي ونظامه وأجهزته الأمنية وعائلته وكل من حول القذافي ويتحدث عن مآسي الشعب الليبي والسرقات والفساد والتعديات التي يمارسها رجال القذافي وعائلته وقبيلته.

وما أن انتهت الجلسة وعاد الهوني إلى منزله في طرابلس حتى جاءه ضباط أمن يطلبون منه تقريراً عما سمعه من جلود قائلين له لقد سمعنا كل شيء، فاستنكر الهوني هذا الأمر وقال لهم: «إنني لست مخبراً عندكم» وهو يدرك أن هذه الرسالة من الاستخبارات أننا نعرف كل شيء يجري في البلد.

وقد آثر الهوني بعدها أن لا يلتقي مباشرة مع جلود، بل كان يتعمد أن يعرف أين يسهر جلود عند أي صديق أو زميل مشترك ليذهب ويلاقيه هناك.

والهوني كان أول مسؤول ليبي يعلن انشقاقه عن نظام القذافي وتأييده لثورة 17 فبراير 2011، بل ودعا القذافي للاستقالة وتسليم السلطة خلال فترة انتقالية لزميله اللواء أبو بكر يونس تمهيداً لإجراء انتخابات تسمح بتسليم السلطة إلى المدنيين فعلاً في ليبيا.

عبد السلام جلود

من مواليد 1942، في سبها، وشهادة ميلاده تشير إلى أنه من بلدة مزدة. كان شقيقه سالم يتكفل بإطعامه ومعمر القذافي (ورد ذكره في مكان آخر) فقد كان الاثنان من المعدمين مادياً.

ترافق جلود مع القذافي في سبها بعد عودة معمر من سرت حيث حاول الدراسة (كما ورد في مكان آخر) كما ورد عن كيفية توفير لقمة العيش من مساعدات الآخرين.

حتى انتهاء مرحلة دراستهما الإعدادية، فقرر معمر الانتساب إلى الكلية الحربية ليتخرج ضابطاً، لا يكتفي بتغيير وضعه الاجتماعي، بل وبتغيير وجه ليبيا كلها... مقنعاً زميله عبد السلام بالدخول معه إلى الكلية نفسها، رغم أن جلود كان يرغب في الحياة المدنية التي تتناسب مع سلوكياته ومزاجه. لم تكن الكلية العسكرية يومها تشترط بالمتقدم أن يكون حائزاً الشهادة الثانوية فتقدم معمر وجلود بشهاديتهما الإعدادية وفي حين نجح معمر القذافي في امتحان الدخول إلى الكلية العسكرية الليبية، فإن عبد السلام جلود فشل ولم تقبل أوراقه، لرسوبه في الفحص الطبي، فصمم على التوجه إلى كلية جامعية كي يتابع دراسته ليتخرج في أي قسم توفر له شهادته فيه عملاً مناسباً.

أقنع معمر القذافي ثانية جلود بالمحاولة من جديد وطلب منه تسليمه أوراقه لعمل واسطة تفتح له طريق الكلية الحربية ثم اصطحبه إلى موظف ما زال على قيد الحياة ليعلن له أن عبد السلام فشل في الكشف الطبي ونريد تمريره في امتحان الكلية العسكرية، وفي اليوم التالي نجح عبد السلام بما دفع المعارضة الليبية لاعتبار القذافي عميلاً في وقت مبكر للاستخبارات الأجنبية. كان جلود من أقرب المقربين للقذافي، حتى بعد قيام الثورة ولعشرين سنة تلت تقريباً، كان الوحيد القادر على مجابهته ومعارضته، فيلحق به معمر ليقول له: لقد أتينا معاً، إما أن نبقى معاً أو أن نرحل معاً، فكان يستدر عطف جلود الموصوف بعواطفه الإنسانية، فيعود عن قراره.

كان جلود زميلاً للقذافي منذ العام 1956، وشكلا معاً الخلايا الأولى للعمل السياسي المعارض للنظام الملكي المؤيد لجمال عبد الناصر القادم بطلاً بعد صموده في وجه عدوان بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في العام نفسه، والعامل على إقامة الوحدة العربية بالجمهورية العربية المتحدة من مصر وسوريا عام 1958، والاثنان معمر وعبد السلام خاطا علماً للجمهورية الوحدوية من قماش انتزعوه من ملابسهما ومن ملابس أخرى قديمة ليرفعوه تأييداً للوحدة العربية وهم طلاب ناصريون وحدويون، فطردوا من المدرسة إلى حين.

كتب الشابان اليافعان قصة الثورة من على مقهى الأخضر في حديقة البلدية في طرابلس (فهل لاختيار اللون الأخضر كتابا وعلماً ورمزاً دائماً وكل شيء في جماهيرية القذافي علاقة بذكريات الأحرف الأولى للثورة في ذلك المقهى؟).

بعد نجاح الثورة وبروز اسم معمر القذافي قائداً لها قيل إن الرجل الثاني في ليبيا

هو عبد السلام جلود، وفيما بعد وعندما سئل جلود عن هذه الصفة كرجل ثانٍ ردَّ باسماً بل أنا رجل أول مكرر.

تسلم جلود رئاسة الوزراء بعد استقرار الأوضاع في ليبيا، وكان رئيس الجمهورية العربية الليبية لدورتين متتاليتين من العام 1969 حتى العام 1977 هو معمر القذافي نفسه، بعد أن رفع رتبته من ملازم أول إلى رتبة عقيد. تقاسم جلود الأدوار مع القذافي، واتفقا على كثير من القضايا، لكن جلود يعترف بأنه وكل أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا يريدون تسليم السلطة للمدنيين، وكان الوحيد الذي يعارض هو معمر القذافي. وكانت حجته دائماً أن الشعب الليبي غير مهيأ بعد للديمقراطية والحكم المدني. كان العقيد يقول لهم إذا قلنا أننا سنسلم السلطة للمدنيين فإن مئات الضباط الذين وقفوا معنا بعد الثورة سيتخلون عنا، لأن الثورة جاءت لهم بالمغانم والمصالح وقد اعتادوا عليها. ومن المستحيل أن يتخلوا عنها، وقد ينقلبون علينا ويتسلموا هم السلطة فنخسر نحن مواقعنا ويقوم هؤلاء بالإساءة للشعب. كان بعض أعضاء المجلس يقتنع والبعض الآخر يسكت... وحده عمر المحيشي ظل معترضاً صلباً كما أكد عبد السلام جلود.

وكلما كان الضغط يزداد على القذافي بتنفيذ تعهدهم بتسليم السلطة للمدنيين، كان القذافي يهدد بالاستقالة، فيتراجع الرفاق عن مطالبتهم، إلى أن جاء وقت هدد فيه القذافي بالاستقالة، فقاد جلود وزميله عبد المنعم الهوني حملة لقبول استقالة القذافي وتسليم السلطة لزميلهم أبو بكر يونس، لأن الجميع يثق بقدراته ورغبته في تسليم السلطة للمدنيين. وكانت هذه الواقعة حصلت عام 1973. لكن القذافي فاجأهم بأنه سيقدم استقالته إلى الجماهير، وليس إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة.

لماذا؟؟

لأن القذافي كان يعتبر نفسه قائداً للثورة، وهو الذي شكل الضباط الأحرار من عشرات الضباط... ثم انتقى منهم 11 ضابطاً إلى جانبه متمثلاً – كما ذكر في مكان آخر من هذا الكتاب – بتنظيم الضباط الأحرار في مصر بقيادة جمال عبد الناصر.

قال القذافي لأعضاء مجلس قيادة الثورة، إن شعبيته وشرعيته مستمدة من الناس وإنه سيعلن استقالته أمامها، فردوا جميعاً: إذن... فليكن.

كانت مناورة ذكية منه أن يقبل هذا التحدي، فقد عمل بعد ذلك على الاتصال

بالأعضاء واحداً بعد الآخر ليستميلهم مذكراً إياهم بماضي الأيام معهم وبالمستقبل الموعود لبعضهم.

وكان الموقف الحاسم لمصلحة العقيد حين خاطب قلب أبو بكر يونس، قائلاً له إنهم يريدون الإيقاع بيني وبينك، فتراجع أبو بكر عن مطلبه مع زملائه، وأكد أمامهم تمسكه بالعقيد... بعدها مال جلود إلى العقيد ولم يظل على موقفه الرافض إلا عمر المحيشي.

وقبل أن نتابع خطة العقيد التي باعدت بينه وبين زملائه نتابع مع جلود مواقفه المتباعدة مع القذافي.

خطة من جلود وإجهاض من القذافي

لم يوقف عبد السلام جلود اعتراضاته على سياسات الدولة في عهد العقيد نتيجة أفكاره التي قوضت التعليم، وأهملت الخدمات وأدت إلى سوء أوضاع الصحة، وترهل الإدارة وعشعشت الفساد في الإدارة.

سعى القذافي لاستيعاب تمرد وتساؤلات جلود، فقال له: تفضل أنت شريكي في العمل هات لي خطة وأنا على استعداد لتنفيذها...

صدق جلود أكذوبة القذافي فشكل لجاناً متخصصة لكل قطاع، وأنشأ لجنة عليا للتنسيق بين هذه اللجان ضمت عبد القادر البغدادي، عمر الحامدي (الذي كان أميناً عاماً لمؤتمر الشعب العربي) ومحمد أبو القاسم الزوي.

وشكّل لجاناً متخصصة يرأسها أبرز رجال ليبيا كل في حقله.

فكان مقرر اللجنة الإعلامية، نوري ضو الحميدي، وكان مقرر لجنة الشؤون الاجتماعية د. عبد الحميد الصيد الزنتاني، وكان مقرر لجنة الشباب والرياضة المرحوم عبد اللطيف بوكر وكان مقرر لجنة الثقافة د. أحمد إبراهيم الفقيه.

وشكلت لجان اقتصادية وإدارية من المتخصصين، وراجع الخطة بعد إعدادها المرحوم صادق النيهوم.

تسلم جلود الخطة، وقال بعد مراجعتها، هذه خطتي وسأعمل على تنفيذها، فإذا نجحت أكملت، وإذا فشلت فسأعود إلى مصيفي البلدي (بلدته) للرياضة والسباحة.

فما الذي حصل؟

يشرح جلود الذي حصل معه فيقول أن العقيد أجهض الخطة، حيث دسّها مع عشرات الخطط التي كلف جماعاته الأمنية واللجان المختلفة بوضعها لتقديمها في وقت واحد مع الخطة التي وضعها لجلود رجال متخصصون كل في مجاله.

وطبعاً أجهضت خطة جلود، أو ضاعت بين مجموعة الخطط المفبركة والمفتعلة... ولم يستوعب جلود خطة القذافي لدفعه إلى العزلة، حين قال له وهو يقدم له جهده... لست أنا أو أنت من نقرر هذا الأمر... بل المؤتمرات الشعبية، وكان القصد وراء كل هذا أن يجعل جلود في مواجهة هذه المؤتمرات في زعم من العقيد أنه رأي الشعب.

أدرك جلود أنه لا فائدة من الاستمرار مع القذافي فآثر الانسحاب والعزلة، وكلما كان أحدهم يسأله كيف وأنت الرجل الأول مكرر مع القائد تترك موقعك كان يجيب، لست لا أولاً ولا ثانياً ولا ثالثاً... أنا لست رجلاً بكّل (وهو تعبير ليبي بحت).

كان عبد السلام جلود يتعامل مع العالم بذهن مفتوح، وهذا ما دفعه للتنبه باكراً إلى أن الطريق التي تسير به ليبيا مسدود ولن يوصل إلى أي نتيجة.

كان جلود خلال رئاسته للوزراء في ليبيا، يتصرف كمسؤول تنفيذي مهتم بالإدارة والقضاء والخدمات والجميع يعرف أن الثورة قامت في ليبيا، قبل أن تنشأ مؤسسات حقيقية في هذه المجالات، ولم يكن مضى على توحيد الدولة، أكثر من خمس سنوات، ولم تكن الإمكانات المادية المتوفرة من اكتشاف النفط في البلاد تسمح بنهضة خاصة حقيقية، وتصاعدت الثروة المالية مع الثورة وبعدها خاصة بعد أن سعت الثورة لامتلاك ثروات ومقدرات البلاد.

كانت مشاعر وسياسة جلود القومية خاصة في الموضوع الفلسطيني صادقة، ولا تحتمل المراوغة أو المساومة. لذا فهو كان اعترض على معمر القذافي لاستقباله صهيونياً من أصل ليبي اسمه نمرود، معتبراً ذلك - مصالحة مع العدو الصهيوني تحت ستار استقبال مواطن ليبي في الأصل.

اعترض جلود على إرسال القذافي لوفد استخباراتي إلى الكيان الصهيوني (بزعم أنه ذهب إلى الحج في القدس بعد زعم آخر بأن السعودية منعت الحج عن الليبيين، وهو يقصد محاولة فك العزلة عن ليبيا إثر الحصار الذي فرض عليها لدورها في إسقاط طائرة

بان أميركان فوق لوكوربي في اسكتلندا عام 1988).

وكان جلود رفض مصافحة محمد أبو القاسم الزوي (وزير إعلام سابق وداخلية سابق وهو أمين مؤتمر الشعب العام حتى قيام ثورة 17 فبراير، أي كان رئيس السلطة الشرعية في الجماهيرية) لأنه صافح الصهيوني نمرود.

لم يكن جلود وحده راغباً في الرحيل بعد كل هذا، بل أن القذافي كان يفعل كل ما من شأنه دفع الرجل الأول مكرر لسنوات عديدة سابقة لهذا الأمر، فأولاده وخاصة سيف الإسلام، الذي يراه العقيد صورة مكتملة عنه بلغ سن الـ25 وهو سن يسمح له بأن يبدأ بتسلم مسؤوليات الرجل الأول مكرر أو في أسوأ الحالات مهمات الرجل الثاني مكان رفيقه القديم.

كان جلود يراقب كيف يدفع القذافي رفاقه القدامى نحو الظل، وكيف بدأت الأنوار تسلط على أكبر أبنائه ثم تتابع الأضواء تتلألأ على أولاد العقيد واحداً بعد الآخر، فهذا الساعدي وهذا المعتصم وهذا هنيبعل...

في هذا الوقت كان القذافي يدفع جلود إلى الحائط... أو إلى الخروج.

قصة المقر

كان مقر عبد السلام جلود الرسمي في قصر الشعب، وهو القصر الملكي السابق في طرابلس، فإذا بالقذافي يسلم قصر الشعب ليكون مكتباً لجامعة الدول العربية في ليبيا، ثم نقل مكتب عبد السلام جلود إلى مقر آخر في طرابلس أقل أهمية في إشارة إلى تراجع أهمية جلود نفسه. فانزوى في منزله يلوم معمر على كل ما حصل في ليبيا.

ظل جلود ينتقد القذافي أمام كل زواره، إلى أن حصل تطوران مهمان دفعاه للتراجع عن هذا النقد المشوب بالمرارة.

الأمر الأول: أدرك جلود أن معمر سحب البساط من تحت رجليه داخل قبيلته «المقارحة» حيث استطاع القذافي أن يشتري وجهاء القبيلة والفاعلين فيها بالمال وتوظيف الرجال وتوسيع المناصب وإعطائهم البيوت والأراضي وتقريبهم من مراكز النفوذ والثروة. فبات القذافي داخل قبيلة جلود أقوى من جلود نفسه.

الأمر الثاني: هو أن القذافي استمع إلى كل ما يريده عبد السلام جلود من مال وحراسات وبيوت وسفر وجاه وفّر له كل ما يريد فبات عبد السلام جلود مدجناً دون

تأثير يذكر داخل ليبيا. ولو أن جلود تحرك ضد القذافي منذ لحظة الافتراق لكان له أثر كبير هز سلطة القذافي لأنه كان ما يزال قوياً في قبيلته المقارحة وكان أمامه حافز شخصي وسياسي للتحرك وكان سيجد تأييداً كبيراً من عدد كبير من الليبيين.

أما وقد ابتعد به الأمر كثيراً فقد خسر الفرصة ولم يعد له أي تأثير ولا حافز ولا الحماس.

جلود اليوم

عندما تبلّغ جلود نبأ تخلي الرئيس حسني مبارك عن السلطة في 11/ 2/ 2011، أي قبل أيام قليلة فقط من بدء الثورة الشعبية في ليبيا ضد زميله معمر القذافي، قال: لقد أزيح اليوم عدوي الأول حسني مبارك، فقد كان الرئيس المصري يوغر صدر معمر القذافي ضدي، وكان يقول له بحضوري... احذر هذا الرجل... لأنه سيخرب بيتك!!

وعندما نشرت جريدة أويا (الاسم القديم لطرابلس) وهي تابعة لسيف الإسلام القذافي افتتاحية بأن القائد (القذافي) لديه خطة للاستعانة ببعض زملائه القدامى، ويمكن تكليف رفيقه عبد السلام جلود بتشكيل حكومة جديدة تخلف التركيبة الحالية، ويكون الخويلدي الحميدي وزيراً للداخلية ويتسلم اللواء أبو بكر يونس قيادة الجيش الفعلية. سئل جلود إن كان قد سمع عن هذه الافتتاحية أو قرأها فرد: لا شفتها ولا أريد أن أراها أو أقرأها. إنها خطة من معمر القذافي ليستخدمني ضد ابنه، مهدداً إياه إذا استمريت بلعبك فلديّ أصدقائي القدامى، أعيدهم لنشكل ثورة جديدة ضد أفكارك.

وعندما أصبح الثوار على أبواب طرابلس الغرب، كان جلود يعلن من روما انشقاقه عن القذافي نهائياً، بعد أن استطاع الهرب من حصار على منزله استمر سنوات. ومن روما توجّه جلود إلى الدوحة ليدلي بحديث إلى محطتها الدولية (الجزيرة) أكد فيه هوس معمر القذافي بالسلطة وأنه سيقاتل لأجلها حتى الموت. وهذا ما حصل لمعمر..

كيف تخلص معمر من أعضاء مجلس قيادة الثورة؟

تكاثرت الاعتراضات داخل مجلس قيادة الثورة من أغلبية ضباطه على سلوكيات وتصريحات وسياسات معمر القذافي، وكان في كل مرة يعلم رفاقه أمام الاحتجاجات أنه مستقيل وأن عليهم اختيار بديل له منهم.

كان كثيرون يتراجعون أمام تهديده بالاستقالة، وفاء منهم لدوره الأساسي في الثورة، وحرصاً على استمرار المسيرة، وحتى لا يخرج أمام الناس أنهم منقسمون أو مختلفون.

إلى أن كان موعد الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف عام 1973، وكالعادة هدّد القذافي بالاستقالة بعد أن أظهر عدد من الضباط اعتراضهم على سياسته.

لم يتوقع القذافي أن يبادر صديقاه عبد السلام جلود، وعبد المنعم الهوني لمطالبته بالاستقالة فعلاً وأن يسلم القيادة للعميد أبو بكر يونس. ظنَّ الأعضاء أن الأمر قد قضي وارتضى القذافي بالاستقالة، لكنه فاجأهم بالموقف الحاسم بقوله: شرعيتي من شعبيتي ومن الناس، وأنا سأعلن استقالتي أمام الناس... فردّد بعضهم بحسم أكثر وضوحاً... فليكن ونحن بالانتظار.

لم يضع القذافي الوقت سدى، بل أدّى لعبته المشهورة، فرِّق تسد. فاتصل أولاً بأبي بكر يونس وهو ضابط مخلص وصادق ولا يريد أي تفرقة بين الأخوة. فأكد أنه مع معمر القذافي مهما كان الأمر.

ثم اتصل العقيد بالأعضاء واحداً واحداً ما عدا الهوني وجلود وعمر المحيشي، وحيّدهم أو استمالهم بمعزل عن المعترضين المنتظرين لاستقالته العلنية أمام الجماهير.

المفاجأة

وقف العقيد أمام الجماهير بعد 4 سنوات من الثورة لتتعامل معه الناس بصفته قائداً للثورة، وهو الخطيب البارع الأكثر قدرة على الخطابة ودغدغة عواطف المستمعين.

اختار معمر القذافي مدينة زوارة على الحدود مع تونس، مخاطباً إياهم بصفتهم «أهل الصفاء والمروءة، بعيداً عن جو المدن الملأى بالجواسيس والمؤامرات، لأقول لكم إنني أريد من هنا من زوارة أن أعلن الثورة الشعبية».

ووسط حماس الجماهير، التي يقول بعض أعضاء المجلس، إنه دسّ بينها أناساً محسوبين عليه، أعلن معمر القذافي النقاط الخمس التي كانت المقدمات الأولى لما وصل إليه من طرح الثورة الشعبية وعصر الجماهير والجماهيرية...

وتحت عنوان أن تكون التوجيهات الصادرة عن قائد الثورة ملزمة التنفيذ حدد القذافي نقاطه الخمس كما يلي:

1- تعطيل كل القوانين المعمول بها في الجمهورية العربية الليبية، واستمرار العمل الثوري لتصبح كلمته هي البديل عن أي قانون.

كان أعضاء مجلس الثورة يواجهون جنون معمر القذافي بالقوانين، فعمل على إلغاء العمل بها، فهي التي تحدد كيفية التعامل مع الناس وسجنها دون محكمة ودون قانون، ويريد تحريك الإدارة وفق أهوائه، وكان يريد تعيين أساتذة الجامعات ووفق مزاجه أو عقد الصفقات دون مناقصات أو مزايدات ويريد الإمساك بالعلاقات الاقتصادية والتقارير المالية دون أن يلتزم بأي قانون.

أصبحت كلمة القذافي هي القانون، وكل من يطالب بتطبيق القوانين الأخرى هو رجعي وخائن...

استنفر القذافي المزايدين والمنافقين في كل قطاع كي يدافعوا عن إجراءاته «الثورية»، وألّف بعضهم الأغاني والأناشيد والهتافات المشجعة والمروجة ومنها: دوس على الرجعي والخاين...

2- الحرية... كل الحرية للشعب، ولا حرية لأعداء الشعب، وكان الشعب هو القذافي وحده، وهو الذي يحدد من هم أعداء الشعب، ومن هم معه، وكانت هذه غاية القذافي بالتخلص من كل من عارضه أو خاصمه أو من كان معترضاً على فكرة أو سياسة أو حتى سلوكياته الشخصية.

3- لا مكان في مجتمع الثورة للمرضى فكرياً، وبات كل معارض للقذافي مريضاً يجب التخلص منه، سواء كان من العهد الملكي، أو في عهد ثورة الفاتح.

4- أطلق القذافي معركته الثقافية على غرار الثورة الثقافية في الصين التي قام بها ما بات يعرف باسم عصابة الأربعة ومنهم زوج قائد ثورتها ماوتسي تونغ.

في ثورة القذافي الثقافية نظمت محارق للكتب، من كل اتجاه سواء من كتب السياسة والفكر والاقتصاد، أو كتب الحب والغزل شعراً أو نثراً وحتى كتب الاجتماع.

شمل حرق الكتب المدارس والمكتبات والجامعات.

5- المعركة الإدارية: هنا قالها القذافي للجماهير المتحمسة: اذهبوا وازحفوا إلى أي مدير واحتلوا مكانه وشكلوا لجاناً شعبية لإدارة مؤسسات الدولة.

وفي هجمات بدا أنها مدبرة سابقاً، زحف الجمهور في كل إدارة على قياداتها، وزحف الممرضون على إدارات المستشفيات وخلعوا الأطباء والمختصين (الذين هاجر قسم كبير منهم فيما بعد إلى الخارج) وتسلم الغوغائيون مقاليد الأمور لتعم الفوضى في كل أرجاء ليبيا بعد هذا التاريخ، وليبدأ إلغاء الدولة فعلياً في جماهيرية القذافي ليبدأ عصر الجماهير... وانتهاء عصر مجلس الثورة... ومع أن أعضاء مجلس قيادة الثورة رفضوا جميعاً هذه الهمجية إلا أن وحده عمر المحيشي صلباً عنيداً، قرر مواجهة القذافي فكانت محاولة العام 1975 التي جاء ذكرها في هذا الكتاب.

كيف تركتم القذافي يسرق منكم ثورتكم؟

كثر هم الليبيون - وعرب آخرون - الذين تتسارع الأسئلة على ألسنتهم كلما جرى حديث عن سلوكيات معمر القذافي، وقدرته على الانفراد بحكم ليبيا لمدة 41 سنة وأكثر. أين هم الضباط الأحرار أين هم أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين خرجوا فجر الفاتح من سبتمبر للقضاء على الحكم الملكي وإقامة حكم جمهوري؟ كيف سمحوا لمعمر القذافي وحده أن يكون هو سيد ليبيا، دون مؤسسات أو دستور أو قوانين أو رجال آخرين أو موانع أو روادع؟ لماذا لم يفعلوا ما يمنعه من هذا التحكم الغريب أو المثير للدهشة بأمور البلاد وحده؟ كيف سمحوا له أن يقصيهم واحداً واحداً عن أي دور سياسي إلا أن يكونوا ملحقين به؟ ثم كيف ارتضوا أن يستبدل أولاده بهم؟ وكيف ولماذا سكتوا عن جرائمه الغريبة ضد الشعب بأكمله؟ وكيف لم نسمع أحداً توجه له بنصيحة بالتوقف عن تصريحاته ومواقفه وسلوكياته التي تثير السخرية والاحتقار. وآثار ذلك على دولة بحكومتها وشعب يمثلونه؟ كيف سمحوا له بهذا العبث بأقدار ملايين، وتبديد ثروات خيالية من حق مجتمع وأجيال سابقة وحالية ولاحقة في تفاهات ومؤتمرات ونزق شباب أولاده... وحتى هو شخصياً؟

لماذا لم يتحرك أحد منهم لوقفه عند حده قبل أن يتمكن؟ بل كيف تمكن أن يقصيهم واحداً تلو الآخر وأن يستتبع بعضهم، وأن يتخلص من الآخرين؟

أسئلة عديدة ما زالت تطرح بشرعية حب ليبيا وشعبها بلداً عربياً وشعباً مظلوماً، لم تجد من يستحق أن تحمل إليه للحصول منه على إجابة إلا الرجل الوحيد الذي ما زال من أعضاء مجلس قيادة الثورة قابضاً على الجمر.

إنه عبد المنعم الهوني، يمثل حالة فريدة من الرجال الذين قاموا بالثورة يوم 1/ 9/ 1969.

فأعضاء المجلس انقسموا إلى ثلاث فئات حقيقية:

الفئة الأولى: هي من تمكن معمر القذافي من دفعها للذهاب إلى بيوتها، وهم محمد نجم، عوض حمزة، مختار القروي، بشير الهوادي... وأخيراً عبد السلام جلود.

الفئة الثانية: هي من استتبعها معمر القذافي حتى بدت كظله أو في أحسن الحالات خيال مآتة أو ما نقول له في لبنان خيال صحراء وهي القماشة التي تلبس خشباً مصلوباً يحركه الهواء ليخيف العصافير... ولا تمثل وجوداً حياً أبداً وهؤلاء هم أبو بكر يونس جابر، والخويلدي الحميدي ومصطفى الخروبي.

الفئة الثالثة: مشكلة من ثلاث شخصيات اثنان منهم قتلا هما محمد المقريف وعمر المحيشي، والشخص الثالث القابض على الجمر هو عبد المنعم الهوني.

ولأن الهوني هو الرجل الوحيد المقاتل ومنذ أكثر من ثلث قرن ضد معمر القذافي، فقد شكّل ضمير الفاتح الحي موصولاً بثورة السابع عشر من فبراير 2011 التي انطلقت للتخلص من هذا الطاغية معمر القذافي مع فارق جوهري أن ثورة الفاتح جاءت عسكرية أيدها الشعب الليبي بلا شك، وأن ثورة السابع عشر من شباط فجرها الشعب الليبي... وهو قاوم عسكرياً بعد أن فرض القذافي عليها القتال بكتائب مدججة بالسلاح يقودها أولاده ومرتزقة جاء بهم من بلاد مختلفة في العالم.

عبد المنعم الهوني من ثوار الفاتح الوحيدين في ثورة 17 شباط وهو أول من أيّد الثورة بعد قيامها واستقال من رئاسة مندوبية ليبيا في الجامعة العربية... معه نتحدث ونستمع إلى أجوبته على الأسئلة العديدة التي يطرحها الليبيون والعرب فيقول: بعد اجتماع رباعي ضمّنا نحن الأربعة القذافي - عبد السلام - أبو بكر - وعبد المنعم الهوني شكّل معمر القذافي مجلس قيادة الثورة على دفعتين من 12 عضواً، الدفعة الأولى ضمّتنا مع خمسة آخرين هم عوض حمزة، مختار القروي، محمد نجم، مصطفى الخروبي، والخويلدي الحميدي، ثم أضاف إلينا ثلاثة آخرين هم عمر المحيشي، بشير الهوادي ومحمد المقريف.

قصة الرقم 12

ولهذا الرقم 12 قصة تروى، فقد كان معنا عضو آخر هو سالم صعود بو وصير ليصبح عددنا 13 ولأن معمر القذافي - مثلنا - كان شديد التأثر بجمال عبد الناصر - فإنه أراد أن يكون عدد أعضاء المجلس كما عدد أعضاء مجلس قيادة ثورة 23 يوليو في مصر اثني عشر إضافة إلى أنه قال لنا إن الرقم 13 كان رقم شؤم لا يحبه الليبيون.

عام 1968 أدت المصادفة دورها الإيجابي حين تم نقل سالم بو وصير من بني غازي إلى طرابلس مما دفعه لقطع صلته بنا، رغم أنه كان خامس ضابط في تشكيلة المجلس التي أشرت إليها، ولم يفش سالم بسرنا ولم يتكلم، وعندما قامت الثورة دخل سلاح الدفاع الجوي وظل فيه حتى تقاعد.

كنا أقسمنا كأعضاء مجلس قيادة الثورة، أن ندير البلاد سياسياً لمدة سنتين فقط نعتبرها بمثابة مرحلة انتقالية... نمهد من خلالها لوضع دستور جديد للبلاد، يوزع في مواد السلطات ونفصل بينها ونعتمد تجربة جمال عبد الناصر في مصر، قيام تنظيم سياسي جماهيري وتجري انتخابات ديمقراطية تنشئ مجلس نواب يختار حكومة، وينتخب، رئيس جمهورية سواء عبر المجلس أو عبر انتخابات شعبية، وتتيح حياة ديمقراطية سليمة ونعود نحن الضباط إلى ثكناتنا، أما من يريد الاستمرار في العمل السياسي فعليه أن يخلع بذلته العسكرية، وينغمس في السياسة مدنياً، وكنا قررنا كذلك أن يرشح معمر نفسه للرئاسة لينتخب رئيساً لفترة يحددها الدستور.

بعد أقل من ثلاثة أشهر على نجاح الثورة في 1/ 9/ 1969 وتحديداً ليل 24/ 12/ 1969 واجهتنا حركة وزيري الدفاع آدم حواس والداخلية موسى أحمد فاضطررنا لمد الفترة الانتقالية إلى خمس سنوات (راجع تفاصيل هذه الحركة في مكان آخر من هذا الكتاب).

عام 1970 جاءنا الرائد محمد نجم وكان وزيراً للخارجية وطالبنا بأن نلغي مد الفترة الانتقالية من خمس سنوات وإعادتها سنتين كما كنا اتفقنا قبل قيام الثورة قائلاً لنا: يجب أن تكون حركة حواس وموسى دافعاً لنا لكي نعجل بقيام المؤسسات الدستورية، وأن نقنن الثورة، حتى لا نفاجأ كل فترة بحركة انقلابية تجهض كل شيء، ونحن مشغولون بالحكم، بل يجب أن نعود إلى الجيش لنمسك زمام الأمن ونترك الحكم للمدنيين.

أول اصطدام بمعمر عام 1970

اصطدم محمد نجم بالقذافي والذين أيدوه وهم الأغلبية بعد أن قال القذافي إننا قمنا بالثورة وضحينا ولن نسلمها لمن لا يستحقونها. كان أعلن عن وفاة الرئيس الفرنسي شارل ديغول في نوفمبر 1970 وطلب القذافي ذهاب محمد نجم كوزير للخارجية على رأس وفد للتعزية به في باريس فرفض نجم هذا التكليف قائلاً لن أذهب إلى أي مكان إلى أن نبتّ مسألة إعادة المرحلة الانتقالية إلى سنتين كما اتفقنا أول الأمر.

بعد الاجتماع العاصف الذي بدا فيه أن النقاش اقتصر على وجهتي نظر مثلهما نجم والقذافي جال نجم علينا وقال لنا: انتبهوا إن بقاء الفترة الانتقالية لخمس سنوات ستتيح للقذافي أن يسيطر على البلاد... وحقيقة الأمر أن هذا أخطر ما قاله محمد نجم قبل أن يتركنا ويقدم استقالته ويجلس في منزله باكراً جداً.

كنا اتفقنا قبل الثورة أيضاً على أن أي خلاف بين أي عضو وبقية أعضاء مجلس قيادة الثورة يطرح داخل اجتماعات المجلس، فإما يحل الخلاف أو أنّ من لا يجد في نفسه القدرة على الاستمرار، يقدم استقالته ويعود إلى منزله أو إلى قطعته العسكرية مع قسم حاسم بألاّ يقوم بأي عمل عسكري أو انقلابي أو تحريضي.

صحيح أن النقاش كان حاداً بين نجم والقذافي ومن أيّده، لكننا انتهينا إلى اعتماد بقاء الفترة الانتقالية بخمس سنوات كما عدّلناها بعد الحركة الشهيرة ضدها ولم تؤثر استقالة نجم في مسارنا... لكنها دقت ناقوس الخطر باكراً... دون أن ينتبه الأمر...

كان خروج محمد نجم من مجلس قيادة الثورة بداية التفسخ والابتعاد الذي أصاب المجلس تبعته وفاة عضو آخر هو محمد المقريف في حادث سيارة... ثم استقال العضو الثالث مختار القروي... لماذا؟

ومختار القروي يستقيل

يتابع الوزير السابق عبد المنعم الهوني روايته فيقول إن عضواً آخر هو الرائد مختار القروي استقال عام 1973، احتجاجاً على المبالغ الضخمة التي كان القذافي يصرفها في مدينته سرت وما حولها.

كان الرائد عبد السلام جلود رئيساً للوزراء وقد قصده الرائد القروي إلى مكتبه لأمر ما فلم يجده فجلس وراء طاولته يتصفح بعض الملفات الاقتصادية والمشاريع التي تنوي

الحكومة تنفيذها، فوجد مشروع وادي تلال في سرت، وقد صرف لتنفيذه نحو 50 مليون دولار وهو رقم ضخم يومها، فحمل القروي الملف وجاء به إلى أول اجتماع لمجلس قيادة الثورة وكنا نجتمع أول الأمر يومياً مرتين ونتناول الغداء في المجلس ثم نرتاح لنبدأ اجتماعنا الثاني في السادسة مساء، وقدمه بصفته أمين عام مجلس القيادة ليفاجئ الجميع بأن هذا المشروع كنا رصدنا له من 4 إلى 5 ملايين دولار، فكيف يصبح ما صرف عليه 50 مليون دولار؟

قال القروي أن معمر يريد تحويل سرت إلى عاصمة جديدة، كما فعل الملك إدريس السنوسي في جعل مدينة البيضا شرق ليبيا عاصمة ثانية.

لم يحصل تجاوب مع القروي فاستقال وذهب إلى منزله.

وهذه الرواية تختلف عن رواية أخرى لأسباب استقالة القروي وردت في مكان آخر من هذا الكتاب.

تنازلوا باسم الوحدة

ويقول الرائد الهوني أن مجلس قيادة الثورة فوّض معمر القذافي صلاحياته كلها، بحجة أن ليبيا مقبلة على وحدة رباعية مع مصر وسوريا والسودان (أقيم اتحاد الجمهوريات العربية، واستثنى السودان نفسه لظروفه الداخلية بعد انقلاب هاشم عطا الذي أدى إلى تصفية الحزب الشيوعي السوداني المشارك بالانقلاب والحكم بإعدام رئيسه عبد الخالق محجوب صيف 1971). وأن هذا التفويض هو المدخل الذي دخل منه العقيد للتفرد بالسلطة حقيقة فيما بعد.

تعلل القذافي بأن الوحدة تحتاج لأن يتفرغ لها، وأنه لا يستطيع أن يعود إلى مجلس قيادة الثورة في كل صغيرة وكبيرة وأن حافظ الأسد يستطيع أن يبتّ كل أمر بروحه أي وحده دون الرجوع لأحد، وكذلك أنور السادات بعد أن كان تخلص من رجال جمال عبد الناصر في انقلاب 13 أيار/مايو 1971، بات حاكماً فرداً لا يملك أحد في مصر سؤاله أو مراجعته.

الوحدة تستدعي قرارات سريعة وبتّ الأمور بساعتها، خاصة خلال الاجتماع مع الرؤساء لاتخاذها دون العودة إلى المجلس.

تنازلنا جميعاً عن صلاحياتنا من أجل الوحدة، فخسرنا صلاحياتنا ولم تقم أي

وحدة، ولم يعد القذافي يستشيرنا أو يسألنا، وتباعدت اجتماعات المجلس التي كانت تعقد يومياً مرتين كما قلت.

والأخطر أن معمر بالصلاحيات التي سلمناها له بات يصدر قرارات بنقل وعزل وتوقيف ضباط سواء من أعضاء اللجنة المركزية أو ضباط الوحدات دون العودة إلينا ولم يكن طابع القرارات إدارية أو تنظيمية فقط، بل شملت ضباطاً يختلفون سياسياً مع معمر القذافي أو لا يوافقونه على سلوكياته وتفرده.

كنا نعتقد أن معمر القذافي كان مثالياً وكان يراعي الله في سلوكياته، وقد فوضناه فرض عقوبات مسلكية على أي واحد منا إذا ارتكب خطأ فكان يأمر أي عضو مخطئ بأن يقصر شعر رأسه على الزيرو، كما حصل مع المقدم مصطفى الخروبي، وقد تباهى القذافي بهذه الواقعة على المرئية الليبية ورفع قبعة مصطفى من رأسه ليرى المشاهد رأس الضابط عضو مجلس قيادة الثورة وهو خالٍ من الشعر تنفيذاً لعقوبة فرضها الأخ القائد معمر القذافي.

قرار بتنحية معمر

أواخر العام 1974 اتخذنا في مجلس قيادة الثورة قراراً بتنحية معمر القذافي، بسبب مخالفته قرارات المجلس وتعطيلها وعدم دعوته لعقد اجتماعات للمجلس.

فاجأنا القذافي بدعوته لنا لعقد اجتماع لمجلس قيادة الثورة في سرت معقله الأساسي... ولنطلع على مشروع زراعي نفذه الضابط خليفة حنيش.

في سرت بنى معمر القذافي قصراً جديداً لمجلس قيادة الثورة يضم إلى قاعاته اثنتي عشرة غرفة أو جناحاً فندقياً فخماً وإلى جانب كل جناح مكاتب إدارية لكل عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة.

كنا أمام فندق ضخم أشرف على هندسته مكتب هندسي متخصص في بناء الفنادق بتوفير كل ما تحتاجه من قاعات ومداخل وساحات وملاعب.

لم نكن نعلم بأمر هذا المقر الجديد... إلى أن علمنا وقررنا أن هذا المكان سيكون مقر اعتقال معمر القذافي.

كنا مشغولين بشؤون وزاراتنا وأمور الناس، وكان معمر القذافي يجول على القطاعات العسكرية يرتب فيها أمور قوته ويضع فيها من يريد من مسؤولين وأمنيين من

أقاربه وقبيلته... وفي الوقت نفسه كان يشيع عنا الأقاويل لتشويه صورنا أمام الجيش والناس.

كان القذافي يردد ويشيع أن عبد السلام بتاع نسوان وأن عبد المنعم بتاع تشاتشاتشا والمصقعة (البيرة) كان الرائد الهوني تزوج من مصرية في نادي الرماية في مصر وقد أقيم حفل الفرح الذي غنّى فيه ماهر العطار على حساب القوات المسلحة وشاهد صوره زملاؤه أعضاء المجلس... لم يكن الهوني يشرب الخمر لكن القذافي قال عن كوب العصير أنه بيرة، مما أثار غضب بعض الأعضاء ومنهم الخويلدي الحميدي القبلي المحافظ.

لم يكتفِ القذافي ببث الإشاعات ضد إخوانه بل إنه راح يتهمهم بأنهم يعرقلون كل مساعي الوحدة وأنهم يضعون العصي في دواليبها.

كنا نريد تحقيق مشاريع إنمائية وخدماتية، كانت أعدت في العهد الملكي، مثل بناء مستشفيين كبيرين في طرابلس وبني غازي ومثل مطارين دوليين أيضاً في طرابلس وبني غازي. وكنا نريد البدء بخطة تنمية زراعية وصناعية رصدت لها المبالغ وأعدت حولها الدراسات، ووافق عليها اختصاصيون، وأردنا طرحها في عطاءات دولية... لكن معمر القذافي رفض كل هذا... ولم يطرحها من جديد إلا بعد أن تخلص من عمر المحيشي ومن عبد المنعم الهوني... وبعد مرور خمس سنوات على اقتراحها... ثم بعد أن خفف من المواصفات التي كانت معتمدة في العهد الملكي واعتمدناها هي نفسها لأنها مبنية على دراسات علمية جديدة.

كنا نعترض ونتحدث عن تعطيل عجلة التنمية، وكنا نعرض الأمور على الضباط الذين أيدونا بعد أن قدمنا الشواهد والتواريخ فقد أردنا عرض الخلاف على الضباط ليشكلوا قوة ضغط على معمر.

التقينا في نادي مصيف العسكري، فواجهنا قرار العقيد بأن الزيارات العسكرية ممنوعة لأن لدينا وظائف غير عسكرية، وبيننا وزراء يجب أن ينصرفوا إلى أمور وزاراتهم وحل مشاكل الناس الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والثقافية والصحية.

كان يخاطبنا بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ونحن ضباط فيها علينا السمع والطاعة.

كان الكيل قد طفح كما يقال، فتنادينا لاجتماع موسع لتشكيل قوة ضغط على معمر

عله يلتزم أو يتراجع أو يتنحى.

كنا قد أصبحنا نحو 114 ضابطاً تقلص عددنا إلى 92 بعد أن نجح العقيد بنقل بعضهم من قطاع إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى.

عقدنا اجتماعاً موسعاً بهذا العدد وقررنا مناقشة بند واحد فيه هو تقليص صلاحيات معمر القذافي وإعادتها للمجلس وتعيين نائب لرئيس المجلس أي نائب للعقيد نفسه لأن القذافي كان كثير التغيب عمداً عن اجتماعات المجلس وكان لا يعترف بأي قرار نتخذه، واعتقدنا أنه بتعيين نائب له يلزم الجميع بمن فيهم القذافي نفسه بالقرارات التي يتخذها المجلس في غيابه.

عمر المحيشي يؤيد إعدام معمر

تكررت اجتماعاتنا ونحن ندور في حلقة مفرغة إلى أن طرح عمر المحيشي في أحد الاجتماعات ضرورة التخلص من معمر القذافي، لأنه يمسك بكل الأمور بين يديه، وإذا ظللنا نراوح مكاننا ونقترح فقط تقليص صلاحياته أو إلزامه بالحضور أو تهديده بالتنحي دون أن نقدم على تنحيته واعتقاله فإنه سيدبر علينا انقلاباً يتخلص به منا جميعا ويسجننا...

رفض أغلبية الضباط اقتراح المحيشي، وبعد يومين التقى نحو 30 ضابطاً، ارتأى عمر في هذا اللقاء مع ضباط آخرين اعتقال معمر وتقديمه للمحاكمة وتنفيذ حكم الإعدام فيه.

قال عمر إن ما لديه يستدعي محاكمة معمر وإعدامه، حيث أنه كان وضع بخط يده قرار إعدام موسى أحمد وآدم الحواز، إذن هو اعتمد سابقة الإعدام وعليه أن يشرب من الكأس نفسه.

لم يوافق أغلب المجتمعين على اقتراح عمر، فقررنا تأجيل النقاش في هذا الأمر إلى اجتماع آخر، دعونا لعقده بغياب عمر ومن تحمس معه لإعدام معمر، لكن قبل عقد الاجتماع دعاني العقيد للقاء ذهبت إليه فوجدته مجتمعاً مع عبد السلام جلود ومصطفى الخروبي، قال لي معمر في هذا الاجتماع، لقد كنت في جولة عسكرية في المنطقة الشرقية، في مدينة درنة للقاء الضباط فطلب أحدهم التحدث معي على انفراد فاصطحبته في سيارتي ليخبرني بأن هناك تنظيماً عسكرياً ضمن الضباط الأحرار يعمل

على الإطاحة بمعمر القذافي في فترة قريبة جداً.

كان الضابط هذا من مصراته بلد عمر المحيشي وقد دلّ على المحيشي مباشرة، فطلب مني القذافي وضع هواتف الضباط كلها تحت المراقبة، فقلت لا أستطيع وضع هاتف عمر المحيشي تحت المراقبة لأنه كعضو في مجلس قيادة الثورة يرتبط هاتفه بهواتف المجلس، وهذا يعني مراقبة خطوط هواتف ضباط المجلس أيضاً بمن فيهم هاتف معمر.

ردّ معمر أنت راقب خط عمر في الوزارة، ومصطفى سيراقب عمر في الوحدات العسكرية التي كان يجول فيها بشكل دائم.

كنت أرسل مضامين مراقبة خطوط عمر إلى القذافي بعد أن احذف منها أي إشارة عن أمر غامض حتى لا يشك القذافي به.

وجاءت تقارير مصطفى لتؤكد أن لا شيء خطيراً في جولات عمر على الوحدات العسكرية.

في 1975/6/28

أبلغني العقيد بأن هناك قمة أفريقية في أوغندا وأنه سيحضرها وطلب مني مرافقته، فاعتذرت لأنني يجب أن أحضر اجتماع وزراء خارجية دول عدم الانحياز في البيرو، بصفتي وزير خارجية ليبيا وأنني سأمر في طريقي إلى ليما عاصمة البيرو إلى لندن لمراجعة طبيبي في مستشفى ولنغتون بسبب مشاكل أعانيها في الكبد.

لم يقتنع العقيد، بل طلب مني الذهاب إلى لندن يوم الأربعاء، ثم تذهب بعد يومين إلى البيرو... وتعود لتذهب معي إلى كمبالا عاصمة أوغندا... وبدا ملحاً لحضوري.

1975/6/29

في اليوم التالي تماماً عقدنا اجتماعاً مع مجموعة من الضباط الناقمين استبعدنا عمر المحيشي، دون إبعاده، فقد وضعنا احتمالاً أن يكون مراقباً بشدة فضلاً عن أن عمر يطرح أقصى التطرف في كيفية التصرف مع العقيد، لا يناسب أغلب الأعضاء، فتمّ استبعاده مع زميل له يماشيه بالتطرف.

في هذا الاجتماع حددنا يوم 17 أكتوبر/ تشرين الأول 1975 للتخلص من العقيد معمر القذافي، معتمدين كلمة سر هي موسكو، لأن معمر سيكون في زيارة رسمية له

إلى الاتحاد السوفياتي لأول مرة في تاريخه، فقد كان موقفه من السوفيات هو أحد وربما المشكلة السياسية الوحيدة التي سببها لرمزنا الكبير جمال عبد الناصر، الذي كان يستغرب إصرار القذافي على معاداته (1969-1970) رغم أنه كان هو مورّد السلاح الوحيد والداعم الاقتصادي الأهم والحليف للعرب في كل قضاياهم في كل المؤسسات والمؤتمرات الإقليمية والدولية... وكان عبد الناصر وجيش مصر العظيم يخوضان واحدة من أشرف حروب العرب ضد العدو الصهيوني - وهي حرب استنزاف (68-69-1970).

ومن المصادفات السعيدة يومها، أن القذافي قرر اصطحاب عمر المحيشي معه في هذه الزيارة فضلاً عن بشير الهوادي، وكان يريد اصطحابي معه (عبد المنعم الهوني) لكنني تمارضت وأقنعت طبيبي المصري د. عبد الحميد أباظة الكشف علي وإعطائي أدوية مع طلب الراحة لعدة أيام.

خطة اعتقال القذافي.. وفشلها

كانت الخطة تقضي أن ننتظر عودة القذافي من موسكو في مطار طرابلس، بعد تأمين المطار بالكامل أمنياً ومن ناحية الحضور والعناصر والضباط يوم 19/ 10/ 1975 لنبلغه وهو على باب الطائرة، أن مجلس قيادة الثورة اتخذ قراراً بإقالته وأن السيارات جاهزة والأمن سيحرسه لنقله إلى سرت ليبقى فيها لمدة بحراسة 150 عنصراً من سرية الحراسات ليبقوا معه، ويظل هو في الإقامة الجبرية لمدة سنة إلى أن تستقر الأمور وبعدها نطلق سراحه بعد أن نجري انتخابات وننتخب رئيساً جديداً ونحل مجلس قيادة الثورة.

كانت الأمور تسير وفق ما نريد وكنا نتحرك بسرعة كاملة واثقين من إمكانية تنفيذ حركتنا التصحيحية بطريقة سلمية كاملة دون إراقة نقطة دم واحدة...

لكننا كنا ننسى أمراً أساسياً دائماً وهو أن عمر المحيشي لم يكن يتوقف عن الحركة التي تقلق القذافي وتجعل أجهزته الأمنية مستنفرة بشكل دائم، ثم إن العقيد القذافي يملك عقلية أمنية داهية ومتأهبة وهو اعتاد عدم الوثوق بأحد وعيونه مفتحة لا ينام ولا يؤمّن.

سافرت (عبد المنعم الهوني) يوم الأربعاء في 10/ 8/ 1975 إلى الخارج مررت على لندن، وفي يوم 12 آب/ أغسطس 1975 حاولت مجموعة أمنية اعتقال عمر المحيشي ففر غرباً ودخل إلى تونس.

والذي أفشل المحاولة هو تحرك عمر بل قل هو القبض على عدد كبير من الضباط

(وليس هذا رأي الهوني دائماً أو بالضرورة).

يوم 10/ 8/ 1975 اعتقلت قوات القذافي أولاً الضباط الذين يحيطون بعمر وهم خارج ضباطنا الذين اتفقنا معهم على التحرك يوم 17/ 10/ 1975 حين يكون معمر القذافي في موسكو. وفي يوم 12 هرب عمر إلى تونس طالباً اللجوء السياسي.

اتصل الهوني بمكتبه، وتأكد بأن أمن العقيد يعتقل الضباط، فأدرك أن الرجل بات يعرف الكثير عن تحركه مما يشكل خطراً كبيراً عليه، فصمم على متابعة جولاته في الخارج من ليما إلى نيويورك لحضور الدورة السنوية للأمم المتحدة في أيلول/ سبتمبر 1975، بعد أن ينهي جولته في أميركا اللاتينية إثر انتهاء مؤتمر وزراء خارجية عدم الانحياز في البيرو.

كان المدنيون (معنا) محمود المغربي في البرتغال وسليمان جرادة ومنصور الكيخيا في جولة دبلوماسية.

كان أولادي في طرابلس، أخرجناهم إلى مصر للاطمئنان وتوجه الهوني من نيويورك إلى إيطاليا، واتصل بعائلته مطمئناً بأنه قادم إلى مصر فاتصل بسكرتير الرئيس السادات للمعلومات أشرف مروان الذي نقل له ترحيب السادات بمجيئه.

قابلت بعد عودتي الرئيس السادات ليسألني عما حصل عن المحاولة الانقلابية، وعن عمر المحيشي، فشرحت له التفاصيل التي أعرفها، فقال لي يا منعم إنت زي ابني وأنا عايزك تقعد عندي في مصر، وهي بلدك.

اتصل بي مصطفى الخروبي، وقال لي إذا لم تشأ العودة إلى ليبيا فأمضِ فترة في مصر وبعدها نرى ماذا ستفعل. المهم عندك عبد القادر غوقة، وكان سفيراً لليبيا في القاهرة،كل ما تحتاجه سيصرفوه لك بتكليف رسمي... وهذا ما حصل فعلاً...

كان العقيد يلاحقني يطالبني بالعودة إلى ليبيا، وكنت أرد بأنني سأعود لكن المسألة هي مسألة وقت وكنت أقول لمن يرسله معمر ليحثني على العودة، أريد انتظار المحاكمات التي قال القذافي أنه سيعقدها لمحاكمة الضباط المتهمين بالإعداد لانقلاب ضده، وعلى ضوئها سأتخذ قراري.

عقدت محاكمات عسكرية عاجلة للضباط وأصدرت أحكاماً قاسية بإعدام 22 منهم هم من خيرة ضباط ليبيا، وكنت أتوقع أن يخفف العقيد هذه الأحكام، لكنه وقّعها وتم إعدام الضباط الـ 22 فقررت عندها عدم العودة في هذه الظروف.

مجموعة الهوني ومحاولات معمر لخطفه

ظلت مجموعة الضباط حول عبد المنعم الهوني بعيدة عن المحاكمات، أو الشبهات، وطلبت القاهرة بوسائل مختلفة سرية بالكامل من الأخوة الضباط اتخاذ أقصى درجات الحذر والتحوط، وعدم تقديم أي فرصة لأجهزة أمن القذافي للشك أو الملاحقة أو المراقبة.

كان الهوني على ثقة كاملة بإمكانية القيام بحركة عسكرية ناجحة لإزاحة القذافي، فقد كان لدينا عدد كبير من الضباط، وكان 80٪ من الضباط الأحرار معنا.

ورغم أن السادات أبلغ منعم بأن القذافي سيطر على الوضع تماماً إلا أن الهوني ظل على ثقة بإمكانية التحرك من جديد، فاتصل بعمر المحيشي المقيم يومها في تونس للتحرك المشترك مع الضباط القوميين العرب الناصريين والقوميين المستقلين والبعثيين للتخلص من معمر.

سافر عمر المحيشي إلى بغداد وتواصل مع ضباط ليبيين وحدويين كانوا ذهبوا إلى العراق للوقوف معه في وجه تهديدات شاه إيران للعراق، والتقى بهم وبمدنيين ليبيين سبقوه إلى بلاد الرافدين.

عقدنا اجتماعاً موسعاً ضمنا مع أول رئيس وزراء لليبيا بعد الثورة محمود مغربي وشكلنا هيئة سياسية اسمها الحركة الوطنية الديمقراطية، وأصدرنا جريدة باسم «ليبيا» ضمناها أفكارنا ودعواتنا للخلاص من معمر القذافي وحكمه.

الجبهة تتوسع

في اجتماع لاتحاد المحامين العرب في القاهرة جاءنا المحامي المعروف محمود نافع وهو من قيادات البعث في ليبيا وعقدنا اجتماعاً معه مقترحاً علينا فيه توسعة الجبهة لتضم اليسار والإخوان المسلمين والبعث والناصريين المستقلين فوافقنا بهدف القضاء على نظام العقيد.

استدرك القذافي الخطر فبدأ باصطياد المعارضين في الخارج، مرسلاً تهديدات بالاغتيال أولاً فقد كان مصمماً على قتل كل من يعارضه ولو بالكلمة.

كان القذافي يرسل التهديدات لعبد المنعم الهوني قائلاً في نهاية كل تهديد: نهايتك يا منعم ستكون على يدي وقريبة وعليك أن تخرج الآن من مصر.

زار السادات القدس وأحبطت كل المعارضات العربية، وجهر المحيشي بموقف معارض للسادات فغادر مصر إلى السعودية ليستقر به الأمر في المغرب (وقصته نقرأها في مكان آخر من هذا الكتاب).

لم أكن أريد الذهاب إلى بلد آخر غير القاهرة رغم كل الظروف المستجدة التي تمر بها.

بدأ القذافي ومن معه يشنعون عليّ الأقاويل أنني من مؤيدي «كامب ديفيد» المنتجع الذي بدأ فيه السادات مباحثاته مع مناحيم بيغن برعاية جيمي كارتر في إحدى ولايات أميركا.

أرسل لي القذافي اللواء محمود شيت خطاب، وعبد الفتاح يونس، وعبد الرحمان العيد، والشيخ محمود صبحي، كلهم يريدون لي العودة إلى ليبيا، أو على الأقل ترك مصر لأنها وقّعت اتفاقاً مع العدو الصهيوني، وإلا فأنا سأكون في نظرهم والعقيد مؤيداً لكامب ديفيد.

أرسل لي الرائد عبد السلام جلود ليقول لي إنني مستهدف، وإن احتمال اغتيالك وارد في أي لحظة سواء كنت داخل مصر أو خارجها وكان جلود في منتهى الصدق معي.

وجلود يقول لي إن العقيد يشيع أن أنور السادات سيستخدمك ضده وستكون كمخلب القط للسادات الذي تتهمه ليبيا بأن له أطماعاً في نفط ليبيا؟

اقترح عليّ جلود أن نلتقي في الخارج لنبحث عقداً مع شركة سويدية كانت ليبيا ستوقع عقداً معها لبناء فندق المهاري فيتم العقد عن طريقك وتحصل على نسبة مجزية من المال تعيش منها مستقلاً مرتاحاً واقترح عليّ جلود أن أذهب إلى ستوكهولم لأحصل منهم على رسالة بأنني وكيلهم في ليبيا وستوقع معك العقد رسمياً.

سمعت كلام جلود... ونفذت اقتراحه شكلياً ولم أعمل به، عدت إلى مصر وقابلت الرئيس السادات ورويت له ما عرضه علي جلود، قائلاً له إنني أريد تجربة القذافي هذه المرة، وأنا استأذنك لأخرج من مصر فقال لي مصر بلدك، وإذا كنت تريد أن تبقى هنا فأهلاً وسهلاً.

أخبرت السفير الليبي في القاهرة جلود الصديق برغبتي فقال نحن ننتظر موافقتك، فحجز لي تذكرة سفر درجة أولى إلى إيطاليا عبر شركة أليطاليا، وكانت عمليات خطف الطائرات المدنية قد كثرت في تلك الفترة فخشيت أن يتم اختطاف هذه الطائرة وإنزالها

في طرابلس توكيداً لشكّي في سلوكيات القذافي وغدره.

لم أعلم أحداً أنني توجهت إلى شركة «تي دبليو إي» الأميركية وحجزت تذكرة أخرى إلى روما – القاهرة – وساعدني أن فارق توقيت الشركة الأميركية عن الطائرة الإيطالية لا يزيد عن نصف ساعة... لكنني أخبرت السلطات المصرية بنيّة سفري في اليوم التالي.

ليلاً اتصل أشرف مروان ليسألني إن كنت ما زلت مصمماً على السفر، فأبلغته رغبتي بذلك، فأعلمني أن سيارة من الرئاسة ستمرّ عليك لتصطحبك مع جماعة من أمن الرئيس لإيصالك إلى المطار.

ورغم أن السفير الليبي الصديق كان أعلمني أنه سيمر لاصطحابي صباح اليوم التالي إلى المطار فإن أحداً لم يأتِ لكنني علمت أنه جاء إلى المطار لتوديعي، لكنه لم يحضر إلى صالة كبار الزوار وتصورت أنه مُنع من الدخول لأسباب أمنية، فهو يمثل السلطة الليبية وأنا من معارضيها.

ركبت طائرة تي دبليو إي رغم احتفاظي بتذكرة أليطاليا، ووصلت إلى روما حيث كان في استقبالي سفير ليبيا في روما قدري الأطرش وهو من السفراء الوطنيين وكان خدم قبل ذلك في باريس، صعد إلى الطائرة واصطحبني منها، وفي الطريق إلى صالة كبار الزوار جاء مندوب أمني إيطالي ليبلغ السفير بأن سلطات أمن المطار الإيطالية أوقفت ثلاثة ليبيين كانوا جاؤوا من القاهرة على متن طائرة إيطاليا ومعهم أسلحة (3 مسدسات وقنابل وذخائر وبندقية رشاش سريع الطلقات أخمس حديد).

كان هدفهم خطف الطائرة الإيطالية وإنزالها في مطار بني غازي الليبي حيث وسائل الإعلام الليبية، تلفزيون وصحف (3 صحف فقط) لاستقدامي وتقديمي إلى المحاكمة في المطار بصفتي عدو الوطن والقائد والثورة...

أول الأمر وبسبب حسن نيتي وعدم شكي بإمكانية حصول مؤامرة وعندما أبلغني المفتش الإيطالي برونو أن الثلاثة ليبيون وأنهم جاؤوا من القاهرة ومعهم أسلحتهم وذخائرهم، فإن من المستحيل أن يكونوا ليبيين، طلبت أن أرى صورهم فقال لي نحن بصدد تصويرهم وسآتيك بالصور خلال ساعة...

وسألني أين سأقيم في روما فقلت له في فندق هيلتون، أوصلني السفير الأطرش إلى فندقي وبعد أن أخذت مفاتيحي وصعدت غرفتي ووضعت أغراضي الشخصية نزلت إلى قاعة الفندق حيث كان برونو وصل جالساً مع السفير.

عرض عليّ المفتش الإيطالي صور الليبيين الثلاثة فإذا بي أكتشف أنني أعرفهم جميعاً، فقائدهم هو مقدم في الحرس الجمهوري الليبي، والاثنان معه من عناصر الأمن.

شرحت للسفير وبرونو معرفتي واستأذنت للصعود إلى غرفتي، ومن هاتفها طلبت عبد السلام جلود لأروي له ما حصل، فقال أمهلني نصف ساعة لأجيبك.وبعد مرور هذا الوقت أكد لي عبد السلام جلود أنني كنت مستهدفاً ويقيني أن جلود تحدث إلى معمر، وأن هذا الأخير أكد له ذلك.

عدت إلى برونو والسفير وأخبرت المفتش الإيطالي أنني كنت المستهدف من وراء وجود الليبيين الثلاثة في الطائرة، وهم كانوا ينتظرونني على متن الإيطالية لكنهم عندما اكتشفوا أنني لم أسافر على متنها، لم يخطفوا الطائرة وكشفت أسلحتهم في مطار روما، وأنا أتساءل كيف أمكن لهم تجاوز الإجراءات الأمنية في مطار القاهرة؟ وهل رتبوا نقل الأسلحة إلى إيطاليا مسبقاً في مطار ليوناردو دي فينشي في روما قبل رحلتها إلى القاهرة؟

هل تكفل أحد بإصعاد الأسلحة إلى الطائرة الإيطالية وتسلموها في الداخل؟ هل تورط مضيفون إيطاليون أو ربان أو ملاحو الطائرة الإيطالية بالأمر بعد أن تلقوا رشوة كبيرة من السلطات الليبية؟

تركت هواجسي لنفسي وطلبت من المفتش الإيطالي اتخاذ إجراءاته القانونية.

من جهة أخرى فقد كلفت السلطات الليبية مدير مكتب وزير الخارجية يومها أبو زيد دوردة التوجه إلى روما لمقابلة الأمنيين الليبيين الثلاثة المعتقلين بزعم التأكد من كونهم ليبيين أو أن جهة كلفتهم بالاختطاف!

أثناء لقاء مدير مكتب أبو زيد مع الليبيين كتب في ورقة صغيرة سطراً واحداً ولفها في لفافة تبغ وسلمها لأحدهم لكنها سقطت من يده. فأخذها الأمن الإيطالي ووجد عبارة لا يفهمها فسلمني إياها وكنت خارج التحقيق فقرأتها فإذا بها طلب محدد وهو الزعم بأن الاستخبارات الصهيونية كلفتهم بهذه العملية.

شرحت القول المكتوب فتأكد الأمن الإيطالي أن الأمر كله كان محاولة لاغتيالي.

عدت إلى القاهرة ورويت ما حصل معي لعمر المحيشي فنشره في الجريدة التي كان يصدرها من مصر.

محاولة جديدة من القروي

أرسل لي - يتابع عبد المنعم الهوني - العقيد القذافي أخونا في مجلس قيادة الثورة، وكان معتزلاً كل شيء، مختار القروي ليعتذر عن هذه المحاولة، وليقول لي إن الذين قاموا بالمحاولة من الضباط الأحرار، وأنه لا دخل للقذافي بالأمر، ولكنك يجب أن تخرج من مصر، ونحن مستعدون، يقصد العقيد، أن نعطيك مبلغاً محترماً لتعيش فيه في أي مكان في الخارج وقال إن المبلغ هو مليون دينار ليبي أي نحو 3.5 دولار أميركي، وهو مبلغ كبير وقتها يعادل في قيمته الشرائية مبلغ 35 مليون دولار حالياً.

قال لي القروي: «يا أخ عبد المنعم خذ هذا المبلغ واشترِ لك منزلاً منه، وضع الباقي في أي مصرف ومن فوائده تستطيع الصرف على نفسك وعائلتك وتعيش مرتاحاً».

لم أكن أريد أن أقطع مع معمر، وطلبت موعداً من السادات عبر أشرف مروان لأستشيره في الأمر، وفاجأني الرئيس السادات في اللقاء بنصيحته لي أن أقبل عرض القذافي، قائلاً بالحرف: «يا منعم لا تقطع مع القذافي، لأنك ربما تؤدي دوراً في تحسين العلاقات بين مصر وليبيا».

ولم أفهم تماماً مغزى نصيحة السادات، هل أراد مني الخروج من مصر لتتحسن علاقتها مع ليبيا، لأنني عقبة أمام تطبيع هذه العلاقات؟ هل كان السادات فعلاً يراهن على وجودي إلى جانب معمر لتحسين علاقته مع مصر؟ وهل كان السادات فعلاً يريد تحسين العلاقة مع ليبيا، وإذا كان كذلك فلماذا لا يعتمد آخرين أكثر مني تأثيراً على معمر لهذه الغاية؟

مؤامرة جديدة في لندن

استجبت لهذه النصائح وتوجهت إلى لندن ومكثت في أحد فنادقها لمدة شهر كامل. وكان سفير ليبيا في العاصمة البريطانية رجل محترم ضابط سابق في الجيش خدم معنا في المعسكر الذي جمعنا مع معمر القذافي ومصطفى الخروبي، واسمه محمد المسماري، استقبلني في المطار وكان يتصل بي بين وقت وآخر للاطمئنان إلى أن جاءني بعد شهر كامل ليبلغني بأنه سيطلعني على سر يريد ائتماني عليه ما حييت، أقسمت له بحفظ السر مهما كان يومها، ليفشيه لي ومضمونه أن رسالة وصلته من ليبيا مرمّزة (أي مشفرة) يطلبون فيها من السفير إقناعي بوجود مؤامرة مؤكدة لاغتيالي (الهوني) في لندن

وأن مصر وراء هذه المؤامرة.

قال لي السفير ما أن تلقيت الرسالة المرمزة حتى فوجئت بوجوه أمنية جديدة في السفارة، أدركت أنها جاءت خصيصاً من طرابلس لتقتلك، واتهام مصر بالجريمة، لذا أنصحك أن تغادر لندن، مقترحاً عليّ الذهاب إلى اسكتلندا.

عدت إلى ذاكرتي لأخرج منها أن مصطفى الخروبي وبعد وصولي إلى لندن كان حدثني هاتفياً قائلاً لي: لا تستمع ولا تتكلم مع السفير، بل أبقِ علاقتك مع الملحق العسكري في السفارة وهو ضابط بحرية وموثوق من القيادة، فكلمت الملحق العسكري وقلت له أريد مبلغ عشرة آلاف جنيه إسترليني لأنني أريد التوجه إلى اسكتلندا، وقد حجزت في أحد فنادقها فسألني الملحق ولماذا لم تكلفني لأحجز لك في اسكتلندا، فقلت له لقد رتبت كل شيء، فقال لي أنا سآتيك بالفلوس إلى فندقك (في لندن) فقلت له فقط أرسلها مع سائقي وهو الآن في طريقه إليك.

أرسل الملحق العسكري المال وتوجهت إلى شركة الخطوط البريطانية B.O.A.C، ودخلتها ولم أشترِ التذكرة بقيت دقائق ثم خرجت منها إلى شركة مصر للطيران وكانت قريبة جداً من الخطوط البريطانية، وحجزت عودة إلى القاهرة، وعدت إلى الفندق وجمعت أغراضي وطرت إلى القاهرة، وهم ذهبوا للبحث عني في اسكتلندا.

بعد 15 يوماً من هذه الواقعة كانت استخبارات العقيد تقتل المذيع الليبي المعروف في إذاعة لندن مصطفى رمضان في قلب لندن، ثم قتلت محمود نافع في سلسلة اغتيالات نفذتها استخبارات معمر ضد كل صاحب رأي أو كلمة أو موقف... لا يعجبه.

في القاهرة التقيت الرئيس السادات لأروي له الحكاية، فكان ينفث الغليون وهو يردد المجنون ده... المجنون ده، دا مجرم ومجنون دا مجرم ومجنون..

جنسية مصرية

كان لي أنسباء ليبيون في مصر اشتروا لي قطعة أرض في الإسكندرية، وكتبت إلى السادات بشأن بناء منزل لي فوقها فكلف السادات سكرتيره الخاص فوزي عبد الحافظ لتأمين إجراءات الموافقة الرسمية، لأن القانون المصري القديم كان يلتزم بموافقة مجلس الوزراء على تملك أي عربي أو أجنبي لأرض أو عقار، وحوّل عبد الحافظ الأمر إلى وزير الإسكان عثمان أحمد عثمان لإنهاء الإجراءات بالكامل.

لم تنته الإجراءات رغم مرور ثلاثة أشهر ليكلمني عبد الحافظ من جديد مطمئناً علي بطلب من الرئيس فقلت له إن أمر البناء لم يصدر بعد، فسأل عثمان أحمد عثمان فقال إن الملف ضائع، فحدد لي عبد الحافظ موعداً مع السادات ليفاجئني الرئيس الراحل بقوله: يا منعم يا ابني لقد قررت منحك الجنسية المصرية عشان ما تدوخش مع عثمان والوزارة بتاعتو... وقبل أن أخرج من مقابلة السادات، قال لي سكرتيره خلاص أمر منح الجنسية راح الجريدة الرسمية...

حملت من يومها الجنسية المصرية إلى جانب جنسيتي الليبية واستغل القذافي هذا الأمر ليشنع عليّ بأنني عميل لأنور السادات...

علّ هذه الوقائع تشفي غليل الكثيرين الذين سألوا أسئلتهم الشرعية... نحن لم نسكت عن القذافي، لم نسلمه السلطة طائعين حاولنا، وكنا صادقي النية في الإصلاح وسعينا لإخراجه من السلطة دون قتله ولو شئنا ذلك لكانت الأمور سهلة، لكننا لم نكن نريد سفك نقطة دم واحدة... التزمنا ميثاق شرف وأخوة بأن من يختلف مع المجموعة يذهب إلى منزله دون أي تآمر... كان التزامنا وفق أخلاقياتنا وسلوكياتنا وتربيتنا... وحده شذّ عن هذه القاعدة وعمل بأخلاقه... أولاً أخلاقه وهذه هي النتيجة.

الفصل الخامس

مفاجأة شقيق عمر المحيشي:
أخي ما زال حياً

- كنت شاهداً على تأسيس الضباط الأحرار
- خلاف عمر ومعمر
- العلاج بالتصحيح
- عمر المحيشي في مصر
- خروج عمر من مصر
- عمر ما زال حياً؟
- الهوني يصف تصفيته
- شلقم يؤكد قتله



مفاجأة شقيق عمر المحيشي:
أخي ما زال حياً

أثناء إعداد هذا الكتاب فاجأنا شقيق الرائد عمر المحيشي الشيخ طاهر بأنه يعتقد بأن شقيقه ما زال على قيد الحياة. استناداً إلى معطيات ومعلومات يرويها لتناقض الرواية الأصلية المعروفة والتي سمعناها من زميل المحيشي في مجلس قيادة الثورة الرائد عبد المنعم الهوني (رئيس جهاز أمن ورئيس داخلية، وزير خارجية، مندوب ليبيا الدول العربية والمعارض الدائم وأول من خرج عن نظام القذافي بعد ثورة 17 فبراير/ شباط 2011).

يروي طاهر سيرة شقيقه في علاقته وربما علاقتهما مع معمر القذافي منذ التقيا في المدرسة الثانوية في مصراته فيقول:

بدأت علاقة عمر ومعمر عام 1961 حين جاء معمر إلى مصراته مطروداً من مدرسة سبها بسببين رئيسيين:

السبب الأول وهو ما كان دائماً في السيرة الرسمية للعقيد الليبي، وهي أنه طرد بسبب تظاهرة نظمها مع عدد من زملائه في سبها ومنهم الرائد عبد السلام جلود ضد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة التي قامت بقيادة جمال عبد الناصر، الذي كان رمزاً لمعمر وعبد السلام وملايين العرب.

السبب الثاني وهو ما كان ليظهر بهذه الصورة الفجة لولا المواقف السياسية المتناقضة التي أوصلت البلاد إلى شبه حرب أهلية تستخدم فيها ضمن الأسلحة الثقيلة: الطائرات والصواريخ والدبابات وسلاح التشهير أو الإسقاط أو نحل النسب ليقال بأن أصول معمر القذافي يهودية من أمه.

ومع أننا سنعود إلى هذه الإشاعة أي السبب الثاني لطرد الطالب معمر القذافي من سبها في مكان آخر من هذا الكتاب إلا أننا سنتوقف عند لقاء الطالبين معمر وعمر في مصراته... لنتابع سماع رواية طاهر المحيشي:

كان معمر في سنة أولى ثانوي ودخل في السنة الثانية مشاركاً في كل التظاهرات التي كانت تخرج تضامناً مع مصر وجمال عبد الناصر وكان الثلاثة (طاهر وعمر ومعمر)

يحفظون خطب جمال ويرددونها في كل المناسبات، وهذه هي اللحمة القوية والأساسية في علاقة عمر ومعمر التي توطدت حتى كان معمر يأتي إلى منزل عائلة عمر في نهاية كل أسبوع ضيفاً معززاً يأتي على دراجة ليتسابق مع عمر في سباق دراجتيهما خارج المدينة.

فمعمر كان يدرس على حساب الدولة بتدبير من وجهاء مصراته، يأكل وينام في الداخلي، كما يقال، وكان عبد الله المحيشي والد عمر وطاهر من هؤلاء الوجهاء.

ومن بين وجهاء مصراته الذين توسطوا لمعمر للدراسة في الداخلي أيضاً محمد خليل وقد عيّنه معمر بعد الثورة رئيساً لبلدية مصراته، ومفتاح كعيبة الذي عينه معمر أميناً للبلديات (وزيراً) ثم أميناً للمؤتمر الشعبي العام، والاثنان محمد خليل ومفتاح كعيبة ظلا صديقين وفيين للقذافي منذ أن أصبح طالباً في الكلية العسكرية إلى أن أصبح رئيساً لليبيا، وكان العقيد يزورهما في منزليهما عندما كان يزور بني غازي وقد انتقل الاثنان إليها في فترات سابقة.

كان اللقاء اليومي بين عمر ومعمر في الثانوية واللقاء الأسبوعي في منزل عبد الله والد عمر، وحبهما الجارف كأبناء جيلهما لجمال عبد الناصر كان مدخلاً عظيماً لكل منهما كي تكبر أحلامهما سوية، ويخططان ضمن هذه الأحلام للدخول إلى الكلية العسكرية في ليبيا، ليصبحا ضابطين ينظمان انقلاباً عسكرياً ويحلمان بضم ليبيا إلى مصر في إطار الجمهورية العربية المتحدة (ظلت مصر تحمل اسم الجمهورية العربية المتحدة الذي اعتمد بعد الوحدة مع سوريا عام 1958، ولم يلغ الاسم ليصبح جمهورية مصر العربية إلا بعد انقلاب أنور السادات على خط ورفاق جمال عبد الناصر في 13/ 5/ 1971 وضمن السادات الدستور الذي اعتمد في العام 1971 هذا الاسم حتى اليوم 2011). لم يكتف عمر ومعمر بحصر الطموح عليهما، بل وسّعا دائرته إلى زملائهما عبد السلام جلود، مصطفى الخروبي، الخويلدي الحميدي.. لإقناعهم بدخول الكلية العسكرية للغاية نفسها وعندما دخلوها.. وجدوا زملاءهم الذين سيصبحون أعضاء مجلس قيادة الثورة سبقوهم إليها، وهم أبو بكر يونس جابر، محمد نجم، مختار القروي، عبد المنعم الهوني، بشير الهوادي، كان عمر أصغرهم وهو من مواليد 1944 بينما كان معمر وعبد السلام وبشير الهوادي من مواليد 1939.

وفي حين أن أبناء العائلات الكبيرة كعمر لم يكن ليحتاجوا إلى واسطة فإن الفقراء

مثل معمر كان يحتاج لمثل هذا الأمر. وهنا يقول طاهر المحيشي أن وجهاء مصراته ومنهم والده توسطوا لمعمر ليدخل الكلية الحربية.

كنت شاهداً على تأسيس الضباط الأحرار

داخل الكلية العسكرية في بني غازي تولى معمر القذافي تأسيس تنظيم الضباط الأحرار خلال عامي 1963-1964. وبدأ أول اختبار عملي لهذا التنظيم العسكري وانفتاحه على المدنيين عام 1964 حين اندلعت تظاهرات ثانوية وجامعية في بني غازي احتجاجاً على رفض الملك إدريس السنوسي المشاركة في القمة العربية التي دعا إليها جمال عبد الناصر لبحث قضية فلسطين وتحويل مجرى نهر الأردن (مشروع جونستون).

انطلقت التظاهرات من بني غازي وشملت كل ليبيا، وتصدت لها قوات الأمن الليبية وأطلقت النار على المتظاهرين فقتل منهم 3 وجرح العشرات.

انعكست هذه التظاهرات ومجابهتها بالقوة على بنية التنظيم الوليد، حيث سعى معمر لتعزيز وجود الضباط الأحرار مدنياً بإقامة علاقات عضوية مع طلاب الجامعات، فأنشأ خلية مدنية كان من أبرز رموزها محمد خليل، طاهر المحيشي، ومفتاح كعيبة، كان كل واحد من أعضاء الخلية المدنية يتصل بمعمر وعمر وهما يطلعانه على أخبار وتطور التنظيم.

وكان معمر وعمر يطلعان من طاهر على أخبار حركة القوميين العرب بصفته مسؤول خلية الحركة في جامعة بني غازي ثم في طرابلس (1963-1967).

كان الضباط الأحرار بقيادة معمر القذافي حريصين على التنسيق مع حركة القوميين العرب ومع طلبة الثانويات والجامعات، فضلاً عن الشباب الحزبي سواء من الحركة أو في حزب البعث الذي كان متغلغلاً بشكل جيد في أوساط الطلاب والمهنيين والمثقفين، (ولم يستبعد المعارض الليبي محمد المقريف أن يكون معمر القذافي ومعه عبد السلام جلود أقاما علاقات مع حزب البعث في وقت من الأوقات، فهل كانت هذه الحركة من معمر القذافي، استلهاماً أيضاً لبعض ما كان يفعله عبد الناصر رمزه الأول حين كان جمال فاعلاً في معظم الحركات والأحزاب السياسية قبل الثورة، فكان قريباً من الإخوان المسلمين حتى اعتبروه أخاً وكان قريباً من الشيوعيين حتى اعتبروه رفيقاً وكان قريباً من الوفد حتى ظنوه من الطليعة الوفدية نظراً لأفكاره التحررية.

خلاف عمر ومعمر

يقول طاهر المحيشي إن خلاف عمر مع معمر بدأ منذ أيام اللجنة المركزية لتنظيم الضباط الأحرار، فقد كان عمر كثير الاعتراض على تفرد معمر بقرارات تتعلق بالتنظيم. وكان يريد صدور القرارات بشكل شبه جماعي وليس فردي.

ويعيد طاهر المحيشي خلاف السلوكيات بين عمر ومعمر إلى أن الأول كان ابن عائلة، متوازناً، شبعاناً في عائلته وذا سلوكيات مختلفة. بينما معمر القذافي كان ولداً متشرداً، سوقياً في سلوكياته، عانى ضنك العيش والحرمان وهذا كله أثّر على تعامله مع رفاقه ثم مع المجتمع والعالم!

لهذا - يتابع طاهر - حاول معمر إبعاد عمر عن طريقه بمحاولة عدم ضمه لمجلس قيادة الثورة، لكنه ووجه بتأييد بقية الأعضاء لوجود عمر في المجلس حيث إنهم يدركون أهمية عمر وأقدميته في التنظيم، وهو الذي ألقى القبض ليلة الثورة على أقوى رجال العهد الملكي عبد العزيز الشلحي وكان رئيس أركان القوات المسلحة الملكية الليبية.

حاول معمر تشويه صورة عمر بتوزيع منشور عبر جماعاته في طرابلس مضمونه أن عمر المحيشي شيوعي وكان الأمر مكشوفاً بأن عمر مثقف وحركي وسياسي وسلوكياته أرقى من سلوكيات معمر.

لم تتوقف محاولات معمر ضد عمر، الذي كان يشعر في كل تحركاته أن هناك عدة أشخاص يراقبونه أينما حل وذهب، وكان يعلم أن هؤلاء تابعون للاستخبارات العسكرية وأنهم يتحركون ويتلقون أوامرهم من مصطفى الخروبي وحسن إشكال.

كان أقصى ما كان يفعله عمر هو أن يرسل عدداً من مرافقيه لطرد هؤلاء ويصارح معمر بأن العملية مكشوفة فيرد معمر متذاكياً هؤلاء موجودون لحمايتك، وعندما يسأله عمر، ولماذا لا ترسل حراساً لحماية الإخوان الآخرين يرد معمر لأنك أنت الأهم يا أخ عمر!!

نعرف من هذا أن معمر كان يمسك بزمام الأمور عسكرياً وأمنياً، وأن لديه أجهزته الخاصة ورجاله الموثوقين.

ومن جهة أخرى لم يحاول أي من أعضاء مجلس قيادة الثورة أن يشكل مركز قوة لنفسه أو لمن معه أو أن يشكل شلة أو مجموعة.

أقصى ما نجح فيه عمر منذ البداية والكلام لطاهر المحيشي شقيقه، إقناع مجلس

قيادة الثورة في بداية الحركة المجيء بشخصية مدنية ليرأس مجلس الوزراء فكان محمود مغربي أول رئيس وزراء لليبيا بعد ثورة الفاتح 1969.

قصد عمر أن يكون كل الوزراء من المدنيين لإبعاد العسكريين عن السلطة المدنية، وبالفعل شكل المغربي وزارة الثورة الأولى وكان أعضاؤها كلهم من المدنيين عدا وزيري الدفاع (آدم حواس) وموسى أحمد (وزير الداخلية). راجع كتابة تفصيلية عن قصة خلعها في مكان آخر من هذا الكتاب.

كان وضع الحكومة المدنية تنفيذياً تحت إشراف مجلس قيادة الثورة لحضها على العمل لحين وضع دستور دائم للبلاد، والتمهيد لانتخابات تشريعية ليعود الضباط بعدها إلى ثكناتهم، ومن يريد منهم العمل المدني فليخلع بزته العسكرية وينخرط في الحياة المدنية.

لكن أغلبية مجلس قيادة الثورة كان لهم رأي آخر:

نحن قمنا بالثورة ولن نسلم البلاد بعدها لغيرنا.

عام 1970 تسلم عمر المحيشي وزارة الاقتصاد، ثم وزارة التخطيط ولم يجد عمر نفسه في أي من هاتين الوزارتين وهما ليستا من اختصاصاته، لكنه ظل في الوزارة مع إبعاد معمر المدنيين وتسليمه وزارة الدفاع منذ 41 سنة حتى الآن لأبي بكر يونس جابر.

كثرة الاعتراضات على معمر القذافي من رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة وفق رؤية طاهر المحيشي جعلته يفكر بإلغاء مجلس قيادة الثورة وهو ما نجح فيه عبر بيان زواره 1973 (راجع تفصيلاً عن هذا الموضوع في مكان آخر من هذا الكتاب).

ولم تمر الأمور بالحسنى دائماً في الخلاف بين عمر ومعمر، إذ حاول عمر المحيشي في إحدى جلسات النقاش الحاد بين الاثنين قتل القذافي حين وجه رشاشه الملقم بالرصاص لإطلاقه على العقيد، لولا أن رفاقه في المجلس تكاثروا عليه وسحبوا الرشاش منه.

العلاج بالتصحيح

في أغسطس/آب 1975 قام عمر المحيشي بما أسماه أخوه طاهر بمحاولة تصحيحية للثورة ضد تفرد معمر القذافي وكان معه من الضباط محمد كريم، أحمد أبو ليفة (مصراته) محمد المنقوش قائد الحرس الجمهوري (من بني غازي) عمر الحريري وضباط آخرون من الجبل الأخضر.

تراوح عدد الضباط الثائرين على معمر بين 30 و40 حسب رواية طاهر المحيشي وكان عمر الحريري مصمماً منذ البداية على ضرورة التخلص من معمر القذافي بقتله لتستتب الأمور للحركة التصحيحية، دون جدوى فقد عارض كثيرون على رأسهم عمر المحيشي قتل العقيد لأنه أخ وزميل كفاح ويكفي أن نعزله. (هذه الرواية تختلف عن رواية عبد المنعم الهوني).

هذا التردد توافق مع خيانة أحد الضباط المشاركين (أو ثرثرته حسب رواية الرائد عبد المنعم الهوني) ليبلغ العميد مصطفى الخروبي أو من المقربين لمعمر (حتى الآن بعد اندلاع الثورة الشعبية ضد القذافي بعدة أشهر ما زال الخروبي من أركان معمر وليس غريباً أن يكون عمر الحريري هو قائد أركان الثورة على القذافي عام 2011) الذي أبلغ العقيد تفاصيل الحركة.

لم يكن التصحيحيون يريدون قتل معمر، بل كانوا يريدون منه إقامة دولة مدنية، وعودة الضباط إلى ثكناتهم، وكتابة دستور وقيام مجلس نيابي منتخب تنبثق منه أو يراقب عمل حكومة مدنية ويختار هو أو الشعب رئيساً للجمهورية.

اتفقوا على هذا وقرروا مفاتحة معمر بالمبادئ الواردة أعلاه، على أن يجتمعوا في ثكنة باب العزيزية ويستدعوا معمر للاجتماع على قاعدة انهم يمثلون أغلبية تنظيم الضباط الأحرار، فإن قبل معمر بهذه المبادئ ظل على رأس الدولة، إلى حين إجراء انتخابات وإعداد دستور دائم للدولة، ولم يمانعوا أن يظل هو على رأس الدولة إلى أن يتم كل هذا وحتى أن ينتخب هو كأول رئيس للجمهورية منتخب.

قبل أن يعقد الاجتماع المنتظر كان معمر القذافي قد تبلّغ كل تفاصيل المشروع التصحيحي، فعمد بواسطة الخروبي وإشكال وضباط آخرين إلى اعتقال أعداد كبيرة من الضباط الأحرار الذين تجاهلوا أبسط مبادئ الأمن وهم مقبلون على حركة مفصلية تاريخية لم يكتب لها النجاح بسبب إهمالهم وسذاجتهم.

كان ذكاء معمر أن يوحي للآخرين أنه يتصرف بشكل عادي فكان يعتقل الضباط المعارضين على دفعات، وعندما سعى عمر لمقابلته اختفى العقيد، وتواترت الأنباء لعمر لكشف التنظيم واعتقال عدد من ضباطه، فغادر متخفياً إلى تونس ليعلن منها يوم 23/ 8/ 1975 بدء حركته المعارضة لمعمر القذافي بعد أن خسر الأرض والرفاق في وطنه وانشغل في تونس بإصدار بيانات وتصريحات ضد حكم العقيد، مما أثار القذافي

فطلب من الرئيس الحبيب بو رقيبة يومها تسليمه عمر أو إبعاده فرفض أبو رقيبة ذلك، لكنه أوعز لسلطاته إبلاغ عمر أن عليه أن يبحث عن مكان آخر خارج تونس لأنه لا يريد مشاكل مع القذافي، وقد أجهضت قوات الأمن التونسية محاولة لاغتيال رئيس وزراء تونس الهادي نويرة بواسطة مجموعة أمنية أرسلتها الاستخبارات الليبية انتقاماً لاستضافة تونس لعمر المحيشي.

كان الحبيب بو رقيبة قد خاض تجربة وحدة مع ليبيا باسم الجمهورية العربية الإسلامية وفق اتفاقية عقدت في جربة في كانون الثاني/ يناير 1974، ومن المفارقات ذات المغزى يومها أن القذافي اشترط تولّي رئيس جهاز الأمن الوطني التونسي زين العابدين بن علي وزارة داخلية في هذه الدولة الجديدة، وكان القذافي جنّد بن علي لخدمته حين كان هذا الأخير ملحقاً عسكرياً في سفارة تونس في طرابلس، وعندما خلع الشعب التونسي زين العابدين الذي ظل قابضاً على السلطة منفرداً في بلاده منذ العام 1987 حتى بدأت الثورة ضده مع إحراق الشاب محمد البو عزيزي نفسه في مدينة سيدي بو زيد 2010/12/17، أنّب القذافي الشعب التونسي على ثورته ضد زين الحاكم كما أسماه العقيد، وقد كشفت أوساط ليبية معارضة أن معمر القذافي كان يضع في حساب زين العابدين بن علي مليون دولار شهرياً. (رواية عبد الرحمان شلقم في جريدة الحياة اللندنية).

قبل أن يخرج عمر المحيشي من تونس مكرهاً، إثر ضبط قوات الأمن التونسية حركة تمرد في قفصة جنوبي البلاد أرسلت عناصرها من ليبيا للضغط على تونس. استقبل والده الحاج عبد الله المحيشي مرسلاً من عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة لإقناعه بالعودة إلى ليبيا وفتح صفحة جديدة مع العقيد، وفق طلب الأخير، لكن عمر أبلغ والده أنه قام بمحاولته التصحيحية من أجل أهداف معينة ولا يمكن التراجع عنها كما لا يمكن للقذافي أن يتراجع عن تفرده، وليس هناك وسيلة من وسائل التفاهم مع معمر... فعاد والد عمر لينقل لأعضاء المجلس ما سمعه من ابنه المعارض.

عمر المحيشي في مصر

كانت العلاقات بين مصر وليبيا في عهدي أنور السادات ومعمر القذافي كلعبة كرة الطاولة، ضربة مقابل ضربة، ومؤامرة خلف أخرى، ولا يمنع هذا التصافح اللاعبين قبل بدء المباراة وبعدها. بدأ معمر القذافي الهجوم على أنور السادات باكراً، قبل وخلال

حرب أكتوبر/ تشرين الأول 1973، والغريب أن معمر القذافي الذي كان يعتبر نفسه ناصرياً، كان مشروعه لاتحاد الجمهوريات العربية مع مصر وسوريا عام 1971، هو الباب الذي دخل منه السادات لتصفية رجال جمال عبد الناصر وثورة يوليو داخل مصر عبر انقلاب السادات في 13/ 5/ 1971 بحجة أنهم لا يريدون الوحدة... إلى أن أقنعه صانع هذا الانقلاب محمد حسنين هيكل وفق شهادته أمام أحمد حمروش بأن ما يجعل الناس تنحاز إلى السادات ضد رجال عبد الناصر هو تبنّي طرح الديمقراطية والحريات وهذا ما فعله السادات التزاماً بنصيحة هيكل. وفي هذه الشهادة لهيكل أمام حمروش، قال هيكل أنا صانع ثورة التصحيح!

وخلال حرب أكتوبر خرج صوت معمر القذافي من إذاعة صوت العرب المصرية ليشكك بالحرب وأهدافها.

وبعد الحرب كان معمر القذافي يمول عدداً من المطبوعات اللبنانية التي صدرت كلها لتهاجم أنور السادات فيما اعتبره هذا هجوماً على مصر.

وعندما بدأت مفاوضات سرية بين أنور السادات ووزير خارجية أميركا ورئيس جهاز الأمن القومي الأميركي هنري كيسنجر حول اتفاقية سيناء في أيلول/ سبتمبر 1975، كان الإعلام الليبي في طرابلس وفي بيروت يركز هجومه على السياسة المصرية في عهد السادات.

وكانت ليبيا في الوقت نفسه مقراً ودار ضيافة واحتضان لكل معارض مصري لأنور السادات سواء كان ناصرياً أو يسارياً أو شخصياً، فكان طبيعياً بعد أن سدت السبل في وجه عمر المحيشي أن يطلب المجيء إلى مصر للإقامة وإمكانية التحرك، اتصل المحيشي بأنور السادات الذي كان يعرف خلافه مع معمر القذافي منذ فترة.

فعندما جاء معمر القذافي إلى مصر بطلب الوحدة عام 1973، حضر معه كل أعضاء مجلس قيادة الثورة... وتخلف عمر المحيشي في ليبيا، لأنه كان يعتقد أن معمر القذافي لا يريد الوحدة، بل هو يهدف لأمور سياسية أخرى، أهمها إبعاد رفاقه إلى مؤسسات بعيدة، وإلهاء الشعب الليبي عن المطالبة المتزايدة بالحرية والعدالة والتنمية، وهو جعل الوحدة ملهاة وفزاعة لوأد أحلام لا يمكن تحقيقها بالطرق التي كان يعتمدها... مثل الزحف عبر ما يسمى المسيرة الوحدوية من الحدود التونسية إلى قلب القاهرة، مما جعل السادات يحذره بوقوف المسيرة على الحدود، ثم يحضر وفد منها إلى القاهرة لبحث أمرها.كان من نتائج المباحثات حول الوحدة الفورية بين معمر القذافي وأنور السادات

تشكيل لجنة للإعداد لها على أن يقدم كل بلد 15 عضواً من بلده في جميع الاختصاصات ومن سخرية الأمور أن معمر القذافي اقترح عمر المحيشي على رأس الوفد الليبي رغم معرفته بأن عمر لا يثق بمساعي معمر لتحقيق الوحدة لا مع مصر ولا مع غيرها.

وكان الاعتقاد راسخاً لدى كثيرين أن معمر القذافي يؤمن بأن مصر بلد ضخم بلا قيادة وأنه أي معمر القذافي قائد كبير لبلد صغير لذا كان يطمح أن يحكم مصر ليس كرئيس للجمهورية لأنه كان يعرف أن هذا أمر مستحيل بل من خلال تسلمه لوزارة الدفاع في دولة الوحدة المنتظرة، في وهم منه واعتقاد بأن تسلمه لهذه الوزارة سيسمح له أن يتحكم بمقاليد القوات المسلحة، بما يعني أنه يحكم الدولة الجديدة بالجيش والأجهزة الأمنية وقوات الشرطة كما فعل هو في ليبيا طيلة العقود التالية.

أقبل عمر على عمله بجدية وحب وقناعة رئيساً للوفد الليبي ومعه علي عميش وهو مفكر اقتصادي وعز الدين القدامي (قومي عربي معروف) وآخرون.

وكان رئيس وزراء مصر أبو الصناعة المصرية عزيز صدقي هو رئيس الوفد المصري. كان أعضاء الوفدين من الاختصاصيين الذين وضعوا أسساً جيدة لقيام دولة الوحدة المبنية على جوانب اقتصادية وقانونية وبرنامج زمني طويل لتهيئة الشعبين والمؤسسات في البلدين لمثل هذا العمل الوحدوي لكن معمر والانتهازيين معه... بحجة استعجال الوحدة حاربوا كل عمليات البناء والتأسيس حتى أجهضوها ولم تقم لها قائمة.

كان عمر خلال رئاسته للجانب الليبي في الإعداد للوحدة يجيء إلى مصر كثيراً ويلتقي أنور السادات بطبيعة الحال وكان عمر يصارح السادات بأن معمر لا يريد الوحدة وقد قال له مرة يا سيادة الرئيس معمر يريد قيادة الجيش ليدير انقلاباً عسكرياً ضدك، ليحكم مصر باسم الوحدة، لأنه كان يعتبر أن ليبيا صغيرة جداً على أفكاره وأحلامه وطموحاته...

لذا حرص أنور السادات على إخفاء كل استعدادات الجيشين المصري والسوري لخوض حرب أكتوبر/ تشرين الأول 1973 حتى عندما جاء معمر القذافي إلى مصر خلال الحرب رفض السادات استقباله بحجة أنه موجود في مكان سري لإدارة الحرب، وهذا ما حزّ في نفس معمر كي يعود إلى طرابلس ليعلن أن حرب أكتوبر مناورة وأنه بريء منها، عندما كانت قوافل القوات المصرية تعبر قناة السويس بالآلاف وتدمر خط بارليف، وتقصف بمئات الطائرات مواقع العدو في شرق سيناء وتقتل الآلاف من عناصر العدو،

وتأسر وتسقط الطائرات وتقدم الأبطال في ساحة الوغى.

ورداً على تصريحات القذافي ضد الحرب، تحدث السادات علنا في أحد تصريحاته بعد الحرب بأن معمر القذافي سرّب أخباراً إلى إسرائيل لم يقلها السادات إلا لمعمر نفسه.

بعد كل هذا كان لا بد أن يكون عمر المحيشي ضيفاً مكرماً على أنور السادات فجهد عمر لإنشاء إذاعة موجهة ضد نظام القذافي وأصدر مجلة أسبوعية تنشر مقالاتها تحريضاً للشعب الليبي على الثورة ضد العقيد.

لم يدم الحال بعمر في مصر أكثر من سنة ونصف تقريباً، إذ ذهب السادات إلى القدس يوم 19/ 11/ 1977، فقامت الدنيا في البلاد العربية ضده ولم تقعد وكان عقد مؤتمر قمة عربي طارئ في بغداد بعد إعلانه زيارة إسرائيل في خطاب له في مجلس الشعب المصري، وأرسل المؤتمرون وفداً برئاسة رئيس وزراء لبنان سليم الحص ليعرض على السادات مبلغ 6 مليار دولار مقابل إلغاء زيارته للقدس فرفض السادات استقبال الوفد معتبراً في الأمر إهانة لمصر ولرئيسها.

انفجر الشارع العربي غضباً على أنور السادات وسارت التظاهرات في عدد كبير من المدن العربية منددة بهذه الزيارة، وتشكلت جبهة للصمود والتصدي من الدول العربية الرافضة لها (سوريا، ليبيا، اليمن الجنوبي، الجزائر جبهة الرفض الفلسطينية) مع أن العراق ومنظمة التحرير كانا معارضين لهذه الزيارة فإنهما لم يدخلا هذه الجبهة لخلافات جذرية شخصية - حزبية بين حافظ الأسد في سوريا وصدام حسين في العراق.

خروج عمر من مصر

لأنه كان رجل مواقف ومبادئ أصدر عمر من القاهرة بياناً ضد زيارة السادات للقدس، فكان عليه أن يدبر مكاناً آخر لاستمرار معارضته للقذافي.

ورغم أنه ومعمر التقيا في السياسة ضد هذه الخطوة التي أقدم عليها السادات، إلا أنهما في المسألة الليبية ظلا على طرفي نقيض.

كان على عمر المحيشي أن يدبر مكاناً آخر للتحرك ضد القذافي خارج مصر، فحصل على جواز سفر سعودي دبّره له أثرياء ليبيون يعيشون في المملكة العربية السعودية منذ سنوات طويلة، توجه به إلى الكويت لفترة بسيطة ثم توجه منها إلى العراق

ليستقبله صدام حسين.

هنا يقول طاهر المحيشي إن الرئيس العراقي عرض عليه المال لكنه رفضه، وفضل عمر أن يحصل على التمويل من ليبيين يعملون في السعودية لتمويل قضيته الوطنية ضد معمر القذافي.

مكث عمر في بريطانيا لفترة ثم توجه منها إلى المغرب وهو يعرف أن الملك الحسن الثاني يحب استضافته نكاية بغريمه معمر القذافي الذي يحتضن حركة البوليساريو الانفصالية التي تقاتل لفصل الصحراء المغربية عن الوطن الأم.

كان عمر يعتقد فوق هذا أن المغرب بلد آمن وشجعه على هذا الاعتقاد أن عدداً من أركان المعارضة الليبية في الخارج كانوا يترددون على المغرب في خضم النزاع بينه وبين النظام الليبي الداعم للبوليساريو، وكانت جبهة الإنقاذ الليبية تعتمد المغرب مقراً لها بعد أن حاولت حكومة الخرطوم في إحدى شطحات جعفر نميري بيعها للقذافي مقابل مساعدات مالية كريمة، وقيل يومها إن العقيد الليبي كان يساند حركة جون قرنق ضد حكومة الخرطوم، ولم يمنع هذا أن القذافي كان دبّر غزواً عسكرياً انطلق من الأراضي الليبية أجهضه جعفر نميري في تموز/ يوليو 1976.

كان الخلاف السياسي القوي بين القذافي والحسن الثاني يأخذ طابعاً شخصياً أحياناً كأن يمتنع العقيد عن مصافحة الملك في مؤتمرات القمة العربية والإسلامية التي تجمعهما.

ومع هذا ومن أجل القبض على عمر المحيشي كان القذافي يراوغ بما فيه الكفاية كي يعقد صفقة مع الملك المغربي لتسليمه غريمه العنيد. يقول طاهر إن شقيقه كان يقيم في فندق هيلتون في الرباط وإنه اختفى نهاية 1983 بعد زيارة القذافي للمغرب ولقائه الحسن الثاني حيث اتفقا على طرد المعارضة الليبية من المغرب مقابل وقف الدعم الليبي للبوليساريو.

ويؤكد أن وزير داخلية المغرب يومها إدريس البصري نفى أن تكون بلاده سلمت عمر المحيشي إلى ليبيا لأنه ركب الطائرة متوجهاً إلى السعودية لتأدية العمرة... لكن عمر لم يكن قادراً على مغادرة المغرب لأن جواز سفره السعودي لم يكن معه بل ظل مع السلطات المغربية. (في مكان آخر من هذا الكتاب تقرأ كيف عقدت الصفقة بين الملك والرئيس).

عمر ما زال حياً؟

لأن طاهر المحيشي يرفض حتى إعداد هذا الكتاب الاعتراف بمقتل شقيقه ويورد معلومات يستند إليها ليثبت أن شقيقه عمر ما زال حياً، بل ومعتقلاً في إحدى استراحات النظام السابق (حسني مبارك في مصر)... وإن كان يستطرد قائلاً: على كلٍّ ما زال اختفاء شقيقي عمر سراً.

يبدأ طاهر المحيشي حديث معلوماته بالقول: إن الضابط الذي عقد صفقة إخراج عمر المحيشي من المغرب هو أحد أقرباء معمر القذافي الموثوقين حسن إشكال الذي أمر العقيد بقتله (تفاصيل ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب)، وأن إشكال اعترض عندما سمع بأن العقيد القذافي ينوي محاكمة المحيشي، لأن الصفقة مع الملك الحسن الثاني لم تكن تشمل محاكمته. فاضطر القذافي إلى تسليم المحيشي إلى مصر، التي فرضت عليه الإقامة الجبرية!

عام 1989 في معرض منتوجات مصرية في ليبيا وفي حفل عشاء أقامه مدير المعرض المصري لتجار ليبيين من أقرباء المحيشي، لفت اسم عائلة المحيشي المدير المصري فسألهم عن عمر المحيشي فقالوا إنهم أقرباءه فقال لهم إنه موجود في مصر، وإنه موجود في استراحة في الهرم.

عام 1989 أيضاً أقرباء للمحيشي في مدينة طرابلس زاروا مصر بعد عودة العلاقات معها وسكنوا في فيلا لأحد الضباط السابقين، وأثناء عشاء نظمه لهم صاحب البيت المستأجر حضر ضابط في الحرس الجمهوري المصري، وأثناء انصرافه قال إنه مضطر للذهاب باكراً لأنه مسؤول حراسة اثنين من اللاجئين السياسيين الليبيين، وهما عمر المحيشي وعبد الحميد البكوش (رئيس وزراء ليبي في العهد الملكي)!!

عام 1991 قال ضابط في الحرس الجمهوري المصري لطاهر المحيشي إن شقيقه حي ويقيم في فيلا في الهرم، وإن رجل أعمال مصرياً اسمه عبد العزيز مرسي (توفي) أكد له الأمر نفسه.

محمد حجازي ضابط طيار مهندس صديق للرئيس حسني مبارك وعلى صلة برجال أعمال كبار أكد مشاهدته لعمر المحيشي في مصر.

معلومات طاهر المحيشي عن عبد السلام جلود أنه لم يؤكد وفاة شقيقه عمر لكن

مصطفى الخروبي يؤكد أن عمر قُتل وكان يصفه دائماً بالمرحوم عمر هذا ما أبلغه لأولاده الثلاثة: منذر - غازي - ونضال وهو أصغر الأبناء الذي ولد بعد خروج عمر من ليبيا عام 1975.

وقبل أن نأتي على رواية أحد أبرز رجال الثورة الليبية 1969 عبد المنعم الهوني نختم رواية طاهر المحيشي بالقول إن معمر القذافي منع أولاد عمر المحيشي من الذهاب إلى المدرسة لمدة سنتين بعد خروج والدهم من ليبيا عام 1975.

الهوني يصف تصفيته

يؤكد عبد المنعم الهوني أن معمر القذافي استقبل عمر المحيشي في المطار لدى نزول الطائرة التي أقلته من المغرب نتيجة الصفقة المشار إليها وأن معمر انهال على عمر بالضرب حين قابله مفجراً غضباً كبيراً، حيث قال معمر لعمر أنت تقول والدتي يهودية يا...

معمر أمر بتشكيل محكمة عسكرية عاجلة في المطار بقيادة الضابط منير الطاهر.

منير كان زميلاً لعمر في كتيبة عسكرية واحدة، ومنير كان محسوباً على اليسار في ليبيا وهو أيضاً دخل القوات المسلحة للقيام بانقلاب عسكري فتعرّف على عمر الذي كان قومياً عربياً.

حكم منير على عمر بالموت بتهمة التخابر مع الاستخبارات المصرية قال الهوني لمعمر في أحد لقاءاتهما في مصر حيث كان الهوني لاجئاً سياسياً: لكن وفود القوات المصرية ومن ضمنهم ضباط استخبارات هم الذين عقدوا لنا صفقة الأسلحة الضخمة مع الاتحاد السوفياتي وفرنسا واشتروا لنا الأسلحة التي يعرفون تفاصيلها كلها، لأنهم اختاروا ما يساعد الجيش المصري في الحرب ضد إسرائيل في عز حرب الاستنزاف والاستعداد لحرب العبور فيما بعد!!

شلقم يؤكد قتله

عبد الرحمان شلقم يؤكد أن ضابط الإلكترونيات سعيد راشد أحد الضباط القساة (الذي قتل مع بداية ثورة 17 فبراير على باب ثكنة العزيزية هو ونجله وأقاربه) ذبح الرائد عمر المحيشي عند تسليمه من المغرب.

وهذا يخالف رواية أخرى يرويها الرائد عبد المنعم الهوني حول محاكمة المحيشي في مطار طرابلس وقتله في المطار نفسه كما ورد أعلاه.